



١٨٩
م٠٢ع

منهاج العابدين للغزالي، محمد بن محمد ـ ٥٠٥هـ. كتب في القرن الثاني عشر الهجري تقديرا.

١٤٣ ق   ١٧ س   ١٩×٥ر١٣ ســم

نسخة حسنة، خطها تعليق مقروء، استكمل آخرها بورق مغاير وخط مختلف، طبع مرات آخرها ١٣٢٢هـ. ورد تاريخ النسخ بخط حديث أنه سنة ٩٨٧هـ.

٦٩٨٢

كشف الظنون ٢: ١٨٧٦   معجم المطبوعات ٢: ١٤١٥

ا ـ الفلسفة الاسلامية في العصور الوسطى   أ ـ المؤلف

ب ـ تاريخ النسخ.

منهاج العابدين

حكاية السيح الذي ... لما ... سفي ... من لم يعكر اوله يحي غافلا فيسكون ...

وكان رجل يذهب ابنه يتصدق بن ... من علامة امة محمد ان يبعث ادا ... معهم

ورأى بعض الصالحين رجلا ... صدره ... وروى كانت ... في زمان حسن البصري

حكاية ... المومن يحب الخلوة والمنافق يحب الخلطة

وحكاية رواية الف ... اللهم صل على سيدنا محمد وعلى آل سيدنا محمد صلوة تامة تحل العقدة وتفرج الكروب

و... ان ربه العلي الاعلى الوهاب اللهم صل على سيدنا محمد وعلى آل سيدنا محمد واله اجمعين

وصل على جميع الانبياء والمرسلين وعلى اهل طاعتك اجمعين من اهل السموات واهل الارض

ورضي الله تعالى عنا وعن اصحاب رسول الله اجمعين اللهم بلغنا ما يقربنا اليك

... والعفو والعافية و... ما يبعدنا عنك برحمتك يا ارحم الراحمين

سبحان ربي العلي الاعلى الوهاب اللهم صل ... تم ... وجهك

النبي عليه السلام ان ... الشقاوة اربعة نسيان الذنوب الماضية وهي عند الله محفوظة

وذكر الحسنات الماضية وهي لا يدري اقبلت عند الله ام لا ... ونظر الى من هو فوقه

في الدنيا ونظر الى من هو دونه في الدين وعلامة ... ذكر ذنوب الماضية ونسيان

... الماضية والنظر الى من هو فوقه في الدين والنظر الى من هو دونه في الدنيا ...

قال النبي عليه السلام ويقول اليهودي الحمد لله الذي خلقني يهوديا ولا خلقني
كافرا ويقول الكافر الحمد لله الذي خلقني كافرا ولا خلقني مجوسيا ويقول المجوسي
الحمد لله الذي خلقني مجوسيا ولا خلقني وثنيا ويقول الوثني الحمد لله الذي خلقني وثنيا
ولا خلقني كلبا ويقول الكلب الحمد لله الذي خلقني كلبا ولا خلقني خنزيرا ويقول الخنزير
الحمد لله الذي خلقني خنزيرا ولا خلقني تارك الصلوة صدق رسول الله العظيم
قال النبي عليه الصلوة والسلام عجلوا بالصلوة قبل الفوت وعجلوا بالتوبة قبل الموت
قال النبي عليه الصلوة والسلام من صور صورة فان الله تعالى معذبه حتى ينفخ
فيها الروح وليست بنافخ فيها ابدا قال النبي عليه السلام سبع بيوت لا ينزل
فيها رحمة الى يوم القيامة الاول بيت فيه امرأة مطلقة والثاني بيت
والثالث بيت فيه يشربون الخمر والرابع بيت فيه خيانة الامانة والخامس بيت
فيه لا يذكر الله تعالى والسادس بيت فيه آلة لهو والسابع بيت فيه امرأة عاصية لزوجها
قال النبي عليه السلام ان الناس يدخلون الجنة مجانا ومن الناس يدخلون النار مجانا
قيل من هو يا رسول الله قال من احب من العلماء مثقال ذرة في قلبه يدخلون الجنة
مجانا ومن ابغض من العلماء مثقال ذرة في قلبه يدخلون النار مجانا صدق رسول الله
قال النبي عليه السلام من نظر الى وجه العالم احب من عبادة ستين سنة صيام
نهارها وقيام لياليها ثم قال لولا العلماء لهلك امتي اللهم احفظ العلماء من الجاهلين
قال النبي عليه السلام من داوم على الصلوة مع الجماعة اعطاه الله تعالى خمس خصال
اولها يرفع ضيق العيش ويدفع عنه عذاب القبر ويعطى كتابه يوم القيمة بيمينه
ويمر على الصراط كالبرق الخاطف ويدخل الجنة بغير الحساب قال النبي عليه السلام
من صلى مع قبا ... ولم يدخل ... وهو منافق قال النبي عليه السلام طالب العلم خير من
قيام ليله وطلب العلم خير من صيام ثلثة ايام قال النبي عليه السلام اذا عصى المخلوق
المخلوق اهتز العرش وغضب الله تعالى الى على الساجد والمسجد وعليهم لعنة الله والملائكة
اجمعين قال النبي عليه السلام من سجد لغير الله فقد كفر قال الله تعالى اني بريء من ثلثة ...
واسا يسجد لغير ... واسا يسجد بغير وضوء واسا يركع ويسجد قبل الامام قال النبي عليه السلام
سيأتي زمان على امتي يظهر فيهم خلق يتعبدون بالجهل ويسمون انفسهم بالصوفية ثم يرقصون
... رقص ... ويزعقون ... على طريق الابرار اولئك ... اشد ...



هذا الكتاب والمحبوب الحاج عوض عفى الله عنهما

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين

حدثني الشيخ الفقيه الصالح الزاهد عبد الملك بن
عبد الله رضي الله عنه قال املا علي شيخي الاجل الزاهد الموفق
حجة الاسلام شرف الائمة ابو حامد محمد بن محمد الغزالي
رفع الله في الجنة درجته هذا الكتاب وهو آخر كتاب صنفه ولم
يستمله الا خواص اصحابه وهو الحمد لله الملك الحكيم الجواد الكريم العزيز
الرحيم الذي فطر السموات والارض بقدرته ودبر الامور في
الدارين بحكمته وما خلق الجن والانس الا لعبادته فالطريق
واضح للقاصدين والدليل لائح للناظرين ولكن الله يضل من يشاء
ويهدي من يشاء وهو اعلم بالمهتدين والصلوة على سيد المرسلين
وعلى آله الابرار الطيبين الطاهرين اجمعين وسلم وعظم الى يوم
الدين اعلموا اخواني اسعدكم الله وايانا بمرضاته ان العبادة
ثمرة العلم وفائدة العمر وحاصل العبد وبضاعة الاولياء وطريق
الاقوياء وقسم الاعزة ومقصد ذوي الهمة وشعار الكرام وحرفة

الرجال

الرجال واختيار اولي الابصار وهي سبيل السعادة ومنهاج
الجنة قال الله تعالى وانا ربكم فاعبدون وقال الله تعالى
ان هذا كان لكم جزاء وكان سعيكم مشكورا ثم انا نظرنا
فيها وتأملنا طريقها من مبادئها الى مقاصدها التي هي اماني
سالكيها فاذا هي طريق وعر وسبيل صعب كثير العقبات
شديد المشقات بعيد المسافات عظيم الآفات كثير العوائق
والموانع خفية المهالك والقواطع غزير الاعداء والقطاع عزيز
الاشياع والاتباع وهكذا يجب ان يكون لانها طريق الجنة
فيصير هذا تصديقا لما قاله صلى الله عليه وسلم الا ان الجنة
حفت بالمكاره الا ان النار حفت بالشهوات ثم مع ذلك كله فان
العبد ضعيف والزمان صعب وامر الدين متراجع والفراغ قليل
والشغل كثير والعمر قصير وفي العمل تقصير والناقد بصير والاجل
قريب والسفر بعيد والطاعة هي الزاد فلا بد منها وهي فائتة
فلا مرد لها فمن ظفر بها فقد فاز وسعد ابد الآبدين ومن
فاته ذلك فقد خسر مع الخاسرين وهلك مع الهالكين فصار هذا الخطب

فصار هذا الخطب اذا

اذن والله معضلا والخطب عظيما ولذلك عز من يقصد هذا
الطريق وقل ثم عز من القاصدين من يسلكه ثم عز من
السالكين من يصل الى المقصود ويظفر بالمطلوب وهم
الاعزة الذين اصطفاهم الله عز وجل لمعرفته ومحبته وسددهم
بتوفيقه وعصمته ثم اوصلهم بفضله الى رضوانه وجنته فنسأله
جل ذكره ان يجعلكم وايانا من اوليائه الفائزين برحمته نعم
ولما وجدنا هذا الطريق بهذه الصفة نظرنا وامعنا النظر
في كيفية قطعها وما يحتاج اليه العبد من الاهبة والعدة والآلة
والحيلة من علم وعمل عسى ان يقطعها بحسن توفيق الله في سلامة
ولا ينقطع في عقباتها المهلكة فيهلك مع الهالكين والعياذ بالله
فصنفنا في قطع هذا الطريق وسلوكها كتبا كاحياء علوم
الدين والقربة الى الله وغير ذلك فاحتوت على دقائق من
العلوم اغتاصت على افهام العامة فقدحوا فيها وخاضوا فيما
لم يستحسنوه منها فاي كلام افصح من كلام رب العالمين وقد قالوا
فيه اساطير الاولين اما تسمع الى قول زين العابدين علي ابن

المؤمن عمر راحة موجه يذهب عبد حيلة الناتج
يا نفس اني قائل فاسمعي مقالة من مشفق ناصح
لا يصحب الانسان في قبره غير التقى والعمل الصالح

الحسين بن علي ابن ابي طالب رضوان الله عليهم اجمعين اني
لاكتم من علمي جواهره كيلا يرى الحق ذو جهل فيفتتنا وقد
تقدم في هذا ابو حسن الى الحسين ووصى قبله الحسنا يا رب
جوهر علم لو ابوح به لقيل لي انت ممن يعبد الوثنا ولاستحل
رجال مسلمون دمي يرون اقبح ما ياتونه حسنا واقتضت الحال
عند ذوي الدين النظر الى كافة خلق الله تعالى بعين الرحمة وترك
المماراة فابتهلت الى من بيده الخلق والامر الى ان يوفقني بتصنيف
كتاب يقع عليه الاجماع ويحصل بقراءته الانتفاع فاجابني الذي يجيب المضطر
اذا دعاه واطلعني بفضله على اسرار ذلك والهمني فيه ترتيبا عجيبا لم اذكره
في المصنفات التي تقدمت في اسرار معاملات الدين وهو الذي انا
واصفه فاقول وبالله التوفيق ان اول ما تنبه العبد للعبادة
وتحرك لسلوك طريقها خطرة سماوية من الله تعالى وتوفيق خاص
الهي وهو المعني بقوله سبحانه وتعالى افمن شرح الله صدره للاسلام
فهو على نور من ربه واليه اشار صاحب الشرع صلوات الله عليه وسلامه
فقال ان النور اذا دخل القلب انفسح وانشرح فقيل يا رسول الله

نصل لذلك من علامة يعرف بها مقال النجاة في عن دار الغرور والانابة
الى دار الخلود والاستعداد للموت قبل نزوله فاذا خطر بقلب العبد
اول كل شيء ان له اجلا منعما بضروب من النعم كالحياة والقدرة
والعقل والنطق وسائر المعاني الشريفة واللذات وما يصرف عنه من
ضروب المضار والآفات وان لهذه النعم منعما يطالبه بشكره وخدمته
وان اغفلت ذلك فيزيل عنه نعمته ويذيقه باسه ونقمته وبعث اليه
رسولا ايده بالمعجزات الخارقة للعادات الخارجة عن مقدورات البشر
واخبره ان له ربا جل ذكره قادرا عالما حيا مريدا متكلما يأمر وينهى
قادرا على ان يعاقب ان عصيته ويثيب ان اطعته عالما بالاسرار
وما يختلج في الضمائر وقد وعد واوعد وامر بالتزام قوانين الشرع
فيقع في قلبه انه ممكن اذ لا استحالة لا في العقل ولا في البديهة فيخاف على
نفسه على ذلك ويفزع وهذا هو خاطر الفزع الذي ينبه العبد ويلزمه
الحجة ويقطع عنه المعذرة ويدعوه الى النظر والاستدلال فيهتاج
العبد عند ذلك ويقلق ويتطلب طريق الخلاص في حصول الامان
له مما وقع بقلبه او سمع باذنه فلم يجد فيه سبيلا سوى النظر بعقله في الدلائل

والاستدلال

والاستدلال بالصنعة على الصانع ليحصل له العلم اليقيني بما هو غيب
ويعلم ان له ربا كلفه وامره ونهاه فهذا اول عقبة استقبلته في طريق
العبادة وهي عقبة العلم والمعرفة ليكون من الامر على بصيرة فيأخذ
في قطعها من غير بد بحسن النظر في الدلائل والتأمل والتعلم والسؤال
من علماء الآخرة ادلاء الطريق وسرج الامة وقادة الائمة والاستفادة
منهم واستمداد الدعاء الصالح منهم بالتوفيق والاعانة الى ان يقطعها
بتوفيق الله سبحانه فيحصل له العلم واليقين بالغيب وهو ان له الها
واحدا لا شريك له هو امره بخدمته وطاعته بظاهره وباطنه وحذره
الكفر وضروب المعاصي وحكم له بالثواب الخالد ان اطاعه وبالعقاب
ان عصاه وتولى عنه فعند ذلك يبعثه هذه المعرفة واليقين بالغيب
على التشمر للخدمة والاقبال على العبادة لهذا السيد المنعم الذي طلبه
فوجده وعرفه بعدما جهله ولكنه لا يدري كيف يعبده وماذا يلزمه
من خدمته بظاهره وباطنه بعد حصول هذه المعرفة بالله سبحانه وتعالى
وما يلزمه من الفرائض الشرعية ظاهرا وباطنا فلما استكمل العلم
بالفرائض انبعث ليأخذ في العبادة ويشتغل بها فنظر فاذا هو صاحب

جنايات وذنوب وهذا حال الاكثر من الناس فيقول كيف اقبل
على العبادة وانا مصر على المعصية متلطخ بها فيجب اولا ان اتوب الى الله
ليغفر لي ذنوبي ويخلصني من اسرها ويطهرني من اقذارها فاصلح
للخدمة وبساط القربة فتستقبله ههنا عقبة التوبة فيحتاج لا
محالة الى قطعها ليصل الى ما هو المقصود منها فيأخذ في ذلك باقامة التوبة
في حقوقها وشرائطها الى ان قطعها فلما حصلت له التوبة الصادقة وفرغ
من هذه العقبة حن الى العبادة ليأخذ فيها فنظر فاذا حوله عوائق محدقة
به كل واحدة منها تعوقه عما قصد من العبادة بضرب من التعويق
فتأمل فاذا هي اربعة الدنيا والخلق والشيطان والنفس فاحتاج
لا محالة الى دفعها وازاحتها والا فلا يتأتى له امره من
العبادة فاستقبلته ههنا عقبة العوائق فاحتاج الى قطعها باربعة امور
التجرد عن الدنيا والتفرد عن الخلق والمحاربة مع الشيطان والنفس
فاما النفس فاشدها اذ لا يمكنه التجرد عنها ولا ان يقهرها بمرة ويقمعها
كالشيطان اذ هي المطية والالة ولا مطمع ايضا في موافقتها على ما يقصد
العبد من العبادة والاقبال عليها اذ هي مجبولة على ضد الخير كالهوى

واتباعها فاحتاج اذن الى ان يلجمها بلجام التقوى لتنقاد له ولا تنقطع
وينتفع بها فلا يطغى فيستعملها في المصالح والمراشد ويمنعها عن المهالك
والمفاسد فيأخذ اذن في قطع هذه العقبة ويستعين بالله عز وجل على ذلك
فلما فرغ من قطعها رجع الى قصد العبادة فاذا هو بعوارض تعترضه
مشتغلة عن الاقبال على مقصوده من العبادة وتصده عن التفرغ
لذلك كما ينبغي فتأمل فاذا هي اربعة الرزق تطالبه النفس به وتقول
لا بد لي من رزق وقوام وقد تجردت عن الدنيا وتفردت ايضا عن الخلق
فمن اين يكون قوامي ورزقي والثاني الاخطار من كل شيء يخافه او يرجوه او
يريده او يكرهه ولا يدري صلاحه في ذلك او فساده فان عواقب الامور
مبهمة فيشتغل قلبه بها فانه ربما يقع في فساد او هلكة والثالث الشدائد
والمصائب تنصب عليه من كل جانب لا سيما وقد انتصب لمخالفة الخلق
ومحاربة الشيطان ومضادة النفس فكم من غصة يتجرعها وكم من كربة
يستقبلها وكم من هم وحزن يعترضه وكم من مصيبة يتلقاها والرابع انواع
القضاء من الله سبحانه وتعالى بالحلو والمر ترد عليه حالا فحالا والنفس
تسارع الى التسخط وتبادر الى الفتنة فاستقبلته ههنا عقبة العوارض

الاربعة فاحتاج الى قطعها باربعة اشياء التوكل على الله سبحانه وتعالى في موضع الرزق والتفويض اليه في موضع الخطر والصبر عند نزول الشدائد والرضا عند نزول القضاء فاخذ في قطع هذه العقبة باذن الله تعالى وحسن توفيقه فلما فرغ من قطعها وعاد الى قصد العبادة فنظر فاذا النفس فاترة كسلانة لا تنشط ولا تنبعث للخير كما يحق وينبغي وانما ميلها ابدا الى غفلة ودعة وراحة وبطالة بل الى شر وفضول وبلية وجهالة فاحتاج منها الى سائق يسوقها الى الخير والطاعة وينشطها له وزاجر يزجرها عن الشر والمعصية ويفترها عنه وهما الرجاء والخوف فالرجاء في عظيم ثواب الله سبحانه وحسن ما وعد من انواع الكرامة وتذكر ذلك سائق يسوقها فيبعثها على الطاعة ويحركها لذلك وينشطها والخوف من اليم عقاب الله عز وجل وصعوبة ما اوعد من العقوبة والاهانة زاجر يزجرها عن المعصية ويجنبها ويفترها عن ذلك فهذه عقبة البواعث استقبلته ههنا فاحتاج الى قطعها بهذين المذكورين فاخذ فيها بحسن توفيق الله تعالى فقطعها فلما فرغ منها رجع الى الاقبال على العبادة فاقامها وعانقها بتمام الشوق والرغبة فاداها فنظر فاذا هو بد ولا

العبادة

العبادة التي احتمل فيها كل ذلك آفتان عظيمتان وهما الرياء والعجب تارة يرائي بطاعته الناس فيفسدها واخرى يمتنع عن ذلك ويلوم نفسه فيه فيعجب بنفسه فيحبط العبادة عليه ويبطلها فاستقبلته ههنا عقبة القوادح فاحتاج الى قطعها بالاخلاص وذكر المنة ونحوها ليسلم له ما يعمل من خيرها فاخذ في قطع هذه العقبة باذن الله سبحانه وتعالى بجد واحتياط وتيقظ بحسن عصمة الجبار تعالى وتاييده فلما فرغ من هذه كلها حصلت له العبادة كما يحق وينبغي وسلمت من كل آفة ولكنه نظر فاذا هو غريق في بحار منن الله تعالى واياديه من كثرة ما انعم عليه من امداد التوفيق والعصمة وانواع التاييد والحراسة وخاف ان يكون منه اغفال للشكر فيقع في الكفران فينحط عن تلك النعم الكريمة من خصوص الطاف الله وحسن نظره اليه فاستقبلته ههنا عقبة الحمد والشكر فاخذ في قطعها بما امكنه من اكثار الحمد والشكر على كثير نعمه فلما فرغ من قطع هذه العقبة ونزل فاذا هو بمقصوده ومبتغاه بين يديه فلم يسر الا قليلا حتى وقع في سهل الفضل وصحراء الشوق وعرصة المحبة ثم يتمتع في رياض الرضوان وبساتين الانس الى بساط الانبساط ومرتبة

في مجلس المناجات ونيل الخلع والكرامات فهو يتنعم في هذه الحالة ويتقلب
في طيبها ايام بقائه وبقية عمره بشخص في الدنيا وقلبه في العقبى ينتظر
البريد يوما فيوما حتى يمل الخلق كلهم ويستقذر الدنيا ويحن الى الموت
ويستكمل الشوق الى الملأ الاعلى فاذا هو برسل رب العالمين الذين يردون
عليه بالروح والبشرى والرضوان من عند رب راض غير غضبان
فينقلونه في طيبة النفس وتمام البشر والانس من هذه الدار الفانية
المنغصة الى الحضرة الالهية ومستقر رياض الجنة فيرى لنفسه الضعيفة
الفقيرة نعيما مقيما وملكا عظيما ويلقى هنالك من سيده الرحيم المفضل
الكريم جل ذكره من اللطف والعطف والترحيب والتقريب والانعام
والاكرام ما لا يحيط به وصف الواصفين ونعت الناعتين فهو كل يوم في
زيادات الى ابد الآبدين فيا لها من سعادة عظيمة ويا لها من دولة عالية
ويا له من عبد سعيد وامر مغبوط وشان محمود ونسأل الله
البر الرحيم سبحانه وتعالى ان يمن علينا وعليكم بهذه النعمة العظيمة
والمنة الجسيمة وما ذلك على الله بعزيز وان لا يجعلنا من الذين لا نصيب لهم
من هذا الامر الا وصف او سماع وعلم بلا انتفاع وان لا يجعل ما تعلمناه

من العلم حجة علينا يوم القيمة وان يوفقنا جميعا للعمل بذلك والقيام
به كما يحب ويرضى انه ارحم الراحمين واكرم الاكرمين فهذا هو
الترتيب الذي الهمني مولاي في طريق العبادة فاعلم الآن ان الحاصل
من الجملة سبع عقبات الاولى عقبة العلم والثانية عقبة التوبة والثالثة
عقبة العوائق والرابعة عقبة العوارض والخامسة عقبة البواعث
والسادسة عقبة القوادح والسابعة عقبة الحمد والشكر وبتمامها
يتم كتاب منهاج العابدين الى الجنة ونحن الآن نشرح هذه العقبات
بشرح موجز اللفظ مشتمل على النكت المقصودة في هذا الشان لكل
منها في باب مفرد ان شاء الله تعالى والله سبحانه ولي التوفيق والتسديد
بمنه ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم العقبة الاولى وهي عقبة
العلم فاقول وبالله التوفيق يا طالب الخلاص والعبادة عليك اولا
وفقك الله بالعلم فانه القطب وعليه المدار واعلم ان العلم والعبادة
جوهران لاجلهما كان كل ما ترى وتسمع من تصنيف المصنفين وتعليم المعلمين
ووعظ الواعظين ونظر الناظرين بل لاجلهما انزلت الكتب وارسلت
الرسل بل لاجلهما خلقت السموات والارض وما فيهن من الخلق وتأمل

آيتين من كتاب الله عز وجل ذكره احديهما قوله تعالى الله الذي خلق سبع
سموات ومن الارض مثلهن يتنزل الامر بينهن لتعلموا ان الله على كل
شئ قدير وان الله قد احاط بكل شئ علما وكفى بهذه الاية دليلا على شرف العلم
لاسيما علم التوحيد والاية الثانية قوله تعالى وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون
وكفى بهذه الاية على شرف العبادة ولزوم الاقبال عليها فاعظم بامرين هما
المقصود من خلق الدارين فحق للعبد ان لا يشتغل الا بهما ولا يتعب
الا لهما ولا ينظر الا فيهما فاعلم ان سواهما من الامور باطل لا خير فيه ولغو لا
حاصل له فاذا علمت ذلك فاعلم ان العلم اشرف الجوهرين وافضلهما ولذلك قال
النبي صلى الله عليه وسلم ان فضل العالم على العابد كفضلي على ادنى رجل من امتي
وقال عليه الصلوة والسلام نظرة الى العالم احب الي من عبادة سنة صيامها
وقيامها وقال صلى الله عليه وسلم الا ادلكم على اشرف اهل الجنة قالوا بلى يا
رسول الله قال هم علماء امتي فبان لك ان العلم اشرف جوهرا من العبادة ولكن
لابد للعبد من العبادة مع العلم والا كان علمه هباء منثورا فان العلم بمنزلة الشجرة
والعبادة بمنزلة الثمرة من ثمراتها فالشرف للشجرة لانها الاصل لكن الانتفاع
انما يحصل بثمرتها فاذا لابد للعبد ان يكون له من كلا الامرين حظ ونصيب ولهذا

قال الحسن

قال الحسن البصري رضي الله عنه اطلبوا هذا العلم طلبا لا يضر
بالعبادة واطلبوا هذه العبادة طلبا لا يضر بالعلم فلما استقر
انه لابد للعبد منهما جميعا فالعلم اولى بالتقديم لا محالة لانه الاصل
والدليل ولذلك قال ~~علي رضي الله عنه~~ صلى الله عليه وسلم العلم امام
العمل والعمل تابعه ولما صار العلم اصلا متبوعا يلزمك تقديمه على
العبادة لامرين احدهما لتحصل لك العبادة وتسلم فانك اولا
يجب ان تعرف المعبود ثم تعبده وكيف تعبد من لا تعرفه
باسمائه وصفات ذاته وما يجب له وما يستحيل في نعته فربما
تعتقد في صفاته شيئا والعياذ بالله مما يخالف الحق فيكون عبادتك
هباء منثورا فقد شرحنا ما في ذلك من الخطر العظيم في بيان
معنى سوء الخاتمة من كتاب الخوف من جملة كتب احياء علوم الدين
ثم يجب ان تعلم ما يلزمك فعله من الواجبات الشرعية على ما
امرت به لتفعل ذلك وما يلزمك تركه من المناهي لتترك ذلك
والا فكيف تقوم بطاعات لا تعرف ما هي وكيف يجب ان تفعل
ام كيف تجتنب معاصي لا تعلم انها معاص حتى لا توقع نفسك فيها

فالعبادات الشرعية كالطهارة والصلوة والصيام وغيرها يجب
ان تعلمها باحكامها وشرايطها حتى تقيمها فربما انت مقيم على شيء
سنين وانت مانا تما يفسد عليك طهارتك وصلواتك وغيرهما عن
كونهما واقعين على وفاق السنة وانت لا تشعر بذلك وربما
يعترض لك مشكل ولا تجد من تسأله عن ذلك وانت ما تعلمته
ومدار هذا الشان ايضا على العبادة الباطنة التي هي صناعة القلب
يجب ان تعلمها من التوكل والتفويض والرضا والصبر والتوبة والا
خلاص وغير ذلك مما سياتي ذكره ان شاء الله تعالى ويجب ان تعلم
مناهيها التي هي اضداد هذه الامور كالسخط والامل والرياء
والكبر لتجتنب ذلك فان هذه فرايض نص الله تعالى على الامر بها
والنهي عن اضدادها في كتابه العزيز وعلى لسان نبيه صلى الله عليه
وسلم كما ان الله تعالى جل ذكره وعلى الله فتوكلوا ان كنتم اياه تعبدون
واصبروا ان الله مع الصابرين واصبر وما صبرك الا بالله وقوله
تعالى وتبتل اليه تبتيلا اي اخلص اليه اخلاصا ونحو ذلك من الايات
كما نص على الامر بالصلوة والصوم فما لك اقبلت على الصلوة والصوم

وتركت

وتركت هذه الفرايض والامر بها من رب العالمين واحد في كتاب
واحد بل غفلت عنها ولا تعرف شيئا منها اغرك فتوى من اصبح
بعاجل حظه مشتغلا فاتى صير المعروف منكرا والمنكر معروفا ومن
اهمل العلوم التي سماها الله في كتابه نورا وحكمة وهدى واقبل على ما به يكتسب
الحرام ويكون مصيدة للحطام اما تخاف ايها المسكين ان تكون
مضيعا لشيء من هذه الواجبات بل لاكثرها وتشتغل بصلوة التطوع
وصوم النفل فتكون في لاشيء وربما انت مصر على معصية من
هذه المعاصي التي تستوجب بها النار وتترك مباحا من طعام
او شراب او نوم تبتغي به قربة الى الله عز وجل فتكون في لا شيء
واشد من ذلك كله انك ان تكون في امن الاكل والاكل معصية محضة
فتظنه انه خير لجهلك بالفرق بينهما وتعاديهما في بعض الوجوه وكذلك
تكون في جزع وسخط فتظنه تضرعا وابتهالا الى الله عز وجل وتكون
في رياء محض وتحسبه حمد الله سبحانه وتعالى او دعوة للناس الى الخير
فتاخذ تعد على الله سبحانه وتعالى المعاصي بالطاعات وتحتسب الثواب
العظيم في موضع العقوبات فتكون في غرور عظيم وغفلة قبيحة

وحق والله مصيبة فظيعة للعاملين من غير علم ثم مع ذلك كله ان للاعمال
الظاهرة علائق من المساعي الباطنة تصلحها وتفسدها كالاخلاص
والرياء والعجب وذكر المنة وغيرها فمن لم يعلم هذه المساعي الباطنة
ووجوه تاثيرها في العبادات الظاهرة وكيفية الاحتراز عنها وحفظ
العمل عنها فقل ما يسلم له عمل الظاهرة ايضا فيفوته طاعات الظاهرة
والباطن فلا يبقى بيده الا الشقاء والكد وهذا هو الخسران المبين
ولهذا قال صلى الله عليه وسلم ان نوما على علم خير من صلوة على جهل
فان العامل بغير علم يفسد اكثر مما يصلح قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
في صفة العلم انه يلهم للسعداء ويحرم الاشقياء فالمعنى والعلم عند الله
تعالى ان احدى شقوتيه ان لا يتعلم العلم ثم يشقى ويتعب في العبادات
على خبط فما يكون له من ذلك الا العناء نعوذ بالله من علم وعمل لا ينفع ولهذا
عظمت عناية العلماء الزهاد العاملين رضي الله عنهم بالعلم خاصة من بين
ابناء الناس فان الملاك راس العبودية وملاك العبادة والحمد لله
تعالى جل ذكره على العلم وهكذا يكون نظر اولي العلم الابصار واهل البصائر
والتوفيق فاذا تبين لك بهذه الجملة ان الطاعة لا تصلح للعبد ولا تسلم له

الا بالعلم فيلزم اذا تقديمه في شان العبادة واما الخصلة الثانية التي توجب
تقديم العلم ان العلم النافع يثمر خشية الله تعالى ومهابته وقال الله تعالى
انما يخشى الله من عباده العلماء وذلك ان من لم يعرفه حق معرفته لم
يهابه حق مهابته ولم يعظمه حق تعظيمه وحرمته فصار العلم يثمر الطاعة
كلها ويحجز عن المعصية كلها بتوفيق الله وليس وراء هذين مقصد
للعبد في عبادة الله تعالى فعليك بالعلم ارشدك الله يا سالك طريق الآخرة
اول كل شيء والله ولي التوفيق بفضله ورحمته لعلك تقول قد ورد الخبر
عن صاحب الشرع صلوات الله عليه انه قال طلب العلم فريضة على كل مسلم
فما العلم الذي طلبه فرض لازم وما الحد الذي لا بد للعبد من تحصيله في
امر العبادة فاعلم ان العلوم التي طلبها في الجملة فرض ثلثة علم التوحيد
وعلم السر اعني ما يتعلق بالقلب ومساعيه وعلم الشريعة واما
حد ما يجب من كل واحد منها فالذي يتعين فرضه من علم التوحيد
مقدار ما يعرف به اصول الدين وهو ان لك الها قادرا عالما حيا متكلما مريدا
سميعا بصيرا واحدا لا شريك له متصفا بصفات الكمال منزها عن دلالات
الحدوث متفردا بالقدم على كل محدث وان محمدا صلى الله عليه وسلم عبده ورسوله

الصادق في ما جاء به عن الله سبحانه وفي ما وكل على لسانه من امور الآخرة
ثم مسائلك في شعار السنة يجب معرفتها واياك ان تبتدع في دين الله تعالى
ما لم يات به كتاب ولا اثر فتكون مع الله تعالى على اعظم خطر وجميع ادلة
التوحيد موجود اصلها في كتاب الله سبحانه وقد ذكرها شيوخنا رضي الله
عنهم في كتبهم التي صنفوها في اصول الديانات وعلى الجملة كل ما لا تامن السلاك
مع جهله فطلب علمه فرض لا يسوغ لك تركه فهذه هذه وبالله التوفيق واما
الذي يتعين فرضه من علم السر فمعرفة مواجبه ومناهيه حتى يحصل
لك تعظيم الله سبحانه والاخلاص له والنية وسلامة العمل وجميع ذلك ياتي في كتابنا
هذا ان شاء الله تعالى عز وجل واما من علم الشريعة فكل ما يتعين عليك
من فعله وجب عليك معرفته لتؤديه كالطهارة والصلوة والصيام
واما الحج والزكوة والجهاد ان تعين عليك وجب عليك علمه لتؤديها والا فلا فهذا
حد ما يلزم العبد تحصيله من العلم لا محالة ويتعين فرضه بحيث لا بد لك
منه فان قلت فهل يفترض علي ان اتعلم من علم التوحيد ما انقض
به جميع ملل الكفر والزمهم حجة الاسلام وانقض به جميع البدع والزمهم حجة
السنة فاعلم ان هذا فرض على الكفاية انما يتعين عليك ما تصحح به اعتقادك

في اصول

في اصول الدين لا غير وكذلك لا يتعين عليك معرفة فروع علم التوحيد
ودقايقه والاتيان على جميع مسائله نعم ان وردت عليك شبهة في اصول
الدين تخاف ان تقدح في اعتقادك فيتعين عليك حل تلك الشبهة بما امكن من الكلام
المقنع واياك والمماراة والمجادلة فانه داء محض لا دواء له فاحترز منه جهدك فان
من ابتلاه لم يفلح الا ان يتغمده الله برحمته ولطفه ثم اعلم انه اذا كان في كل قطر
داع من دعاة اهل السنة يحل الشبهة ويرد على اهل البدع ويستقل بهذا العلم
ويصفي قلوب اهل الحق عن وساوس المبتدعة فقد سقط الفرض عنك سواك وكذلك
لا يلزمك معرفة دقايق علم السر وجميع شرح عجايب القلب الا ما يفسد عليك
عبادتك فتجب معرفته لتجتنبه وما يلزمك فعله كالاخلاص والحمد والشكر
والتوكل ونحو ذلك فيلزمك معرفته لتؤديه واما ما سواه فلا وكذلك لا يلزمك معرفة
ساير ابواب الفقه من البيوع والاجارات والنكاح والطلاق والجنايات وانما ذلك
فرض على سبيل الكفايات فان قلت هذا القدر من علم التوحيد هل يحصل
بنظر الانسان من غير معلم فاعلم ان الاستاذ فاتح ومسهل والتحصيل
معه اسهل واروح والله تعالى بفضله يمن على من يشاء من عباده وهو معلم الانسان
سبحانه وتعالى ثم اعلم ان هذه العقبة التي هي عقبة العلم عقبة كؤود ولكن بها ينال المطلوب

والمقصود نفعها كثير وقطعها شديد وخطرها عظيم كم من عدل عنها
فضل وكم من سلكها فاز وكم من تائه متحير فيها وكم من حسير
منقطع وكم من سالك قطعها في مدة يسيرة وآخر متردد فيها سبعين
سنة والامر كله بيد الله سبحانه وتعالى اما نفعه فهو ما ذكرناه من شدة
الحاجة بالعبد اليه وبناء امر العبادة كلها عليه لا سيما علم التوحيد وعلم
السر فلقد روي ان الله تعالى جل جلاله اوحى الى داود عليه
السلام فقال يا داود تعلم العلم النافع قال الهي وما العلم النافع قال ان تعرف
جلالي وعظمتي وكبريائي وكمال قدرتي على كل شيء فان هذا الذي يقربك
الي وعن علي رضي الله عنه انه قال ما يسرني ان لو مت طفلا فادخلت
الجنة ولم اكبر فاعرف ربي فان اعلم الناس بالله اشدهم خشية واكثرهم عبادة
واحسنهم في الله سبحانه وتعالى نصيحة اما شدتها فابذل نفسك بالاخلاص في
طلب العلم وليكن الطلب طلب دراية لا طلب رواية واعلم ان الخطر عظيم فمن
طلب العلم ليصرف به وجوه الناس اليه ويجالس به الامراء ويباهي به النظراء
ويتصيد به الحطام فتجارته بائرة وصفقته خاسرة قال ابو يزيد البسطامي
رحمه الله عملت في المجاهدة ثلثين سنة فما وجدت شيئا اشد علي من العلم وخطره

واياك

واياك ان يزين لك الشيطان فيقول اذا كان قدر هذا الخطر العظيم في العلم
فتركه اولى فلا تظنن ذلك فلقد روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال
اطلعت ليلة المعراج على النار فرايت اكثر اهلها الفقراء قالوا يا رسول الله من المال
قال لا من العلم فمن لم يتعلم العلم لا يتاتى له احكام العبادة والقيام بحقوقها ولو
ان رجلا عبد الله عبادة ملائكة السماء بغير علم كان من الخاسرين فتشمر
في طلب العلم بالجد والتلقين والتدريس واجتنب الكسل والملال والا فانت
في خطر عظيم الضلال والعياذ بالله تعالى جل ذكره ثم جملة الامر انك اذا نظرت في
دلائل صنع الله تعالى وامعنت النظر علمت ان لك الها عالما قادرا حيا مريدا
سميعا بصيرا متكلما منزها عن حدوث الكلام والعلم والارادة مقدسا
عن كل نقص وآفة لا يوصف بصفات المحدثين ولا يجوز عليه ما يجوز
على المخلوقين لا يشبه شيئا من خلقه ولا يشبهه شيء من خلقه ولا تتضمنه
الاماكن والجهات ولا تحله الحوادث والآفات ونظرت في معجزات الرسول
صلى الله عليه وسلم واعلام نبوته فعلمت انه رسول الله وامينه على وحيه كما كان
السلف الصالح يعتقدونه وان الله يرى في الآخرة لانه موجود وليس في جهة
محدودة وهو غير محدود وان القرآن كلام الله تعالى غير مخلوق وليس بحروف متقطعة

ولا اصوات مختلفة اذ لو كان كذلك لكان من جملة المخلوقات وانه لا يكون في الملك والملكوت
لمحة ولا لفتة ولا فلتة خاطر ولا لفتة ناظر الا بقضاء الله تعالى وقدرته وارادته ومشيته فمنه الخير
والشر والنفع والضر والايمان والكفر وانه لا واجب على الله تعالى لاحد من خلقه
فمن اثابه فبفضله ومن عاقبه فبعدله وما ورد على لسان صاحب الشرع صلوات الله
عليه من امور الآخرة كالحشر والنشر وعذاب القبر وسؤال منكر ونكير والميزان والصراط
فهذه اصول درج السلف الصالح رضي الله عنهم على اعتقادها والتمسك بها ووقع عليها
الاجماع قبل تنوع البدع وظهور الاهواء نعوذ بالله من الابتداع في الدين واتباع
الهوى بغير دليل ثم تطرق في اعمال القلب والمواجب الباطنة والمناهي التي تاتي في هذا
الكتاب ليحصل لك علمه ثم تعرف جملة ما يحتاج الى استعماله كالطهارة والصلوة والصوم
ونحوه فاذا فعلت فلقد اديت ما فرض الله تعالى عليك الا ان تتقدم في بابه بالعلم
فلقد صرت من علماء امة محمد صلى الله عليه وسلم الراسخين في العلم ان انت
عملت بعلمك واقبلت على عمارة معادك وكنت عبدا عالما عاملا لله على بصيرة
غير جاهل ولا مقلد ولا غافل ولك الشرف العظيم ولعلمك القيمة الكثيرة والثواب
الجزيل وكنت قد قطعت هذه العقبة وخلفتها وراءك وقضيت حقها باذن الله
تعالى جل ذكره والله سبحانه مسؤول بان يمدكم وايانا بحسن توفيقه وتيسيره انه ارحم الراحمين

ولا حول

ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم العقبة الثانية وهي عقبة التوبة

بسم الله الرحمن الرحيم رب تمم بالخير الحمد لله رب العالمين
والصلوة والسلام على رسوله محمد واله اجمعين ثم عليك يا طالب العلم والعبادة
وفقك الله بالتوبة ولاجل امرين احدهما ليحصل لك توفيق الطاعة فان شؤم
الذنوب يحرم ويورث الحرمان ويعقب الخذلان وان قيد الذنوب
يمنع عن المشي الى طاعة الله عز وجل والمسارعة الى خدمته وان ثقل الذنوب
يمنع عن الخفة الى الخيرات والنشاط في الطاعات وان الاصرار على الذنوب
مما يسود القلب فتجده في ظلمة وقساوة لا خلوص فيه ولا صفاوة
ولا لذة ولا حلاوة وان لم يرحم الله تعالى فيسحب صاحبها الى الكفر
والشقاوة فيا عجبا كيف يوفق للطاعة من هو في شؤم معصية
وقساوة وكيف يدعى الى الخيرات والخدمة من هو مصر على المعصية والجفوة
وكيف يقرب للمناجاة من هو متلطخ بالاقذار والنجاسات في الخبر عن
الصادق المصدق صلى الله عليه وسلم انه قال اذا كذب العبد تنحى عنه
الملكان من نتن ما يخرج من فيه فكيف يصلح هذا اللسان لذكر الله
عز وجل فلا جرم لا يكاد يجد المصر على العصيان توفيقا ولا تخف اركانه

لعبادة ربه وان اتفق فعله لاحلاوة معه ولا صفوة وكل ذلك بشوم
الذنوب وترك التوبة ولقد صدق من قال اذا لم تقو على قيام الليل وصيام
النهار فاعلم انك مكبول قد كبلتك خطيئتك فهذه هذه والثاني ان الامر
انما يلزمك التوبة ليقبل عنك عبادتك فان رب الدين لا يقبل الهدية وذلك
ان التوبة عن المعاصي وارضاء الخصوم فرض لازم وعامة العبادة التي
تقصدها نفل فكيف يقبل منك تبرعك والدين عليك حال لم تقضه وكيف تترك
لاجل الله الحلال والمباح وانت مصر على فعل المحظور والحرام وكيف تناجيه
وتدعوه وتثني عليه وهو والعياذ بالله عليك غضبان فهذا ظاهر حال العصاة
المصرين على المعصية والله المستعان فان قلت فما معنى التوبة النصوح
النصوح وحدها وما ينبغي للعبد ان يفعله حتى يخرج من الذنوب كلها
فاقول اما التوبة فانها اسم من مساعي القلب وهي عند التحصيل قول
العلماء رضي الله عنهم تنزيه القلب عن الذنوب قال شيخنا رحمه الله في حد
التوبة انها ترك اختيار ذنب سبق مثله عنه منزلة لا صورة تعظيما لله تعالى
وحذرا من سخطه فلها اذا اربع شرائط احدها ترك اختيار الذنب وهو ان
يوطن قلبه ويجرد عزمه على انه لا يعود الى الذنب البتة فاما ان ترك الذنب

وفي نفسه انه ربما يعود اليه او لا يعزم على ذلك بل يتردد فانه ربما يقع له
العود فانه ممتنع عن الذنب غير تائب عنه والثانية ان يتوب عن ذنب
قد سبق عنه مثله اذ لو لم يسبق عنه مثله لكان متقيا غير تائب الا يرى انه
يصح القول بان النبي عليه السلام كان متقيا عن الكفر ولا يصح القول بانه كان تائبا
عن الكفر اذ لم يسبق عنه الكفر بحال وان عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان تائبا
من الكفر لما سبق عنه ذلك والثالثة ان الذي سبق يكون مثل ما يترك اختياره
في المنزلة والدرجة لا في الصورة الا ترى ان الشيخ الهرم الفاني الذي قد سبق
منه الزنا وقطع الطريق اذا اراد ان يتوب عن ذلك يمكنه التوبة لا محالة اذ لم
يغلق عنه بابها ولا يمكنه ترك اختيار الزنا وقطع الطريق اذ هو لا يقدر الآن
على فعل ذلك فلا يقدر على ترك اختياره فلا يصح وصفه بانه تارك له ممتنع عنه
وهو عاجز عنه غير متمكن لكنه يقدر على ما هو مثل الزنا وقطع الطريق في المنزلة
والدرجة كالقذف والغيبة والنميمة اذ جميع ذلك معاص وان كان الاثم يتفاوت
في حق كل واحدة بقدرها لكن جميع ذلك هذه المعاصي الفرعية كلها
بمنزلة واحدة وهي دون منزلة البدعة ومنزلة البدعة دون منزلة الكفر
فلذلك صح منه التوبة عن الزنا وقطع الطريق وسائر ما مضى من الذنوب الذي

ملو عاجز عن امثالها اليوم في الصورة الرابعة ان يكون ترك اختيار
الذلك تعظيما لله عز وجل وحذرا من سخطه واليم عقابه مجردا لا لرغبة
دنيوية او رهبة من الناس او طلب ثناء او حسب او ضعف في النفس
او فقر او غير ذلك فهذه شرائط التوبة واركانها فاذا حصلت واستكملت
فهي توبة حقيقية صادقة واما مقدمات التوبة فثلث احدها ذكر
غاية قبح الذنوب الثانية ذكر شدة عقوبة الله عز وجل واليم سخطه
وغضبه الذي لا طاقة لك به الثالثة ذكر ضعفك وقلة حيلتك في ذلك
فان من لا يحتمل حر الشمس ولطمة شرطي وقرص نملة كيف يحتمل حر
نار جهنم وضرب مقامع الزبانية ولسع حيات كاعناق البخت وعقارب
كالبغال خلقت من النار في دار الغضب والبوار نعوذ بالله من سخطه وعذابه
فاذا واظبت على هذه الاذكار وعاودتها اناء الليل واطراف النهار فانها
ستحملك على التوبة النصوح من الذنوب والله الموفق بفضله فان قيل
اليس قد قال النبي صلى الله عليه وسلم الندم توبة ولم يذكر ما ذكرتم من
شرائطها وشدائدها قيل له اعلم اولا ان الندم غير مقدور للعبد الا ترى انه
يقع الندامة عن امور في قلبه وهو يريد ان لا يكون ذلك والتوبة مقدورة

للعبد مامور بها ثم انا قد علمنا انه لو ندم على الذنوب
لما ذهب بذلك جاهه للناس او ماله في النفقة فيهما فان ذلك
توبة بلا ريب فعلمت بذلك ان في الخبر معنى لم تفهمه من ظاهره
وهو ان الندم لتعظيم الله سبحانه وتعالى جل جلاله وخوف
عقابه مما يبعث على التوبة النصوح فان ذلك من صفات
التائبين وحالهم فانه لو ذكر المقدمات الثلث التي هي مقدمات
التوبة يندم وحملته الندامة على ترك اختيار الذنب وبقيت
ندامته في قلبه في المستقبل فحمله على الابتهال والتضرع فلما
كان ذلك من اسباب التوبة وصفات التائب سماه باسم التوبة
فافهم ذلك موفقا ان شاء الله تعالى فان قلت كيف يمكن الا
ان يصير بحيث لا يقع منه ذنب البتة من صغيرة او كبيرة وانبياء
الله صلوات الله عليهم الذين هم اشرف خلق الله تعالى قد
اختلف اهل العلم هل نالوا هذه الدرجة ام لا امر ممكن
غير مستحيل والله يختص برحمته من يشاء ثم من شرط
التوبة ان لا يتعمد ذنبا فاما ان وقع منه بسهو او خطا

فهو معفو عنه بفضل الله تعالى وهذا هين على من وفقه الله
سبحانه فان قلت انما يمنعني من التوبة اني اعلم من
نفسي اني اعود الى الذنب ولا اثبت على التوبة فلا فائدة
في ذلك فاعلم ان هذا من غرور الشيطان ومن اين لك هذا
العلم فعسى ان تموت تائبا قبل ان تعود الى الذنب واما الخوف
من العود فعليك العزم والصدق في ذلك وعليه الاتمام فان
اتم لك ذلك من فضله وان لم يتم فقد غفرت ذنوبك السالفة
كلها وتخلصت منها وتطهرت وليس عليك الا هذا
الذنب الذي احدثته الآن وهذا هو الربح العظيم والفائدة
الكبيرة ولا يمنعك خوف العود عن التوبة فانك من التوبة
ابدا بين احدى الحسنيين والله ولي التوفيق والهداية بفضله
هذه واما الخروج عن الذنوب والتخلص منها فاعلم ان الذنوب
في الجملة ثلثة اقسام احدها ترك واجبات الله تعالى عليك من صلوة
او صيام او زكوة او كفارة او غيرها فتقضي ما امكن والثاني
ذنوب بينك وبين الله تعالى كشرب الخمر وضرب المزامير واكل الربوا

ونحو ذلك فتندم على ذلك وتوطن قلبك على ترك العود الى مثلها
ابدا والثالث ذنوب بينك وبين العباد وهذه اشكل واصعب
وهي اقسام قد يكون في المال وفي النفس وفي العرض وفي الحرمة
او في الدين فما كان من المال فيجب ان ترده عليه ان امكنك
وان عجزت عن ذلك لعدم وفقر فتستحل منه وان عجزت عن ذلك
لغيبة الرجل او موته وامكن التصدق عنه فافعل وان لم يكن
فعليك بتكثير حسناتك والرجوع الى الله سبحانه بالتضرع والابتهال
ان يرضيه عنك يوم القيمة واما العرض فان اغتبته او بهته
او شتمته فحقك ان تكذب نفسك بين يدي من فعلت ذلك عنده
وان تستحل من صاحبه ان امكنك هذا ان لم تخش زيادة غضب
او هيج فتنة في اظهار ذلك او تجديده فان خشيت ذلك فالرجوع
الى الله تعالى ان يرضيه عنك والاستغفار الكثير لصاحبه
واما الحرمة فان خنته في اهله وولده ونحوه فلا وجه للاستحلال
والاظهار فانه يولد فتنة وغيظا بل تتضرع الى الله سبحانه ليرضيه
عنك ويجعل له خيرا كثيرا في مقابلته فان امنت الفتنة والهيج

فتنة في اظهاره لك او بحدبه فان خشيت ذلك فالرجوع
الى الله تعالى ليرضيه عنك فهو نادر فتستحل منه واما في الدين
بان كفرته او بدعته او ضللته فهو اصعب الامر فتحتاج
الى تكذيب نفسك بين يدي من قلت ذلك له وان تستحل
من صاحبك ان امكنك والا فالابتهال الى الله سبحانه جدا
والتندم على ذلك ليرضيه عنك وجملة الامر فما امكنك من
من ارضاء الخصوم عملت وما لم يمكنك راجعت الى الله سبحانه
بالتضرع والصدق ليرضيه عنك فيكون ذلك في مشيئة
سبحانه يوم القيمة والرجاء منه بفضله العظيم واحسانه
العميم انه اذا علم الصدق من قلب العبد فانه يرضي خصماءه
من خزائن فضله ولا حكم فاعلم هذه حقا ترشد راشدا
فهذه جملة فاذا انت عملت ما وصفناه وبرأت القلب
من اختيار مثله في المستقبل فقد خرجت من الذنوب
كلها وان حصلت منك تبرئة القلب ولم يحصل منك قضاء
الفوائت وارضاء الخصوم فالتبعات لازمة وسائر الذنوب

مغفورة ولهذا الباب شرح يطول ولم يحتمله هذا المختصر
وانظر كتاب التوبة من كتب احياء علوم الدين اولا
وكتاب القربة الى الله ثانيا وكتاب الغاية القصوى
ثالثا لتجد فوائد كثيرة وشرحا جما والذي ذكرناه ههنا
هو الاصل الذي لا بد منه وبالله التوفيق

فصل

ثم اعلم يقينا ان هذه العقبة عقبة صعبة امرها
مهم وضررها عظيم فلقد بلغنا عن استاذنا ابي اسحق
الاسفرايني رضي الله عنه وكان من الراسخين في العلم
العاملين انه قال دعوت الله سبحانه ثلثين ان يرزقني
توبة نصوحا ثم تعجبت في نفسي وقلت فسبحان الله حاجة
دعوت الله سبحانه فيها ثلثين سنة فما قضيت لي
الى الآن فرأيت فيما يرى النائم كأن قائلا يقول لي اتعجب
من ذلك تدري ماذا تسأل انما تسأل الله ان يحبك اما
سمعت قول الله جل جلاله ان الله يحب التوابين ويحب
المتطهرين اهذه حاجة هينة فانظر الى هؤلاء الائمة واهتمامهم

ومواظبتهم على اصلاح قلوبهم والتزود لمعادهم واما الضرر
المخوف فان اول الذنب قسوة ولؤم والعياذ بالله شوم
وشقوة فاياك ان تنسى امر ابليس وبلعم بن باعورا
كان مبدأ امرهما ذنبا ولؤما كفرا فهلكا مع الهالكين
ابد الابدين فعليك رحمك الله بالتيقظ والجهد على ان
تقطع عن قلبك عرق هذا الاصرار وتخلص قبل من هذه
لا قرار ولا ثبات فان القلب من الذنوب وتأمل
حالك فلقد قال بعض الصالحين ان سواد القلب
من الذنوب وتأمل علامة سواد القلب ان لا يجد للذنوب
مفزعا ولا للطاعة موقعا ولا للموعظة منجعا ولا
تستحقرن الذنوب فتحسب نفسك تائبا وانت مصر
على الكبائر فلقد بلغنا عن الحسن بن الحسين انه قال اذنبت
ذنبا واحدا انا ابكي عليه منذ اربعين سنة قيل ما هو
يا ابا عبد الله قال زارني اخ لي في الله فاشتريت له سمكا
فاكل ثم قمت الى حائط جاري فاخذت منه قطعة طين فغسل

بجنايتك فناقش نفسك وحاسبها وسارع
الى التوبة وبادر فان الاجل مكتوم والدنيا غرور
وتضرع الى الله سبحانه وابتهل واذكر حال ابينا
آدم عليه السلام الذي خلقه الله سبحانه بيده وحمله
الى جنته على اعناق الملائكة لم يذنب الا ذنبا واحدا
فنزل به ما نزل حتى روي ان الله تعالى قال يا آدم
اي جار كنت لك قال نعم الجار يا رب قال يا آدم اخرج
من جواري وضع عن راسك تاج كرامتي فانه لا يجاورني
من عصاني حتى انه فيما يروى بكى على ذنبه مائتي سنة
حتى قبل توبته وغفر ذنبه الواحد هذا حاله
مع نبيه وصفيه في ذنب واحد فكيف حال الغير
في ذنوب لا تحصى وهذا تضرع التائب وابتهاله
فكيف بالمصر المتعسف ولقد احسن من يخاف على
نفسه من يتوب فكيف ترى حال من لا يتوب وان
وان تبت ثم نقضت التوبة وعدت الى الذنب تائبا

فعد الى التوبة مبادرا وقل لنفسك لعلي اموت قبل
ان اعود الى الذنب هذه المرة وكذلك ثانيا وثالثا
ورابعا وكما اتخذت الذنب والعود اليه حرفة فا
تخذ التوبة والعود اليها حرفة ولا تكن في التوبة
اعجز منك في الذنب ولا تيأس ولا ينفعك الشيطان
من التوبة بسبب ذلك فانه دلالة الخير اما
تسمع قوله صلى الله عليه وسلم خياركم كل مفتن تواب
اي كثير الابتلاء بالذنب كثير التوبة منه والرجوع
الى الله تعالى بالندامة والاستغفار وتذكر قوله
سبحانه ومن يعمل سوءا او يظلم نفسه ثم يستغفر الله
يجد الله غفورا رحيما هذه هذه فصل
وجملة الامر انك اذا ابتدأت فبرأت قلبك عن الذنب
كلها بان توطنه على انه لا يعود الى الذنب الا
البتة فلتكن ما كان منك على وجه علم الله سبحانه
وتعالى صدق عزمك من قلبك ونرضي الخصوم بما امكنك

العذاب ما تقدر عليه وارجع في الباقي الى الله تعالى
بالابتهال والتضرع ليقبل ذلك ثم تذهب فتغتسل
وتغسل ثيابك وتصلي اربع ركعات كما يجب وتضع
وجهك على الارض في مكان خال لا يراك فيه احد الا الله
ثم تجعل التراب على راسك وتمرغ وجهك الذي هو اعظم
اعضائك في التراب بدمع جار وقلب حزين وصوت عال
تذكر ذنوبك واحدا واحدا ما امكنك وتلوم نفسك العاصية
عليها وتوبخها وتقول اما تستحيي يا نفس اما آن لك ان تتوبي
الك طاقة بعذاب الله سبحانه الك حاجة بسخط الله
سبحانه وتقول الهي عبدك الآبق رجع الى بابك عبدك
العاصي رجع الى الصلح عبدك المذنب اتاك بالعذر فاعف
عني بجودك وتقبلني بفضلك وانظر الي برحمتك اللهم
اغفر لي ما سلف من الذنوب واعصمني فيما بقي من الاجل
فان الخير كله بيدك وانت بنا رؤوف رحيم ثم تدعوا دعاء
الشدة ويا من تجلي عظائم الامور يا منتهى همة المهموم

اذا اراد امرا فانما يقول له كن فيكون احاطت بنا
ذنوب بانات المذخور لها يا مذخورا لكل شدة كنت لا ذخرك
لهذه الساعة فتب علي انك انت التواب الرحيم ثم اكثر
من البكاء والتذلل وقل يا من لا يشغله سمع عن سمع
يا من لا يغلطه السائل يا من لا يبرمه الحاح الملحين اذقنا
برد عفوك وحلاوة مغفرتك برحمتك يا ارحم الراحمين
انك على كل شيء قدير ثم تصلي على النبي عليه السلام وعلى آله ثم تستغفر
لجميع المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات ثم ترجع الى طاعة
الله عز وجل فتكون قد تبت توبة نصوحا وقد خرجت من
الذنوب كما يوم ولدتك امك واحبك الله سبحانه ولك
من الاجر والثواب وعليك من البركة والرحمة ما لا يحيط
به وصف واصف وحصل لك الامن والخلاص ونجوت من غضب
وعقوبة المعاصي وبليتها في الدنيا والاخرة وكملت قد قطعت
هذه العقبة الصعبة باذن الله سبحانه وتعالى والله ولي التوفيق
بمنه وفضله تم كتاب التوبة بعون وحسن توفيقه والحمد لله رب العالمين

انشد محمد بن منصور في حق الدنيا قال

فاذ لكل طالب الدنيا لم	طويلا لا يؤول الى انقطاع
وذل في المعيشة بغير عز	وفقر لا يدل على انتفاع
وشغل ليس يعقبه فراغ	وسعي دايم مع كل ساع
وحرص لا يزال عليه عبدا	وعبد الحريص ليس بذي انتفاع

والصلوة على محمد واله اجمعين برحمتك يا ارحم الراحمين العقبة
الثالثة وهي عقبة العوايق حتى يستقيم عبادتك وقد ذكرنا
ان العوايق اربعة احدها الدنيا ودفعها انما هو بالتجرد عنها والزهد
فيها وانما قلنا هذا التجرد والزهد لامرين احدهما لتستقيم لك العبادة
وتكثر فان الرغبة في الدنيا تشغلك اما ظاهرك بالطلب واما باطنك
بالارادة وحديث النفس وكلاهما يمنعان من العبادة فان النفس
واحدة والقلب واحد فاذا اشتغل بشيء انقطع عن ضده وان مثل
الدنيا والاخرة مثل الضرتين ان ارضيت احدهما اسخطت الاخرى
وانهما كالمشرق والمغرب بقدر ما تميل الى احدهما اعرضت عن الاخرى
اما شغلها في الظاهر فقد روينا عن ابي الدرداء رضي الله عنه انه قال
حاولت ان اجمع بين العبادة والتجارة فلم تجتمعا فاقبلت على العبادة
وتركت التجارة وعن عمر رضي الله انه قال حاولت لو كانتا تجتمعان
لاحد غيري لاجتمعتا لي لما اعطاني الله من القوة واللين فاذا كان
الحديث كذلك فاصبر بالغاية والسلام واما شغلها القلب وهو الباطن
فكان الارادة فما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من احب الدنياه

كان الله تعالى للدنيا ... اخدمي من خدمني واستخدمي
من خدمك

اضرّ بآخرته ومن احب آخرته اضرّ بدنياه فآثروا ما يبقى
على ما يفنى فان قلت لك انه اذا اشتغل ظاهرك بالدنيا وباطنك بارادتها
فلا تتسنّى لك العبادة جملتها واما اذا زهدت فيها وتفرغت
بظاهرك وباطنك تتسنّى لك العبادة بل يعاونك ولقد روي عن سلمان
الفارسي رضي الله عنه انه قال ان العبد اذا زهد في الدنيا استنار قلبه
بالحكمة ويعاونه اعضاؤه على العبادة فهذا هو الثاني من الامرين
انه يكثر قيمة عملك ويعظم قدره وشرفه فلقد قال النبي صلى الله
عليه وسلم ركعتان من رجل زاهد قلبه خير واحب الى الله
جل جلاله من عبادة المتعبدين الى آخر الدهر ابدا سرمدا
فاذا كانت العبادة تكثر وتشرف بذلك فحق لمن طلب العبادة
ان يزهد في الدنيا ويتجرد عنها فان قلت فما معنى الزهد
في الدنيا وحقيقة ذلك فاعلم ان الزهد عند علمائنا رضي الله عنهم
زهدان زهد مقدور للعبد وزهد غير مقدور فالذي هو مقدور
ثلثة اشياء ترك طلب المفقود من الدنيا وتفريق المجموع منها وترك
ارادتها واختيارها واما الزهد الذي هو غير مقدور للعبد فهذا

فهو برودة الشيء في قلب الزاهد ثم الزهد الذي هو مقدور للعبد
مقدمات للزهد الذي هو غير مقدور فاذا اتى به العبد بان
لا يطلب ما ليس عنده من الدنيا ويفرق ما عنده منها ويترك
بالقلب ارادتها واختيارها لا لغاية اورثته تلك برودة
الدنيا على قلبه لاجل الله وعظيم ثوابه وهذا عندي هو الزهد الحقيقي
ثم اعلم ان اصعب الامور الثلثة انما هو ترك الارادة بالقلب اذ كم تارك
لها بظاهره محب مريد لها بباطنه وهو في مكافحة ومقاساة
في نفسه شديدة فالشان كله في هذا ثم اسمع قوله سبحانه وتعالى
عز من قائل تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا في
الارض ولا فسادا علق الحكم على نفي الارادة دون الطلب والفعل
وقوله سبحانه عز من قائل من كان يريد حرث الآخرة نزد له في حرثه
ومن كان يريد حرث الدنيا نؤته منها وما له في الآخرة من نصيب
وقوله تعالى من كان يريد العاجلة عجلنا له فيها وقوله ومن اراد
الآخرة فانت ترى الاشارة كلها الى الارادة فاعرفها فهو المهم اذا
لكن العبد اذا واظب واستقام على الاولين اعني الترك والتفريق

فما هو الا من فضل الله سبحانه الكريم وعونه لدفع هذه الارادة والاختيار
عن قلبه فانه المفضل الكريم عز وجل ثم الذي يبعث على الترك والنفور
ويهون عليك ذلك ذكر آفات الدنيا وعيوبها قد اكثر الناس القول
في ذلك ففي قول بعضهم تركت الدنيا لقلة غنائها وكثرة عنائها وسرعة
فنائها وخسة شركائها قال شيخ الامام رحمه الله لكن يجيء من هذا
الرغبة لان من شركاء فوق احد احب وصاله ومن ترك شيئا
لمكان الشركاء فيه اخرج لو انفرد به فالقول البالغ ما قاله شيخنا رضي الله
عنه ان الدنيا عدوة الله عز وجل وانت محبه ومن احب احدا
ابغض عدوه او غالب ولانها في اصلها وسخة وجيفة الابوال والخرها
الى القذر والفساد والتلاشي والاضمحلال وكلها جيفة ضمخت وطيب
وطيبت بزينة فاغتر بظاهرها الغافلون وزهد فيها العاقلون
فان قيل فما حكم الزهد في الدنيا اهو فرض وفي الحلال او نفل فاعلم
ان الزهد يقع عندنا في الحلال والحرام ففي الحرام فرض وفي الحلال نفل
ثم هذه الحرام لمستقيمي الطاعة بمنزلة الميتة المستقذرة لا يقدم عليها
الا عند الضرورة بقدر دفع الضرر واما الزهد في الحلال فانما يكون فضلة

الا الأبدال يكون عندهم الحلال بمنزلة الميتة لا يتناولون منها الا قدرا
لا بد لهم منه والحرام عندهم بمنزلة النار لا يخطر ببالهم قصد تناوله بحال
فهذا هو معنى الزهد على القلب بان ينقطع همته عنها ويستقذرها
ويستنكرها جدا فلا يبقى لها في قلبه اختيار وارادة فان قلت كيف يمكن
ان تصير الدنيا في شهواتها ولذاتها العجيبة المطلوبة عند انسان بمنزلة
النار او بمنزلة الجيفة المستقذرة المستحيلة والنشئة بنيتنا والطبع
طبعنا فاعلم ان من وفق التوفيق الخاص وعلم آفاتها وقذرها في اصلها
تصير عنده كذلك وانما يتعجب من هذا الراغبون العميان عن عيب
الدنيا وآفاتها المغترون بظاهرها وزينتها وساضرب لك مثلا
لذلك فاعلم ان هذا المثل بانسان صنع خبيصا شرايطه من السكر
والسمن ثم طرح فيه قطعة سم فابصره رجل ولم يبصره الآخر
ووضع الخبيص بين ايديهما حتى تناول منه فالرجل الذي ابصر ما جعل
فيه من السم يكون زاهدا في ذلك الخبيص لا يخطر بباله ان يتناوله
بحال البتة ويكون ذلك عنده بمنزلة النار بل اصعب لمكان ما يعلم من آفته
فلا يغتر بظاهره المزخرف وزينته واما الرجل الآخر الذي لم يبصر
ما جعل فيه

اغتر بظاهره المزخرف وحرص عليه ولم يصبر عنه واخذ يتعجب من صاحبه الزاهد فيه وربما يسفهه في ذلك فهذا مثل حرام الدنيا مع البصراء المستبصرين والجهال الراغبين واما حلال الدنيا وان لم يطرح فيه السم فبزق فيه او امتخط ثم خضخض وزينه فالرجل الذي شاهد منه ذلك الفعل يكون مستقذرا لاكل الخبيص نافرا عنه لا يكاد يقدم عليه الا عند الضرورة وشدة الحاجة والذي لم يشاهد ذلك فهو جاهل بما فيه مغتر بظاهره حريص عليه مكب محب فهذا مثل حلال الدنيا مع الفريقين اهل البصيرة والاستقامة واهل الرغبة والغفلة وانما اختلف حال الرجلين مع تساويهما في الطبع والبنية لبصارة وعلم كان لاحدهما وجهل وخفاء كان للآخر فلو علم الراغب وابصر ما علم الزاهد لكان زاهدا مثله ولو جهل الزاهد وعمي عما عمي عنه الراغب لكان راغبا مثله فعلمت بذلك ان هذا التمييز لمكان البصائر دون الطبائع وهذا اصل مفيد وكلام بين سديد اعترف به من عقل وانصف والله تعالى ولي الهداية والتوفيق بفضله فان قيل فلا بد لنا من قدر من الدنيا ليكون قواما لنا فكيف نزهد فيها فاعلم ان الزهد في الفضول مما

لكن بصق فيه او امتخط ثم خضخض

عند التعجب

اليه في قوام البنية فالمقصود المؤلف والقوة حتى تعبد الله سبحانه لا الاكل والشرب والتلذذ والله تعالى ان شاء اقامها بشيء وسبب وان شاء اقامها بغير سبب كالملائكة ثم ان كان بشيء ان شاء فبشيء حاصل عندك او تطلبه وتكسبه وان شاء بشيء غيره يسببه لك من حيث لا تحتسب من غير طلب منك وكسب كما قال تعالى ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب فاذا الاحتياج بحالة الى طلب وارادة وان لم تقو على ذلك وطلبت واردت فانو بذلك العدة على عبادة الله سبحانه دون الشهوة واللذة فانك اذا نويت ذلك كان الطلب والارادة منك خيرا وطلبا للآخرة بالحقيقة لا للدنيا ولا يقدح في زهدك مجرد ذلك فاعلم هذه الجملة راشدا وبالله التوفيق

العايق الثاني الخلق ثم عليك وفقك الله وايانا لطاعته بالتفرد عن الخلق وذلك لامرين احدهما انهم يشغلونك عن عبادة الله عز وجل على ما حكي عن بعضهم انه قال مررت بجماعة يترامون وواحد جالس بعيدا منهم فاردت ان اكلمه فقال لي ذكر الله اشهى الي من كلامك فقلت انت وحدك فقال معي ربي وملكاي فقلت من سبق من هؤلاء فقال من غفر الله له فقلت اين الطريق فاشار بيده الى السماء وقام ومضى

ما الخلق لِمَ ايشغلونك عن العبادة بل يشغلونك منها بل يوقعونك في الشر

والهلاك على ما قال حاتم الاصم رحمه الله طلبت من هذا الخلق خمسة اشياء فلم اجدها

طلبت منهم الطاعة والزهادة فلم يفعلوا فقلت اعينوني عليهما ان لم تفعلوا

فلم يفعلوا فقلت ارضوا مني ان فعلت فلم يفعلوا فقلت لا تنهوني عنهما

اذا فعلوا فقلت لا تدعوني إذن الى ما لا يرضى الله سبحانه وتعالى ولا

تعادوني عليهما ان لم اتابعكم فقد فعلوا فتركتهم واشتغلت بخاصة نفسي

واعلم ايها الاخ في الدين ان نبيك محمدا صلى الله عليه وسلم وصف زمان العزلة

وبين نعته ونعت فيه اهله وامر فيه بالتفرد وكان لا محالة اعلم بالمصالح

وانصح لنا منا لانفسنا فان وجدت زمانك على ما وصف وبين فامتثل

امره صلى الله عليه وسلم واقبل نصيحته ولا تشك في انه صلى الله عليه

وسلم كان اعرف بما يصلح لك في زمانك فلا تتعلل بالعلل الكاذبة ولا تخادع

نفسك والا فانت هالك ولا عذر لك والوصف الذي ذكرناه ما روي في الخبر المشهور

عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه انه قال بينما نحن حول رسول

الله صلى الله عليه وسلم اذ ذكر الفتنة فقال اذا رأيتم الناس قد مرجت عهودهم

وخفت اماناتهم وكانوا هكذا وشبك بين اصابعه فقلت فما اصنع عند ذلك

جعلني الله فداك قال الزم بيتك بين اصابعه واملك عليك لسانك

وخذ ما تعرف ودع ما تنكر وعليك بأمر الخاصة ودع عنك امر العامة

وذكر في خبر آخر انه قال عليه السلام ذاك ايام الهرج قيل وما ايام الهرج

قال حين لا يأمن الرجل جليسه وذكر ابن مسعود رضي الله عنه

في خبر آخر للحارث بن عميرة انه قال له ان يدفع عن عمرك فسيأتي عليك زمان

كثير خطباؤه قليل علماؤه كثير سؤاله قليل معطوه الهوى فيه قائد العلم

قال ومتى ذلك قال اذا اميتت الصلوة الصلوة وقبلت الرشا وبيع

الدين بعرض يسير من الدنيا فالنجا ويحك ثم النجا قلت وجميع ما ذكر

في هذه الاخبار تراه بعينك في زمانك واهله فانظر لنفسك ثم ان

السلف الصالح رضوان الله عليهم اجمعين اجمعوا على التحذير من

زمانهم واهله وآثروا العزلة وامروا بذلك وتواصوا بها ولا شك انهم

كانوا ابصر وانصح وان الزمان لم يصر بعدهم خيرا مما كان بل شرا

واضر وهو ما ذكر عن يوسف بن اسباط انه قال سمعت الثوري يقول

والله الذي لا اله الا هو لقد حلت العزلة في هذا الزمان فقلت انا

ولئن حلت في زمانه ففي زماننا هذا وجبت وافترضت وعن سفيان ايضا

انه كتب الى عباد الخواص رحمهم الله اما بعد فانك في زمان كان اصحاب
محمد صلى الله عليه وسلم رضي الله عنهم يتعوذون بالله من ان يدركوه فيما بلغنا
ولهم من العلم ما ليس لنا فكيف بنا حين ادركناه على قلة علم وقلة
صبر وقلة اعوان على الخير وكدر من الدنيا وفساد من الناس فان عمر بن
الخطاب رضي الله عنه قال في العزلة راحة من الخلطاء السوء وهو مثل
هذا قبل هذا الزمان الذي كنا نحاذره في قول كعب وفي قول ابن مسعود
انعم اصحبه من لا زمان ملتبس فيه لا يلبس تصويب وتصعيد
ان دام هذا ولم يحدث له غير لم يبك ميت ولم يفرح بمولود ولقد
وجدت عن سفيان بن عيينة انه قال قلت للثوري اوصني قال اقلل من
معرفة الناس قلت يرحمك الله اليس قد جاء في الخبر اكثروا من معرفة
الناس فان لكل مؤمن شفاعة قال لا احسب رأيت قط ما تكره الا
ممن تعرف قلت اجل ثم مات فرأيته بعد موته في المنام فقلت يا ابا
عبد الله اوصني قال اقلل من معرفة الناس ما استطعت فان التخلص
منهم شديد وقد قيل في معنى هذا الخبر نظما وما زلت مذ لاح المشيب
بمفرقي افتش عن هذا الورى واكشف فما ان عرفت الناس الا ذممتهم

جزى الله خيرا كل من لست اعرفه قال الفضيل رحمه الله
هذا زمان احفظ لسانك واخف مكانك وعالج قلبك وخذ ما تعرف
ودع ما تنكر وقال الثوري هذا زمان السكوت ولزوم البيوت
والرضا بالقوت الى ان تموت عن داود الطائي رحمه الله انه قال لبعض
اصحابه صم عن الدنيا واجعل فطرك الآخرة وفر من الناس فرارك
من الاسد وعن ابي عبيد ما رأيت حكيما قط الا قال لي عقيب كلامه
ان احببت ان لا تعرف فانت من الله على بال والاخبار في هذا الباب
اكثر من ان يحتمله هذا الكتاب وقد صنفنا فيه كتابا مفردا وسميناه
كتاب اخلاق الابرار والنجاة من الاشرار فقف عليه تدرك العجب والعاقل
اشارة والله ولي التوفيق والهداية بفضله واما الخصلة الثانية
التي تقتضي التفرد عن الناس في هذا الشأن ان الناس يفسدون عليك
ما تحصل لك من العبادة ان لم يعصمك الله تعالى بسبب ما يعرض من قبلهم
من دواعي الرياء والتزين ولقد صدق يحيى بن معاذ رحمه الله حيث قال

رؤية الناس بساط الرياء وهؤلاء الزهاد قد خافوا على انفسهم
من هذا المعنى حتى تركوا الملاقاة والتزاور ولقد ذكر ان هرم بن
حيان قال لاويس القرني رحمه الله لما التقيا يا اويس صلنا بالزيارة
واللقاء فقال اويس قد وصلتك بما هو انفع لك منهما وهو الدعاء
على ظهر الغيب لان الزيارة واللقاء يعرض فيهما التزين والرياء وقيل
لسليمان الخواص قدم ابراهيم بن ادهم افلا تاتيه فقال لان القى شيطانا
ماردا احب الي من لقائه فاستنكروا ذلك من قوله فقال اني
اذا لقيته اخاف ان اتزين له واذا لقيت شيطانا امتنع منه ولقد
لقي شيخ الامام بعض العارفين فتذاكرا مليا ثم دعيا في آخر حديثهما
وقال الشيخ للعارف وما اظنني جلست مجلسا انا له ارجى من مجلسي
هذا فقال له العارف لكني ما جلست مجلسا انا اخوف من مجلسي هذا
الست تعمد الى احسن حديثك وعلومك فتحدثني بها وتظهرها
بين يدي وانا كذلك فقد وقع الرياء فبكى شيخ الامام مليا ثم غشي عليه وكان

بعد ذلك يتمثل بهذه الابيات يا واقفا في موقف جانيه اخوف من ان
يعدل الحاكم او لا ذرا الله بعصيانه وليس له من دونه راحم يا راغبا
منك عن ذنب اشرف الا انه نادم فهذه حال اهل الزهد والرياضة
في علمائهم فكيف حال اهل الرغبة والبطالة بل حال اهل الشر والجهالة
واعلم ان الزمان قد اصبح في فساد عظيم واصبح الناس في خير كثير
فانهم يشغلونك عن عبادة الله حتى لا يكاد تحصل لك منها شيء ثم يفسدون
عليك ما حصل لك حتى لا يكاد يسلم لك الا شيء فيلزمنك العزلة والتفرد
عن الناس والاستعاذة بالله من شر هذا الزمان واهله والله تعالى
الحافظ بفضله ورحمته فان قيل فما حكم العزلة والتفرد عن الناس
بين لنا حال طبقات الخلق فيها والحد الذي يجب منها فاعلم رحمك الله
وايانا ان الناس في هذا الباب رجلان رجل لا حاجة للخلق اليه
في علم وبيان حكم فالاولى بهذا الرجل التفرد عن الناس فلا يخالطهم
الا في جمعة او جماعة او عيد او حج او مجلس علم بالسنة او حاجة في
معيشة

لا بدّ له من ذلك والاضطرار يبيح ويلزم لكنه لا يَعرف ولا يُعرف
فأمّا إنْ أحبّ هذا الرجل أن ينقطع عن الناس فلا يخالطهم في أمر
من الأمور البتة من دين ودنيا وجمعة وجماعة وغيرها لما يرى له في ذلك من
مصلحة وفراغة فإنه لا يسعه ذلك إلا بأحد أمرين إمّا أن يصير إلى
موضع لا يلزمه هنالك هذه الفروض كرؤوس الجبال وبطون الأودية
ونحوها ولعل هذا أحد الوجوه التي دعت العُبّاد إلى تلك المواضع البعيدة
عن الناس وإمّا أن يتيقن بالحقيقة أن الضرر الذي يلحقه في مخالطة
الناس بسبب هذه الفروض أعظم من تركها حتى يكون له عذر في ذلك
ولقد رأيت أنا بمكة حرسها الله بعض المشايخ المتعبدين من أهل
العلم وهو لا يحضر المسجد الحرام في الجماعات مع قربه منه وسلامة
حاله فحاورته في ذلك يومًا في حال ترددي إليه فذكر من عذره
ما أشرنا إليه وقوله إن ما يحصل من الثواب لا يفي بما يلحقه من الآثام
والتبعات في الخروج إلى المسجد ولقاء الناس قلتُ أنا من جملة الأعلام

فلا عتب على المعذور والله تعالى أولى بالعذر وهو عليم بذات الصدور
ولكن الطريق العدل فيه هو الأول بأن يشارك الناس في الجمعة
والجماعات وضروب الخيرات ويباينهم فيما سوى ذلك فإن أحب الطريق
الثاني بأن ينقطع عن الناس بمرة فسبيله الخروج إلى موضع لا يتوجه
عليه هذه الفروض فيها ثم إن الطريق الثالث أن يكون مع الناس في مصر
واحد لا يحضر جمعة ولا جماعة لعذر يراه في ذلك من وزر أو تبعة
عليه فإنه يحتاج إلى نظر دقيق وعوارض عظيمة حتى يسقط عنه ذلك
وفيه خطر من الغلط فالأولان أسلم وأحوط له والله ولي الهداية
وأما الرجل الكامل فرجل يكون قد فرغ في العلم بحيث يحتاج الناس إليه في أمر
دينهم لبيان حق أو رد على مبتدع أو دعوة إلى خير بفعله وبقوله ونحو
ذلك فلا يسع هذا الرجل الاعتزال عن الناس بل ينصب نفسه ناصحًا
بينهم لخلق الله تعالى ذابًّا عن دين الله مبيّنًا لأحكام الله فلقد
روينا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال إذا ظهرت البدع وسكت

فعليه لعنة الله هذا الا كان بينهم ولا احرج من بينهم فلا يجد
له ذلك ايضا ولقد حكي ان الاستاذ ابا بكر بن فورك رحمه الله
قصد ان يتفرد لعبادة الله عن الخلق فبينما هو في بعض الجبال
إذ سمع صوتا ينادي يا ابا بكر اذا صرت من حجج الله على خلقه
تركت عبادة الله فرجع الي مكانه وكان هذا سبب رجوعه
وصحبة للخلق وذكر لي ما هو بن احمد رحمه الله ان الاستاذ
ابا اسحق رحمه الله قال لعباد جبل لبنان يا اكلة الحشيش
تركتم امة محمد صلى الله عليه وسلم في ايدي المبتدعة ويخوضون
بانواع البدع والكرامات فهنيئا لهم باطنهم واخس الله عزاء
من غفل عن النظر في خلاص نفسه واما الطالب الذي لم يصل
الي المقصود كامثالنا ولقد عرض لي في حقيقة حالي ابيات
من الشعر وهي ظفر الطالبون واتصل الوصل
وفاز اهل الحباب بالاحباب وبقينا مذبذبين حيارى

واستغلتم

واستغلتم ههنا باكل الحشيش قالوا له إنا لا نقوى على صحبة
الناس وانما اعطاك الله قوة فبلغ مكة ذلك فصنف بعد ذلك كتابه الجامع
الجلي والخفي وكان لهم مع غزارة علمهم العمل الجم والنظر الدقيق في سلوك طريق
الآخرة فاعلم ان مثل هذا الرجل المحتاج اليه الناس في باب الدين يحتاج في
صحبة الناس الي امرين شديدين احدهما صبر طويل وحلم عظيم ونظر لطيف
واستعانة بالله دائمة والثاني ان يكون في هذا المعنى مستغنيا عنهم وان كان
بالشخص معهم فان كلموه كلمهم وان زاروه عظمهم على قدرهم وشكرهم
وان سكتوا عنه واعرضوا استغنم ذلك منهم وان كانوا في خير
وحق ساعدهم وان صاروا الي لغو وشر خالفهم وحاجرهم بالرفق عليهم وزجرهم
ان نجا قبوله لهم ثم يقوم بجميع حقوقهم من الزيارات والعيادات وقضاء
الحاجات التي ترفع اليه عما امكنه ولا يطالبهم بالمكافات ولا يرجوا
ذلك منهم ولا يرجعهم من نفسه اي شيء شاكرا لذلك ويباسطهم بالبذل
اذا قدر ويقبض عنهم في الاخذ ان اعطى ويحتمل منهم الاذى ويظهر لهم
البشر ويتجمل لهم بظاهره ويكتم حاجاته عنهم فيقابلها ويعالجها في سره
وباطنه ثم يحتاج مع ذلك الي ان ينظر لنفسه خاصة فيجعل لها حظا من العبادة

لما قال عمر بن الخطاب رضي الله ان بت الليل لاضيعن نفسي

وان بت النهار لاضيعن الرعية فكيف لي بالنوم بين هاتين وفي

هذا المعنى عرضت لي ابيات من الشعر وهي هذه فان كنت

في مدين الابة راغبا فوطن على ان تركبك الوقايع بنفس وقور عند كل كريهة

وقلب صبور وهو في الصدر حايع لسانك مخزون وراسك ملجم

وسرك مكتوم لدى الدب ذايع ومكرك مغمور وبابك مغلق

وثغرك بسام وبطنك جايع وقلبك مجروح وسوقك كاسد

وفضلك مدفون وطبعك شايع وفي كل يوم انت جارع غصة

من الاهل والاخوان والقلب طايع نهارك شغل الناس عن غير صحة

وليلك شوق غاب عنه الطلايع فدونك هذا الليل خذه ذريعة

ليوم عبوس عند فيه الزرايع نعم فالنفس يكون فمهم ذلك

والقلب على ابعد عنهم وذلك لعمري امر شديد وعيش نكد وجهه يقول

بشخارة وصيته بان تعيش مع اهل زمانك والتقيد بهم ثم قال ما اشد هذا العيش

مع الاحياء والاقتداء بالاموات وعن بن مسعود رضي الله عنه خالط الناس وزايلهم بعملك

وذمك لاتكلمته فهذه نكتة مقنعة ثم اقول الاجاج الغير بعضها ببعض وتراجع

الامر وولي الناس عن امر الدين مدبرين لا يدفعون في مؤمن

الا ولا ذمة ولا يطلبون عالما ولا يرمقون مفيدا ولا يعنيهم امر دينهم

البتة وترى الفتنة تعم العامة وتدب بين الخاصة فللعالم العذر في العزلة

والتفرد عن الخلق ودفن العلم واخاف ان ما ذكرناه هو هذا الزمان النكد

الصعب والله المستعان وعليه التكلان فهذا حكم العزلة والتفرد عن

الناس فانهم فان الغلط فيه عظيم والضرر كثير وبالله التوفيق

فان قيل اليس روي عن النبي عليه السلام انه قال عليكم بالجماعة

فان يد الله على الجماعة فان الشيطان ذيب الانسان ياخذ الشاذة و

الناحية والقاصية وقال عليه السلام ان الشيطان مع الفذ وهو من الاثنين

ابعد فاعلم ان هذا ورد وورد ايضا الزم بيتك وعليك بالخاصة

واحرا بالعزلة والفرقة في الزمان السوء ولا تناقض في قوله عليه السلام

عليكم بالجماعة يحتمل ثلثة اوجه احدها انه يعني به في الدين والحكم انها لا تجتمع

هذه الامة على ضلالة فخرق الاجماع والحكم بخلاف ما عليه جمهور

الايمة والشذوذ عنهم باطل وضلال فاما ان يعتزل عنهم لصلاح في دينه

فليس هذا من ذلك في شي

والثاني عليكم بالجماعة بان لاينقطعون عنهم في جمعهم وجماعتهم ونحوها
فان فيها قوة الدين وجمال الاسلام وغيظ الكفار والملحدين
ولا يخلو ذلك من بركات من الله بالرحمة وكذلك نقول انه حق
المتفرد ان يشارك الناس في الجموع العامة في الخير وان يجانبهم
في الصحبة والمزاحمة في ساير الامور لما فيها من ضروب الآفة والثالث
ان ذلك في غير زمان الفتنة للرجل الضعيف في امر الدين واما الرجل
البصير القوي في امر الله تعالى لو اراى زمان الفتنة الذي حذر
رسول الله صلى الله عليه وسلم الامة منه وامرهم بالعزلة فيه فالعزلة
اولى له في الخلطة من الناس والآفة وان لاينقطع عن جموع الاسلام والخيرات
العامة فان اراد ان ينفرد عن الناس بمرة فليسكن بشاهق
جبل او بطن فلاة لصلاح يراه في دينه ثم قلت ولا ارى مثل هذا
الرجل ايما كان الا ويمكنه الامر من حضور الجماعات والجمعات
وساير جموع الاسلام فيحضر لئلا يفوته الحظ منها ايضا فان جموع
الاسلام من الله تعالى بمكان وان تعين الناس وقدم كذا احصا من حال الجبل
[illegible] بالتحيات

بين حق الوصال والاجتناب ثم نجمع القلوب بالبعاد وبهذا
نعتن حال المحال للالباب فاسقنا منك شربة لا تطلب
الغم وتهدي الى طريق الصواب فلنقبض الآن عنان الجنان
ونرجع الى المقصود من شان العزلة فقد خرجنا من شرط الباب
فان قيل اليس قد قال النبي عليه السلام رهبانية امتي الجلوس
في المساجد وفيه زجر عن التفرد فاعلم ان ذلك في غير زمن
الفتنة كما ذكرناه وايضا فانه يجلس في المسجد ولا يخالط الناس
فلا يداخلهم فيكون الشخص معهم وفي المعنى منفردا وهذا هو
المعنى في العزلة والتفرد الذي نحن في شرحه لا التفرد بالشخص
والمكان فافهم ذلك يرحمك الله وفيه يقول ابراهيم بن ادهم كن واحدا
جامعا ومن ربك ذا انس ومن الناس وحشيا فان قيل
فما تقول في مدارس علماء الآخرة ورباطات الصوفية فانها على
طريق الآخرة والكون فيها فاعلم ان ذلك الطريقة المثلى في هذا الشان

لعامة اهل الاسلام والاجتهاد وذلك لانها جمعت المعنيين والفائدتين
اللتين احديهما العزلة عن الناس والتفرد عنهم بالصحبة والمخا
لطة والمزاحمة في امورهم والثانية المشاركة معهم في جمعهم
وجماعتهم وتكثير شعاير الاسلام فتحصل السلامة التي هي للمنفردين
والخير الكثير الذي هو لعامة المسلمين مع ما للناس فيهم من العزة
والبركة والنصيحة فصار الكون فيها اعدل طريق واحسن
حال واسلم سبيل ولذا الشان اقام اكثر من العلماء فيما بين الناس
لنفعهم ولعباد الله تعالى في باب الدين وقلة اذاهم ومشا
هدة الخلق لآدابهم وحسن رسومهم ليقتدوا بهم فان لسان
الحال افصح من لسان المقال فصار ذلك احسن تدبير في امر
الدين والعلم والعبادة واحكم راي فان قيل فما حال
المريد مع المجتهدين والمرتاضين ايصحبهم ام يعتزلهم فاعلم
انهم اذا كانوا ثابتين على رسومهم الاولى وسيرهم الموروثة

عن سلفهم

عن سلفهم فهم اهل اخوان في الله تعالى واصحاب واعوان
على عبادة الله تعالى فلا يشكل عنهم عزلة وتفرد وانما مثلهم
مثل ما يجمع من نقاد لبنان وغيرهم ان منهم جماعات يتعا
ونون بالبر والتقوى ويتواصون بالحق وبالصبر واما
اذا تغيروا وتركوا رسومهم واخلوا بطرايقهم الموروثة
من اسلافهم الصالحين فحكم هذا المجتهد المرتاض معهم كحكمه
مع ساير الناس يلزم زاويته ويكف لسانه ويشاركهم
في جماعاتهم ولجابتهم في ساير احوالهم واوقاتهم فيكون من عزلة
من اهل العزلة منفردا عن المنفردين فان قلت ما بال
اختار هذا المجتهد المرتاض ان يخرج من بينهم الى مكان آخر
لصلاح يراه في نفسه ويتجنب آفة تدخل في صحبتهم فاعلم
ان هذه المدارس والرباطات بمنزلة حصن يتحصن
بها المجتهدون عن القطاع والسراق وان الخارج بمنزلة الصحرا
تدور فيها فرسان الشياطين عسكرا عسكرا فيسلبوا
ايمانهم

فكيف حاله لو اخرج الي الصحرا، وتمكن العدو وعنه من كل جانب
يعدو به ما شا، فاذا ليس لهذا الضعيف الا لزوم الحصن واما
الرجل القوي البصير الذي لا يغلبه الاعدا، واستوي عنده الحضر
والصحرا فلا حرج عليه لو اخرج غير ان الكون في الحصن احوط
على كل حال اذ لا يامن من الفلتات والاتفاقات السو، ولذا
كان بهذه الجملة فالكون مع رجال الله والصبر على مشقة
الصحبة اولي للمرتاض وطالب الخير بكل حال وان لا حاجة
للقوي البالغ مبلغ الاستقامة عن التفرد عنهم فاعلم
هذه الجملة وتاملها تغنم وتسلم ان شاء الله عز وجل
فانقول في زيارة الاخوان في الله عز وجل ومواصلة
الاصحاب بالتلاقي والتذكير ان زيارة الاخوان في الله تعالى من
جواهر عبادة الله سبحانه وفيها الزلفة الكريمة الي الله عز وجل
مع ما فيها من ضروب الفوايد وصلاح القلب لكن بشرطين
احدهما ان لا يخرج في ذلك الي الاكثار والافراط قال النبي
صلى الله عليه وسلم لابي هريرة رضي الله عنه زر غبا تزدد حبا

وانما

والثاني ان يحفظ حق ذلك بالتجنب عن الريا والتزين وقول
اللغو والغيبة ونحو ذلك فيعود ذلك عليك وعلى اخيك
الوبال فلقد حكي ان الفضيل وسفيان رحمهما الله تذاكرا
فبكيا فقال سفيان يا ابا علي ارجو انا ما جلسنا مجلسا انجى
لنا من هذا فقال الفضيل ما جلست مجلسا اخوف من
هذا فقال وكيف يا ابا علي الست تعمد الي احسن حديثك فتحدثني
وانا عمدت الي احسن ما عندي فحدثتك فتزينت وتزينت
لك فبكى سفيان فيجب ان يكون مجالستك الاخوان وملاقاتهم
على مقدار وقصد في احتياط ونظر لطيف فلا يقع ذلك خ في
في عزلتك وتفردك عن الناس ولا يعود عليك وعلى اخيك
بضرر وآفة بل بخير كثير ونفع عظيم والله الموفق فان قلت
فما يعينني على العزلة عن الناس والتفرد ويهون علي ذلك ان
الذي يهون ذلك عليك ثلاثة امور احدها استغراق اوقاتك
في العبادة فان في العبادة شغلا وان الاستيناس بالناس من علامة

الملابس فاذا رأيت نفسك تطلع الى كلام الناس وعلاقاتهم من
غير حاجة وضرورة فاعلم ان ذلك فضول شاقة الفراغ والبطر
ولقد احسن من قال في هذا المعنى ان الفراغ الى سلاحك قادني
ولربما جلب الفضول الفارغ فاذا الفا عانقت العبادة حقها وجدت
حلاوة المناجاة واستانست بكتاب الله سبحانه واشتغلت عن
الخلق واستوحشت عن صحبتهم وكلامهم وفي الخبر ان موسى
عليه السلام كان اذا رجع من المناجات يستوحش من الناس
وكان يجعل اصبعيه في اذنيه لئلا يسمع كلامهم وكان كلامهم عنده
في النفور والوحشة في ذلك الوقت كاصوات الحمير وعليك بما قاله
شيخنا رضي الله عنه اتخذ الله صاحبا وذر الناس جانبا والثاني
قطع الطمع عنهم مرة فانهم لا يملكون عملك اعدائهم لان منهم لا ترجو نفعه
ولا تخاف ضره فوجوده وعدمه سواء والثالث تبصر آفاتهم
وتتذكر ذلك وتكرره على قلبك فان هذه الاذكار الثلاثة اذا
لزمتها طردتك عن صحبة الخلق الى باب الله تعالى والتفرد له
وحببت اليك والزمتك بابه وبالله التوفيق والعصمة

الشيطان ثم عليك ايها الرجل بمحاربة الشيطان وقهره وذلك لخصلتين احدهما
انه عدو مضل لا مطمع فيه لمصالحة واتقاء عنه بل لا يقنعه الا هلاكك اصلا فلا
وجه للامن من مثل هذا العدو والغفلة عنه وتأمل آيتين من كتاب
الله سبحانه احدهما قوله سبحانه الم اعهد اليكم يا بني آدم ان لا تعبدوا الشيطان
انه لكم عدو مبين والثانية ان الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا
وهذا اقصى التحذير وغايته والخصلة الثانية انه مجبول على عداوتك
ومنتصب ابدا لمحاربتك فهو آناء الليل واطراف النهار يرميك بسهامه
وانت غافل فكيف يكون الحال ثم وقعت معك نكتة اخرى وهي انك
في عبادة الله تعالى ودعوة الخلق الى باب الله سبحانه بفعلك وقولك
وهذا ضد صنيع الشيطان وهمته ومراده وحرفته فصرت كانك
شددت وسطك لمغايظة الشيطان وتكايده ومناقضته فهو ابدا
يتوسط لمعاداتك ومقاتلتك ويأكلك في يعيد عليك شأنك بل حتى
يهلكك اسالة الايامن من جانبك بجهده فانه الذي يسعى ويقصد بالهلاك
الى من لا يغايظه ولا يناقضه بل يصادقه ويوافقه كالكفار واهل
الضلالة

واهل الرغبة في بعض الاحوال فكيف يصلح لمن قام بمخالفته وتجرد لمناقضته
فله لا محالة من سائر الناس عداوة عامة ومع المتسمين بالجهد في العبادة والعلم عدا
وة خاصة وان امرك له اهم ومعه عليك اعوان اشدها عليك نفسك وهو كل
وله اسباب ومداخل وابواب وانت عنها غافل ولقد صدق يحيى بن معاذ
الرازي حيث قال الشيطان فارغ وانت مشغول والشيطان يراك وانت لا تراه
وانت تنساه وهو لا ينساك ومن نفسك للشيطان عليك عون فلا بد
من محاربته وقهره والا فلا تامن من الفساد والهلاك فان قلت فباي شيء احارب الشيطان
وباي شيء اقهره فادفعه فاعلم ان لاهل هذه الصناعة في هذه المسئلة طريقين احدهما
ما قال بعضهم ان التدبير في دفع الشيطان الاستعاذة بالله تعالى
لا غير فان الشيطان كلب سلطه الله عليك فان اشتغلت في محاربته
ومعالجته تعبت وضاع عليك فان اشتغلت في محاربته وقتك وربما
يظفر بك فيعقرك ويجرحك فان الرجوع الى رب الكلب ليصرفه
عنك اولى الثاني ما قال اخرون ان الطريق المجاهدة والقيام عليه بالدفع
والرد والمخالفة والذي عندي ان الطريق العدل الجامع في امر الشيطان

ان يجمع بين الطريقين فتستعيذ بالله تعالى اولا من شره كما امرنا وهو
الكافي شره ثم ان رايناه يتغلب علينا علمنا انه ابتلاء من الله تعالى
ليرى صدق مجاهدتنا وقوتنا في امر الله تعالى وصبرنا كما انه يسلط علينا
الكفار مع قدرته على كفاية امرهم وشرهم ليكون لنا حظ من الجهاد
والصبر والتمحيص والشهادة كما قال الله تعالى وليعلم الله الذين امنوا ويتخذ منكم
شهداء وقال تعالى ام حسبتم ان تتركوا ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم
ويعلم الصابرين فكذلك هذا ثم ان محاربته وقهره فيما قاله علماؤنا رضي
في ثلاثة اشياء احدها ان تتعرف وتتعلم مكائده وحيله فلا يتجاسر
حينئذ عليك كاللص اذا علم ان صاحب الدار قد احس به فر الثاني ان
تستخف بدعوته فلا تعلق قلبك بذلك وتتبعه فانه بمنزلة الكلب
النابح ان اقبلت عليه ولع بك ولج وان اعرضت عنه سكت الثالث ان تديم
ذكر الله بلسانك وقلبك فلقد قال صلى الله عليه وسلم ان ذكر الله تعالى
في جنب الشيطان كالآكلة في جنب ابن آدم فان قلت وكيف نعلم مكايده
وكيف الطريق الى معرفة ذلك فاعلم ان له حيلا بمنزلة الشبكات التي ينصبها
وذلك يتبين بمعرفة المصايد واوضاعها ومجاريها ولقد ذكر علماؤنا رضي

ابوابا في الخواطر وقد صنفنا كتابا سميناه تلبيس ابليس وكتابنا هذا
لا يحتمل الاكثار ولكنا نذكر لك ان شاء الله من كل واحد منها اصلا كافيا
لو اعتصمت به فاما اصل الخواطر فاعلم ان الله تع وكل بقلب ابن آدم
ملكا يدعوا الى الخير يقال له الملهم ولدعوته ~~وسوسة~~ فالملهم الهام
وسلط له في مقابلته شيطانا يدعوا العبد الى الشر يقال له وسواس
ولدعوته وسوسة فالملهم لا يدعوا الا الى الخير والوسواس لا يدعوا
الا الى الشر في قول اكثر علمائنا رضه وقد حكي عن شيخنا رحمه الله ان
الشيطان ربما يدعوا الى الخير ويقصد في ذلك الشر بان يدعوه
الى المفضول ليمنعه عن الفاضل او يدعوه الى خير ليجره الى ذنب عظيم
لا يفي خيره بذلك الشر من عجب او غيره فهذان داعيان قايمان على
قلبه يدعوانه وهو يسمع قلبه ويحس بذلك على ما روي في الاخبار انه اذا
ولد الابن لادم قرن الله تع به ملكا وقرن الشيطان به شيطانا فالشيطان
جاثم على اذن قلب ابن ادم الايسر والملك جاثم على اذن قلبه الايمن فهما
يدعوانه وقال النبي عليه السلام للشيطان لمة بابن ادم وللملك لمة
يعني نزلة بالدعوة من قولهم لم بالمكان اذا نزل به ثم ركب الله تع في بنية

الانسان طبيعة مايلة الى الشهوات وتميل الى اللذات كيف كانت من حسن
او قبيح من ذلك الا وهي النفس الصارفة الى الآفات فهذه ثلاثة دعاة ثم اعلم
بعد هذه المقدمة ان الخواطر هي آثار تحدث في قلب العبد تبعثه
على الافعال والتروك وتدعوه اليها وتسمى خواطر لاضطرابها
من خطرات الروح وكلها واصلة جميعا في قلب العبد بالحقيقة
من الله تع لكنها اربعة اقسام فمنها ما يحدثه الله تع في القلب ابتداء فيقال له
الخاطر فقط وقسم يحدثه موافقا لطبع الانسان فيقال له هوى النفس
وينسب اليها وقسم يحدثه ~~موافقا لطبع الانسان~~ عقيب دعوة الملهم
فينسب اليه فيقال له الالهام وقسم يحدثه الله عقيب دعوة الشيطان
فينسب اليه ويقال له الوسوسة وينسب اليه بانها خواطر من الشيطان
وانما هي في الحقيقة حادثة عند دعوته فهو كالسبب في ذلك ولكنه ينسب
اليه فهذه اربعة اقسام من الخواطر ثم اعلم بعد هذا التقسيم ان الخاطر الذي
من قبل الله تع ابتداء قد يكون بخير اكراما والزاما للحجة وقد يكون بشر
امتحانا وتغليظا للمحنة والخاطر الذي يكون من قبل الملهم لا يكون
الا بخير اذ هو ناصح مرشد لم يرسل الا لذلك والخاطر الذي يكون من قبل

قال الله تع حكاية عن الشيطان ان الله وعدكم وعد الحق ووعدتكم فاخلفتكم وما كان لي عليكم من سلطان الا ان دعوتكم فاستجبتم لي فلا تلوموني ولوموا انفسكم ما انا بمصرخكم وما انتم بمصرخي

الشيطان لا يكون الا شرا واغواء واستزلالا وربما يكون بالخير استدراجا
فالذي يكون من قبل هوى النفس يكون بالشر وبالخير فيه
تمتعا وتشفيا ولقد وجدت عن بعض السلف ان هوى النفس
ايضا قد يدعو الى الخير والمقصود منه شر كالشيطان فهذه
انواعها ثم بعد هذا انك تحتاج الى معرفة ثلث فصول لابد لك
منها البتة وفيها المقصود احدها الفرق بين خاطر الخير وبين خاطر
الشر بالجملة والثاني الفرق بين خاطر شر ابتداء او شيطاني او هوائي
بماذا يعرف بينهما فان لكل واحد منها دفعا من نوع آخر والثالث
الفرق بين خاطر خير ابتداء او الهامي او شيطاني او هوائي لتتبع ما يكون
من الله تعالى او من الالهام وتجتنب ما يكون من الشيطان وكذلك الهوائي
على قول من يقول به فاما الفصل الاول فقال علماؤنا
رضي الله عنهم اذا اردت ان تعرف خاطر الخير من خاطر الشر وتفرق بينهما
فزنه باحد الموازين الاربعة فيستبين لك حاله فالاول ان تعرض الامر
الذي يخطر ببالك على الشرع فان وافق جنسه فهو خير وان كان بالضد
برخصة او شبهة فهو شر وان لم يستبن لك بهذا الميزان فاعرضه

على الاقتداء

على الاقتداء فان كان في فعله اقتداء بالصالحين فهو خير وان
كان بالضد اتباعا للطالحين فهو شر وان لم يستبن لك بهذا
الميزان فاعرضه على النفس والهوى فانظر ان كان مما تنفر
عنه النفس نفرة طبع لا نفرة خشية وترهيب فاعلم انه خير
وان كان مما تميل اليه النفس ميل طبع وجبلة لا ميل رجاء الى
خير فباحد هذه الموازين اذا نظرت وامعنت النظر يستبين
لك خاطر الخير من خاطر الشر وانه تعالى ولي الهداية بفضله
انه جواد كريم واما الفصل الثاني فاذا اردت ان تفرق
بين خاطر شر يكون من قبل الشيطان وبين خاطر شر يكون من قبل
هوى النفس او من الله تعالى ابتداء فانظر فيه من ثلثة اوجه
احدها ان وجدته مصمما ثابتا على حالة واحدة فهو من الله تعالى
او من هوى النفس وان وجدته مترددا مضطربا فاعلم انه
من الشيطان وكان بعض العارفين رحمه الله يقول مثل هوى
النفس مثل النمر اذا حارب لا ينصرف الا بقمع بالغ وقهر ظاهر او مثل

الصوت الخارجي الذي يقاتل تدتينا لايكاد يدرج حتى يقتل ويقتل
الشيطان مثل الذيب ان طردته من جانب دخل من جانب آخر
وثانيها ان وجدته عقيب ذنب احدثته فهو من الله تعالى
اهانة وعقوبة بشوم ذلك الذنب قال الله تعالى كلا بل
ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون قال شيخي الامام هكذى تودى
الذنوب الي قسوة القلب اولها خاطر ثم تودي الي القسوة
والرين وان كان هذا الخاطر مبتداء لا عقيب ذنب كان
منك فاعلم انه من قبل الشيطان هكذا في الاكثر لانه يبتدئ
بدعوة الشر ويطلب الاغواء بكل حال والثالث ان وجدته
لا يضعف ولا يقل بذكر الله تعالى ولا يزول فهو من الهوى
وان وجدته يضعف ويقل بذكر الله تعالى فهو من الشيطان كما
ذكر في تفسير قوله تعالى من شر الوسواس الخناس ان
الشيطان جاثم على قلب ابن ادم اذا ذكر الله خنس واذا غفل وسوس
واما الفصل الثالث اذا اردت ان تفرق بين خاطر خير

يكون من الله سبحانه او من الملك فانظر في ذلك من ثلثة اوجه
احدها ان كان قويا مصمما فهو من الله تعالى وان كان مترددا
فهو من الملك لانه بمنزلة ناصح يدخل عليك من كل وجه ويعرض
عليك كل نصح رجاء اجابتك ورغبتك في الخير والثاني ان كان عقيب
اجتهاد منك وطاعة فهو من الله سبحانه قال الله تع والذين جاهدوا
فينا لنهدينهم سبلنا والذين اهتدوا زادهم هدى وان كان
مبتداء فهو من الملك في الاغلب والثالث ان كان في الاصول والاعمال
الباطنة فهو من الله سبحانه وان كان في الفروع والاعمال الظاهرة
فهو من الملك في الاكثر لان الملك لا سبيل له الي معرفة باطن العبد
في قول اكثر العلماء واما خاطر الخير الذي يكون من قبل الشيطان
استدراجا الي الشر يربي عليه غلبة قال شيخنا رحمه الله
انظر ان وجدت نفسك في ذلك الفعل الذي خطر بقلبك مع
نشاط لا مع خشية ومع عجلة لا مع تأني ومع امن لا مع خوف
ومع عمى العاقبة لا مع بصيرة فاعلم انه من الشيطان فاجتنبه
وان وجدت نفسك على ضد ذلك مع خشية لا مع نشاط ومع تأني

لا مع عجلة ومع خوف لا مع أمن ومع بصارة العاقبة لا مع
جهل مع عمى فاعلم انه من الله تعالى او من الملك قلت انا
وكان النشاط خفة في الانسان للفعل من غير بصيرة وفكر
ثواب ينشط في ذلك واما الثاني فمحمود الا في مواضع معلومة
... وفي كثر في الخبر عن النبي صلى الله عليه وسلم العجلة من
الشيطان الا في خمسة تزويج البكر اذا ادركت وقضاء الدين
اذا وجب وتجهيز الميت اذا مات وتقديم الضيف اذا نزل والتوبة
من الذنب اذا اذنبت واما الخوف فيحتمل ان يكون في اتمامه واداه
على وجهه وحقه وقبول الله تعالى اياه واما بصارة العاقبة بان
يتبصر ويتيقن انه رشد وخير ويحمد لدوية الثواب
في العقبى ورجائه فاعلم ذلك موفقا فهذه الفصول الثلثة التي
لا بد لك معرفتها في فصل الخواطر فارعها وانعم النظر فيها ما
استطعت فانها من العلوم اللطيفة والاسرار الشريفة
في هذا الباب والله الموفق بفضله واما فصل الحيل
والمخادعات من الشيطان فيجري ذكره ومثاله انه يكايد الشيطان

مع ابن لهم في الطاعة من سبعة اوجه احدها ان ينهاه عنه فان
عصمه الله بان قال اني لمحتاج الى ذلك جدا اذ لا بد لي من التزود من
هذه الدنيا الفانية للآخرة التي لا انقضاء لها ثم يأمره بالتسويف
فان عصمه الله تعالى بان قال ليس اجلي بيدي على اني لو سوفت
عمل اليوم الى غد فمتى اعمله فان لكل يوم عملا ثم يأمره
بالعجلة فيقول له عجل عجل لتفرغ لكذا وكذا فان عصمه الله تعالى
بان قال قليل العمل مع التمام خير من كثيره مع النقصان ثم يأمره
باتمام العمل رياء للناس فان عصمه الله تعالى بان قال
اعمل برياء الناس افلا يكفيني برؤية الله تعالى ثم يريد ان يوقعه
في العجب فيقول ما اعظمك وايقظك فان عصمه الله تعالى بان
قال المنة لله تعالى في ذلك دوني وهو الذي خصني بتوفيقه وجعل لعملي
قيمة عظيمة بفضله ولولا فضله فماذا كان قيمة هذا العمل في جنب نعمة الله
تعالى علي وجنب معصيتي ثم يأتيه من وجه سادس وهو اعظمها
ولا يبصره عليه الا كل متيقظ وهو ان يقول اجتهد ان في السر فان الله
سيظهره عليك ويلبس لكل عامل عمله واراد بذلك ضربا من الرياء فان عصمه الله
تعالى

لقنه بان قال يا ملعون الى الآن كنت تاتيني من وجه افساد عملي
والآن تاتيني من وجه اصلاحه لتشقيه انما انا عبد الله تعالى وهو سيدي
ان شاء اظهر وان شاء اخفى وان شاء جعلني خطيرا وان شاء جعلني
حقيرا وذلك اليه ما ابالي اذ اظهر ذلك للناس او لم يظهره فليس بايديهم
شيء ثم ياتيه من وجه سابع ويقول لا حاجة لك الى هذا العمل لانك ان
خلقت سعيدا لم يضرك ترك العمل وان خلقت شقيا لم ينفعك فعله
فان عصمه الله تعالى لقنه بان قال انما انا العبد وعلى العبد امتثال
الامر لعبوديته والرب بربوبيته يحكم ما يشاء ويفعل ما يريد ولانه
ينفعني العمل كيف ما كنت لاني ان كنت سعيدا احتجت اليه لزيادة الثواب
وان كنت شقيا فانا محتاج اليه كي لا الوم نفسي على ان الله تعالى
لا يعاقبني على الطاعة بكل حال ولا يضرني على اني ان دخلت النار
وانا مطيع احب الي من ان ادخلها وانا عاص فكيف وهو على وعده حق وقوله
صدق وقد وعد على الطاعة بالثواب فمن لقي الله تعالى على الايمان والطاعة
لن يدخل النار البتة ودخل الجنة لا بالاستحقاق بعمله الجنة ولكن لوعد الله
الصادق فعالى ولهذا المعنى اخبر الله تعالى عن السعداء اذ قالوا الحمد لله

الذي صدقنا وعده فتيقظ رحمك الله فان الامر كما ترى وتسمع
وقس عليه سائر الاعمال والافعال والاحوال واستعن بالله تعالى
واستعذ به فان الامر بيده ومنه التوفيق ولا حول ولا قوة الا بالله
العلي العظيم العائق الرابع النفس ثم عليك عصمك الله واياي بالحذر
من هذه النفس الامارة بالسوء فانها اضر الاعداء وبلاؤها اصعب
البلاء وعلاجها اعسر الاشياء وداؤها اعضل الداء ودواؤها اشكل
الدواء وانما ذلك لامرين احدهما انها عدو من داخل واللص اذا كان
من البيت عزت الحيلة فيه وعظم الضرر ولقد صدق القائل نفسي الى ما
ضرني داعي تكثر اسقامي واوجاعي كيف احتيالي من عدوي اذا كان
عدوي بين اضلاعي والثاني انها عدو محبوب والانسان عمي عن عيب محبوبه
لا يكاد يبصر عيبه كما قال القائل وعين الرضا عن كل عيب كليلة ولكن عين
السخط تبدي المساويا فاذا يستحسن الانسان من نفسه كل قبيح ولا يكاد
يطلع على عيب لها وهي مع عداوتها واضرارها فاوشك ان توقعه في فضيحة
وهلاك ومولانا بشعر الا ان يحفظه الله تعالى بفضله ويعينه عليها برحمته ثم اقول

تامل ايها الرجل نكتة واحدة مقنعة وهي انك اذا نظرت وجدت
اصل كل فتنة وفضيحة وخزي وهلاك وذنب وآفة وقع في خلق الله
تع من اول الخلق الي يوم القيامة من قبل هذه النفس اما بها
وحدها او بمعونتها ومشاركتها ومساعدتها واول المعصية
لله تعالى كان من ابليس وكان سببه بعد القضاء السابق هوى
النفس بكبرها وحسدها الفتنة بعد عبادة ثمانين الف سنة فبقي
في بحر الضلال مغرقا الي ابد الابدين اذ لم يكن هناك دنيا ولا خلق ولا
شيطان بل كانت النفس بكبرها وحسدها فعلت به ما عملت ثم ذنب
آدم وحوا طوعهما شهوة النفس في ذلك وحرصها على البقا والحياة
حتى اغترا بقول ابليس فكان ذلك اذا بعون النفس وشركتها
حتى سقطا من جوار الله تعالى ومقر الفردوس الي هذه الدنيا
الخسيسة النكدة الفانية المهلكة ولقي اولاده ما لقوا من ذلك
اليوم الي ابد الآبدين ثم حديث قابيل وهابيل كان السبب في امرهما
الحسد والشح ثم حديث هاروت وماروت كان السبب في شانهما الشهوة

ثم هلم جرا الي يوم القيامة لا تجد في الخلق فتنة ولا فضيحة ولا ضلالة
ولا معصية الا واصلها النفس وهواها والا لكان الخلق في سلامة وخير
ولهذا كان عدو بهذا القدر كله فحق على العاقل ان يهتم بامره والله
تعالى ولي التوفيق والهداية بفضله فان قلت فما الحيلة اذا لنا
في هذا العدو وما التدبير في امره فبين لنا ذلك فاعلم انا ذكرنا فيما تقدم
ان امرها عسير وصعب لانه لا يمكن قهرها بمرة كساير الاعداء لانها
هي المطية والآلة وقيل ان اعرابيا دعا لانسان بخير فقال كبت الله كل
عدو لك الا نفسك ولا يمكن اهمالها بمرة لما كان ضررها فتحتاج الي طريق بين
الطريقين تربيتها وتقويتها بقدر ما تحتمل فعل الخير وتضعيفها وتحبسها عما
حتى لا تتمادى في غاية من امرها ففي علاج شديد ونظر لطيف ثم قد ذكرنا بيانها
في امرها ان تلجمها بلجام التقوى والورع لتحصيل الفائدتين جميعا فان
قلت ان هذه دابة جموح وبهيمة صعبة شكسة لا تنقاد للجام فما الحيلة
فيها حتى يلجمها زمها فاعلم انك لصادق والحيلة تذليلها حتى تنقاد للجام فقال
علماؤنا رضي الله عنهم انما تذلل النفس وتكسر هواها بثلاثة اشيا احدها منع الشهوات

فان الدابة الحرون تلين لها حبث ونقص من علفها والثاني
حمل اثقال العبادات عليها فان الحمار اذا زيد في حمله مع النقصان
من علفه يذلل وانقاد والثالث الاستعانة بالله والتضرع
اليه بان يعينك والا فلا مخلص اما تسمع قول يوسف عليه
السلام ان النفس لامارة بالسوء الا ما رحم ربي فاذا واظبت
على هذه الامور الثلاثة انقادت لك النفس الجموح باذن الله تع
عز وجل فحينئذ تبادر الى تملكها والجامها وتامن من شرها
فان قلت فبين الآن ما هو التقوى حتى نعلمه فاعلم اولا
ان التقوى كنز عزيز فلئن ظفرت به فكم تجد فيه من جوهر شريف
وعلق نفيس وخير كثير ورزق كريم وفوز كبير وغنم جسيم
وملك عظيم فكان خيرات الدنيا والآخرة جمعت فجعلت تحت
هذه الخصلة الواحدة التي هي التقوى وتامل في القرآن من ذكرها
كم علق بها من خير وكم وعد عليها من ثواب وكم اضاف اليها
من سعادة وانا اعد لك من جملتها اثني عشر خصلة اولها المدحة والثناء

قوله تع وان تصبروا وتتقوا فان ذلك من عزم الامور
والثاني الحفظ والحراسة من الاعداء قال الله تعالى وان تصبروا
وتتقوا لا يضركم كيدهم شيئا والثالث التأييد والنصرة قال
الله تعالى ان الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون وقال
تعالى ان الله مع المتقين والرابع النجاة من الشدائد والرزق من
الحلال قال الله تعالى ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من
حيث لا يحتسب الخامس اصلاح العمل قال الله تع يا ايها الذين آمنوا
اتقوا الله وقولوا قولا سديدا يصلح لكم اعمالكم السادس غفران
الذنوب قال الله تعالى ويغفر لكم ذنوبكم السابع محبة الله تعالى
قال الله تعالى ان الله يحب المتقين الثامن القبول قال الله تع انما
يتقبل الله من المتقين التاسع الاكرام والاعزاز قال الله تعالى ان اكرمكم
عند الله اتقيكم العاشر البشارة عند الموت قال الله تع الذين آمنوا
وكانوا يتقون لهم البشرى في الحيوة الدنيا وفي الآخرة الحادي عشر
النجاة من النار قال الله تعالى ثم ننجي الذين اتقوا وقوله تعالى وسيجنبها الاتقى

الذي والكائن على الخلود في الجنة قال الله تعالى أعدت للمتقين فهذا
كل خير وسعادة في الدارين تحت هذه التقوى فلا تنس نصيبك أيها
الرجل منها ثم الذي يختص به هذا الشأن من أمر العبادة ثلثة أصول
أحدها التوفيق والتأييد أولا وهو للمتقين كما قال الله تعالى إن
الله مع المتقين والثاني إصلاح العمل إتمام التقصير وهو للمتقين كما قال الله
تعالى يصلح لكم أعمالكم والثالث قبول العمل وهو للمتقين كما قال الله تعالى
إنما يتقبل الله من المتقين ومدار العبادة على هذه الأمور الثلثة
التوفيق أولا حتى تعمل ثم الإصلاح للتقصير حتى يتم ثم القبول إذا تم
وهذه الثلثة التي يتضرع فيها العابدون إلى الله تعالى ويسألون
فيقولون ربنا وفقنا لطاعتك وأتمم تقصيرنا وتقبل منا وقد وعد الله
ذلك كله على التقوى وأكرم بها المتقي سأل أو لم يسأل فعليك بهذه التقوى
إن أردت عبادة الله بل إن أردت سعادة الدنيا والعقبى ولقد صدق القائل
من اتقى الله فذاك الذي سبق إليه المتجر الرابح وقال آخر من عرف
الله فلم تغنه معرفة الله فذاك الشقي ما يصنع العبد بعز الغنى والعز

كل العز للمتقي وكتب على بعض القبور وليس زاد سوى التقوى فخذي
منه أو دعي ثم تأمل أصلا واحدا وهو هب أنك قد تعبت جميع عمرك في
العبادة وجاهدت وكابدت حتى حصل لك ما تمنيت أليس الشأن
كله إلى القبول ولذلك روي عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت ما أعجب
رسول الله صلى الله عليه وسلم شيء من الدنيا ولا أعجبه أحد إلا ذو تقى
وعن قتادة أنه قال مكتوب في التورية يا ابن آدم اتق وتم حيث شئت
وبلغني عن عامر بن عبد قيس أنه بكى عند موته وكان يصلي كل يوم
وليلة ألف ركعة ثم يأتي إلى فراشه فيقول يا مأوى كل شر والله ما
رضيتك لله عز وجل طرفة عين فقيل له ما يبكيك قال قوله تعالى
إنما يتقبل الله من المتقين ثم تأمل نكتة أخرى وهي أصل الأصول وهي
ما ذكر أن بعض الصالحين قال لبعض أشياخه أوصني بوصية قال
أوصيك بوصية رب العالمين للأولين والآخرين قوله تعالى ولقد وصينا الذين
أوتوا الكتاب من قبلكم وإياكم أن اتقوا الله قلت أليس الله أعلم بصلاح
العبد من كل أحد وليس هو أنصح له وأرحم وأرأف من كل أحد ولو كانت

في العلم خصلة هي اصلح للعبد واجمع للخير واعظم للاجر واجل في العبودية
وانبل في القدر واولى بالحال وانجح للآمال من هذه الخصلة التي هي
التقوى لكان الله سبحانه امر بها عباده واوصى خواصه بذلك لكمال حكمته
وسعة رحمته فلما اوصى بهذه الخصلة الواحدة وجمع الاولين والآخرين
من عباده في ذلك واقتصر عليها فعلمت انها الغاية التي لا متجاوز
عنها ولا مقتصر دونها وانه عز وجل قد جمع كل نصح ودلالة وارشاد
وتنبيه وتاديب وتعليم وتهذيب في هذه الوصية الواحدة كما يليق
بحكمته ورحمته وعلمت ان هذه الخصلة التي هي التقوى هي الجامعة
لخير الدنيا والآخرة الكافية لجميع المهمات المبلغة الى اعلى الدرجات
في العبودية وهذا اصل لا مزيد عليه وفيه كفاية [illegible]
وا صنده وعمل بذلك واستغنى والله تعالى ولي [illegible]
بفضله ومنه فان قلت لقد عظم قدر هذه الخ[illegible]
واشتدت الحاجة الى معرفتها فلا بد الآن من تفصي[illegible]
كذلك فحق لها ان يجل قدرها ويلزم طلبها وتحص[illegible]

ولكنك

ولكنك تعلم ان كل خطير وكبير يحتاج في اجتلابه الى طلب كثير وتعب
كثير وهمة عالية وجهد شديد فاذا كان ان هذه الخصلة خصلة
عظيمة كبيرة فالمجاهدة في طلبها والقيام بحقها والعناية في تحصيلها
ايضا لعمل كبير وشان عظيم فان المكارم على حسب المكاره
وان اللذات على حسب المؤنات والله تعالى يقول والذين جاهدوا فينا
لنهدينهم سبلنا وان الله هو الرؤوف الذي بيده تيسير كل عسير فاستعن
وننبهك ونفهمك حق بيان هذه الخصلة حتى تعلمها ثم تشمر للقيام
بها واستعن بالله تعالى حتى تعمل بما تعلم فان الشان كله في ذلك والله تعالى
ولي التوفيق والهداية بفضله فنقول اعلم اولا ان التقوى في قول
شيوخنا رحمهم الله هي تنزيه القلب عن ذنب لم يسبق عنك مثله حتى يحصل
العبد من قوة العزم على تركها وقاية بينه وبين المعاصي هكذا قال شيخنا
وذلك ان اصل لفظ التقوى في اللغة هو الوقوى بالواو وهو مصدر
الوقاية يقال وقى يقي وقاية ووقوى فابدلت عن الواو تاء كما قالوا
في الوكلان والتكلان ونحوها فقيل تقوى فاذا لما حصلت وقاية بين العبد

وبين المعاصي من قوة عزمه على تركها وتوطين قلبه على ذلك فيومئذ يوصف حينئذ بانه متق ويقال لذلك التبرية والعزم والتوطين تقوى والتقوى في القرآن ينطلق على ثلثة اشيا احدها بمعنى الخشية والهيبة قال الله تعالى فاياي فاتقون وقال واتقوا يوما ترجعون فيه الى الله والثاني بمعنى الطاعة والعبادة قال الله تع يا ايها الذين امنوا اتقوا الله حق تقاته قال ابن عباس اطيعوا الله حق طاعته وقال مجاهد وهو ان يطاع فلا يعصى وان يذكر فلا ينسى وان يشكر فلا يكفر والثالث بمعنى تبرية القلب عن الذنوب وهذه هي الحقيقة في التقوى دون الاولين الا ترى ان الله تعالى يقول ومن يطع الله ورسوله ويخش الله ويتقه فاولئك هم الفائزون ذكر الطاعة والخشية ثم ذكر التقوى فعلمت ان حقيقة التقوى معنى سوى الطاعة والخشية وهي تبرية القلب عما ذكرناه ثم قالوا رحمهم الله منازل التقوى ثلثة تقوى عن الشرك وتقوى عن البدعة وتقوى عن المعاصي الفرعية ولقد ذكرها الله سبحانه في اية واحدة وهو قوله تع ليس على الذين امنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا اذا ما اتقوا وامنوا وعملوا الصالحات ثم اتقوا وامنوا ثم اتقوا واحسنوا التقوى الاولى تقوى عن الشرك والايمان في مقابلة التوحيد والتقوى

الثانية

الثانية عن البدعة والايمان الذي ذكر معها اقرار عقود في مقابلة السنة بالسنة والجماعة والتقوى الثالثة عن المعاصي الفرعية ولا اقرار في هذه المنزلة فقابلها بالاحسان وهو الطاعة والاستقامة عليها فيكون منزلة مستقيم الطاعة فالاية جمعت ذكر المنازل الثلث منزلة الايمان ومنزلة السنة ومنزلة استقامة الطاعة فهذا ما قاله العلماء في بيان معنى التقوى قلت انا وجدت التقوى بمعنى اجتناب فضول الحلال وهو ما روي في الخبر المشهور عن النبي عليه السلام انه انما سمي المتقون متقين لتركهم ما لا باس به حذرا عما به باس فاحببت ان اجمع بين ما قاله علماؤنا وبين ما جاء في الخبر عن النبي صلى الله عليه وسلم فيكون حدا جامعا ومعنى بالغا فاقول التقوى هو اجتناب كل ما تخاف منه ضررا في دينك الا ترى انه يقال للمريض المحتمي انه يتقي اذا اجتنب كل شيء يضره في بدنه من طعام او شراب او فاكهة ثم الذي تخاف منه الضرر في امر الدين قسمان محض الحرام والمعصية وفضول الحلال لان الاشتغال بفضول الحلال والانهماك فيه يستجر صاحبه الى الحرام ومحض العصيان وذلك لشره النفس وطغيانها وتمرد الهوى وعصيانه فمن اراد ان يامن الضرر في امر دينه اجتنب الخطر فامتنع عن فضول الحلال حذرا ان يجره الى محض الحرام

ثم نقول على ما قال عليه السلام لتركهم ما لا بأس به حذرا عما به بأس يعني لتركهم فضول الحلال
الحرام حذرا عن الوقوع في الحرام فالتقوى البالغة الجامعة اجتناب كل ما
فيه ضرر لأمر دينك وهو المعصية والفضول هذا تفصيلها وأما الحد فإنا
نحدها على موضوع علم السر فنقول حد التقوى الجامع تنزيه القلب
عن شر لم يسبق عنك مثله بقوة العزم على تركه حتى يصير ذلك وقاية بينك
وبين كل شر ثم الشرور ضربان شر أصلي وهو كل ما نهي عنه نهي المعاصي المحضة
وشر غير أصلي وهو ما نهي عنه تأديبا وهو فضول الحلال كالمباحات المأ
خوذة بالشهوات فالأولى تقوى فرض يلزم بتركها عذاب النار والثانية
تقوى خير وأدب يلزم بتركها الحبس والحساب والتعيير واللوم فمن أتى
بالأولى فهو في الدرجة الأدنى من التقوى وهي منزلة مستقيم الطاعة ومن
أتى بالأخرى فهو في الدرجة الأعلى من التقوى وتلك منزلة مستقيم المباح
فإذا جمع العبد بينهما على اجتناب كل معصية وفضول فقد استكمل معنى
التقوى وقام بحقها وجمع كل خير فيها وهذا هو الورع الكامل الذي هو
ملاك أمر الدين وتلك منزلة الأدب على باب الله سبحانه فهذا معنى التقوى
وبيانها في الجملة فافهمه موفقا إن شاء الله فإن قلت ففصل لنا الآن هذا
المعنى

في النفس واستعمالها فيها فإن الحاجة جاءت من هنالك لنعلم كيف نلجم ملك النفس
بهذا المعنى الذي فصلت من حقيقة التقوى فأقول أجل إنما تفصيلها في أمر
هذه النفس أن تقوم عليها بقوة العزم فتمنعها عن كل معصية وتصونها
عن كل فضول فإذا فعلت ذلك كنت قد اتقيت الله في عينك وأذنك ولسانك
وقلبك وبطنك وفرجك وجميع أركانك وألجمتها بلجام التقوى ولهذا الباب شرح
يطول وقد أشرنا إليه في كتاب إحياء علوم الدين وأما الذي لا بد منه ههنا أنا
نقول من أراد أن يتقي الله تعالى فليراع الأعضاء الخمسة فإنهن الأصول
وهي العين والأذن واللسان والقلب والبطن فيحترس عليها بالصيانة لها
عن كل ما يخاف منه ضرر في أمر الدين من معصية وحرام وفضول وإسراف
من حلال فإذا حصل صيانة هذه الأعضاء فمرجو أن تكتفي سائر أركانه
ويكون قد قام بالتقوى الجامعة لجميع بدنه لله عز وجل فدعت الحاجة إلى بيان
حكم هذه الأعضاء وتفصيل ما يلزم في كل واحد منها على قدر ما يليق
بهذا الكتاب

الفصل الأول

فصل العين عليك وفقنا الله وإياك بحفظ
العين فإنها سبب كل فتنة وآفة وأذكر في أمرها ثلاثة أصول كافية أحدها ما قال
الله تعالى قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم ذلك أزكى لهم

ان الله خبير بما يصنعون واعلم انك تاملت هذه الاية فاذا فيها مع قصرها
ثلثة معان عزيزة تاديب وتنبيه وتهديد فاما التاديب فقوله تعالى قل
للمؤمنين يغضوا من ابصارهم ولا بد للعبد من امتثال امر السيد والتادب
بادبه والامر يكون فيه الادب يجب ولا يؤذن له في حضور المجلس والمنزل
بالحضرة فافهم هذه النكتة وتامل ما تحتها فان فيها ما فيها واما التنبيه فقوله تعالى
ذلك ازكى لهم ينطلق على معنيين احدهما والله اعلم ان ذلك اطهر لقلوبهم والزكوة
الطهارة والتزكية التطهير والثاني ذلك انمى لخيرهم واكثر والزكوة في الاصل
النمو فنبه الله عز وجل ان في غض البصر تطهير القلب وتكثير الطاعة والخير وذلك
انك لم تغض بصرك وارسلت عينيك تنظر الى ما لا يعنيك فلا يخلو اما ان تقع
عينيك على حرام فان تعمدت فذنب وكبيرة وربما يعلق قلبك بهواه
بذلك فتهلك ان لم يرحم الله تعالى فلقد روي ان العبد لينظر النظرة ينغل
فيها قلبه كما ينغل الاديم في الدباغ لا ينتفع به ابدا وان كان مباحا فربما
يشتغل قلبك به فجاءك الوسواس والخواطر بسببه ولعلك لا تصل اليه
فيبقى مشغول القلب منقطعا عن الخير وان كنت لم تر ذلك فقد كنت
مستريحا عن ذلك كله وفي هذا المعنى ذكر عن عيسى ابن مريم صلوات الله

على نبينا وعليه انه قال اياكم والنظرة فانها تزرع في القلب الشهوة وكفى بها
لصاحبها فتنة وقال ذو النون رحمه الله نعم عون صاحب الشهوات غض
الابصار ولقد احسن القائل وانت اذا ارسلت طرفك رائدا لقلبك يوما اتعبتك
المناظر رايت الذي لا كله انت قادر عليه ولا عن بعضه انت صابر فاذا ما كنت
غاض البصر حافظا للعين لا تنظر الى ما لا يعنيك ولا يهمك كنت في الصدر فارغ
القلب مستريحا عن كثير من الوسواس سالم النفس عن الافات متزايدا في
الخيرات فتنبه لهذه النكتة الجامعة والله عز وجل الموفق بمنه واما التهديد
فقوله تعالى ان الله خبير بما يصنعون وقال تعالى يعلم خائنة الاعين وما تخفي
الصدور وكفى بهذا التحذير لمن خاف مقام ربه فهذا الاصل الواحد من كتاب الله تعالى
والاصل الثاني ما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان النظر الى محاسن المراة سهم
مسموم من سهام ابليس فمن تركه اذاقه الله طعم عبادة تسره وان وجدت الحسن
ان حلاوة العبادة ولذة المناجاة من العابدين بمكان وهذا شيء مجرب
يعلمه ويحققه من عمل به انك ان امتنعت عن النظر الى ما لا يعنيك تجد لذة في العبادة
وحلاوة وللقلب صفوة لم تجد ما قبل ذلك الاصل الثالث ان تنظر الى كل عضو
من اعضائك تصلح للماذا وتنظر له ماذا افعل حسب ذلك تصونه وتحفظه فالرجل

للمتقين في رياض الجنة وقصورها والبذل لكاس الشراب وثمار الاشجار وكذلك في سائر
الاعضاء فالعين انما هي للنظر الى رب العالمين سبحانه وليس في الدارين كرامة اجل واكبر
منها فكل محقق ينبغي ان ينتظر ويرجو ان ينال هذه الكرامة ان يصونها ويحفظها ويعينها
ويكرم هذه الاصول الثلاثة لانك اذا احسنت التامل فيها كفيتك المؤنة في هذا الفصل
والله ولي التوفيق وهو حسبي ونعم الوكيل الفصل الثاني الاذن فعليك
بصيانة سمعك عن الخنا والفضول وذلك لامرين احدهما انه ورد ان المستمع شريك
المتكلم وفي ذلك يقول القائل تحر من الطرق اوساطها وعد عن الجانب المشتبه
وسمعك صن عن سماع القبيح كصون اللسان عن النطق به فانك عند استماع القبيح
شريك لقائله فانتبه والثاني انه ذلك يهيج الخواطر والوساوس في القلب
ثم منه ذلك يتعدى والاشغال في البدن فعامته للعبادة ثم اعلم ان الكلام
الذي يقع في قلب الانسان وسمعه بمنزلة الطعام الذي يقع في جوفه فمنه الضار
ومنه النافع ومنه الغذاء ومنه السم بل ان بقاء الكلام ويجرعه اكثر وابلغ
فان الطعام يزول عن المعدة بنوم او غيره وربما يبقى اثره زمانا ثم يزول ولم يبق له
ينزل اثره عن جسم الانسان واما الكلام الذي وقع في قلبه فربما يبقى مدة حياته
ولا ينسى فان كان شيئا رديا باطلا لا يزال يتعبه ولا يعجبه وتروح بسببه خواطر

في القلب

في القلب ويحتاج ان يعرض عنها ويصرف بقلبه عن تذكرها ويستعيذ بالله تعالى
من شرها ولا يامن ان يحمله على بلية ويحركه حتى يقع آخر الامر في آفة عظيمة بسبب
ذلك ولو كنت حفظت سمعك عما لا يعنيك كنت عن هذه المؤنة مستريحا فلينظر
العاقل في ذلك وبالله التوفيق والله اعلم الفصل الثالث اللسان ثم عليك بحفظ
اللسان وضبطه وتقييده فانه اشد الاعضاء جماحا وطغيانا واكثرها فسادا و
عدوانا ولقد روينا عن سفيان بن عبد الله انه قال قلت يا رسول الله ما اكثر ما تخاف
علي فاخذ بلسان نفسه ثم قال هذا وعن يونس بن عبيد انه قال اني وجدت
نفسي تحتمل مؤنة الصوم في الحر الشديد بالبصرة ولا تحتمل ترك كلمة لا تعنيها فعليك
اذا بالتحفظ جدا جدا وبذل المجهود وتذكر خمسة اصول احدها ما روى ابو
سعيد الخدري ان ابن آدم اذا اصبح تكفر الاعضاء كلها اللسان وتقول له ننشدك
الله ان تستقيم فانك ان استقمت استقمنا وان اعوججت اعوججنا فلذا المعنى
فيه والله اعلم ان نطق اللسان يؤثر في اعضاء الانسان بالتوفيق والخذلان
ويؤكد هذا المعنى ما حكي عن مالك بن دينار انه قال اذا رايت قسوة في قلبك
ووهنا في بدنك وحرمانا في رزقك فاعلم انك قد تكلمت فيما لا يعنيك
والاصل الثاني حفظ وقتك فان اكثر ما يتكلم به الانسان من غير ذكر الله تعالى فعل

الاقل

يكون لغوا يضيع الوقت به وذكر ان حسان بن ابي سنان مر على غرفة بنيت
فقال متى بنيت هذه ثم اقبل على نفسه وقال يا نفس المغرور تسألين عما لا يعنيك
وعاقبها بصوم سنة قلت فيا طوبى للمهتمين بانفسهم ويا ويح للغافلين الذين
اخلعوا العذار وارخوا العنان والله المستعان ولقد صدق القايل واحسن
حيث يقول اغتنم ركعتين في ظلمة الليل اذا كنت خاليا مستريحا واذا ما هممت بالنطق في الباطل
فاجعل مكانه تسبيحا والاصل الثالث حفظ الاعمال الصالحة فان من لم
يصن لسانه واكثر الكلام يقع لا محالة في غيبة الناس كما قيل من كثر
كلامه كثر سقطه والغيبة هي الصاعقة المهلكة للطاعات على ما قيل
ان مثل من يغتاب الناس كمثل من نصب منجنيقا فهو يرمي به حسناته
شرقا وغربا يمينا وشمالا وبلغنا عن الحسن انه قيل له يا ابا سعيد
ان فلانا اغتابك فبعث اليه طبقا فيه رطب وقال بلغني انك اهديت
الي حسناتك فاحببت ان اكافيك وذكرت الغيبة عند ابن
المبارك فقال لو كنت مغتابا لاغتبت امي لانها احق بحسناتي
وذكر انه فات حاتم الاصم القيام ليلة فعيرته زوجته فقال ان
اقواما صلوا البارحة فلما اصبحوا نالوا مني فيكون صلوتهم يوم القيمة

لي هذا في الاصل الرابع السلامة من آفات الدنيا عليها قال سفيان
لا تتكلم بلسانك ما تكسر به اسنانك وقال آخر لا تبسط لسانك
فيفسد عليك شانك وقال آخر احفظ لسانك لا تقول فتبتلى ان البلاء
موكل بالمنطق ولابن المبارك رضي الله عنه احفظ لسانك ان اللسان سريع
الى المرء في قتله وان اللسان دليل الفؤاد يدل الرجال على عقله ولابن
مطيع رحمه الله لسان المرء ليث في كمين اذا خلى عليه له اغار فصنه
عن الخنا بلجام صمت يكن لك من بليات سالما وفي المثل السائر
رب كلمة تقول لصاحبها دعني نسأل الله التوفيق بحرمته الاصل
الخامس ذكر آفات المزاح وعواقبها واذكر فيه نكتة واحدة
وصحابته لا يخلو اما ان تقول قولا محظورا حراما او قولا مباحا من
فضول لا يعنيك فان كان محظورا ففيه عذاب الله تع الذي لا طاقة
لك به فقد روينا عن رسول الله عليه الصلوة والسلام انه قال ليلة اسري
بي نظرت في النار اقواما يأكلون لحوم الناس ولقد قال عليه الصلاة
والسلام لمعاذ اقطع لسانك عن حملة القرآن وطلاب العلم
ولا تمزق الناس بلسانك فتمزقك كلاب النار وعن ابي قلابة انه

يأكلون الجيف قلت يا جبرائيل
من هؤلاء قال هؤلاء الذين

إن في الغيبة خراب القلب من الهدى فنسأل الله تعالى بذلك العصمة
من فضله هذا الكلام في المحظور وأما المباح ففيه أربعة أمور أحدها
شغل الكرام الكاتبين بما لا خير فيه ولا فائدة وحق للمرء أن يستحيي
منهما فلا يؤذيهما قال الله تعالى ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد
والثاني إرسال كتاب إلى الله عز وجل من اللغو والهذر فليحذر العبد من ذلك
وليخش الله سبحانه وتعالى فقد ذكر أن بعضهم نظر إلى رجل يتكلم بالخنا
فقال يا هذا إنما تملي كتابا إلى ربك فانظر ما تملي والثالث قراءته
بين يدي ملك الجبار يوم القيامة على رؤوس الأشهاد وبين الشدائد والأهوال
عطشان عريان جوعان منقطعا عن الجنة محبوسا
عن النعمة والرابع اللوم والتعيير لما قلت وانقطاع الحجة
والحياء من رب العزة وقد قيل إياك والفضول فإن حسابه يطول
وكفى بهذه الأصول واعظا لمن اتعظ وقد بسطنا في كتاب أسرار
معاملات الدين ما فيه مقنع تجده فيه تجد الشفا الفصل
الرابع القلب ثم عليك بحفظ القلب وإصلاحه وحسن النظر في ذلك وبذل
المجهود فإنه أعظم هذه الأعضاء خطرا وأكثرها أثرا وأدقها أمرا

واشقها

وأشقها إصلاحا ولك فيه خمسة أصول مقنعة الأول قوله تعالى
يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور وقوله تعالى يعلم ما في قلوبكم
وقوله تعالى إنه عليم بذات الصدور كم ذكره ولم يرد كن في القرآن
وكفى باطلاع العليم الخبير تحذيرا وتهديدا للخواص من العباد
لأن المعاملة مع علام الغيوب خطيرة فانظر ماذا تعمل من قلبك
والأصل الثاني قول رسول الله صلى الله عليه وسلم إن الله تعالى لا ينظر
إلى صوركم وأبشاركم وإنما ينظر إلى قلوبكم فالقلب إذا موضع نظر
الرب فيا عجبا ممن يهتم بوجهه الذي هو منظر الخلق فيغسله
وينظفه من الأقذار والأدناس ويزينه بما أمكنه لئلا يطلع
مخلوق فيه على عيب ولا يهتم بقلبه الذي هو موضع نظر الرب
جل ذكره فيطهره ويزينه ويطيبه كيلا يطلع الرب جل ذكره
على دنس فيه وشين وآفة وعيب بل يهمله بفضائح وأقذار
وقبائح لو اطلع الخلق على واحد منها لهجروه وتبرؤوا منه وطردوه
والله المستعان والأصل الثالث أن القلب ملك مطاع
رئيس متبع والأعضاء كلها له تبع فإذا صلح المتبوع صلح التابع
وإذا استقام الملك استقامت الرعية يبين ذلك ما روي عن النبي
عليه السلام أنه قال إن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد

الصلوة

وإذا عرفت أن الجوهر الأصلي القلب ولذا كان صلاح الكل
في ذلك وجب صرف العناية إليه والأصل الرابع أن القلب خزانة
كل جوهر للعبد نفيس وكل معنى خطير أولها العقل وأجلها
معرفة الله التي هي سبب سعادة الدارين ثم البصائر التي بها التقدم
والوجاهة عند الله سبحانه ثم النية الخالصة في الطاعات التي بها
يتعلق ثواب الأبد ثم أنواع العلوم والحكم التي هي شرف العبد
وسائر الأخلاق الشريفة والخصال التي بها يحصل تفاضل
الرجال على ما فصلنا وشرحنا في كتاب أسرار معاملات الدين
وحق لمثل هذه الخزانة أن تحفظ وتصان عن الأدناس والآفات
وتحرس وتحرز عن السراق والقطاع وتكرم وتجل بضروب
الكرامات لئلا يلحق تلك الجواهر العزيزة دنس ولا يظفر بها العدو والعياذ
بالله عدو. الأصل الخامس أنك تأملت حاله فوجدت له خصمين
ليست لغيره من أعضاء ابن آدم أحدهما العدو وقاصد إليه مقبل
عليه ملازم له فإن الشيطان جاثم على قلب ابن آدم فهو عند الكلام
والوسوسة يقول فإنه أبدا بالدعوتين الملك والشيطان وإن
أخذ الشغل لأكثر فإن الهوى والعقل كلاهما فيه فهو معترك العسكرين
الهوى وجنوده أبدا يحاربها والعقل وجنوده وقتالهما وتنازعهما

وحق بالثغر أن يحرس ويحصن ولا يغفل عنه الثالث العوارض
له أكثر فإن الخواطر كالسهام لا تزال تقع فيه كالمطر لا تزال يمطر
عليه ليلا ونهارا لا ينقطع ولا أنت تقدر على منعها فتمتنع وليس
بمنزلة العين التي هي بين جفنين فتغمض وتستريح أو تكون في موضع
خال أو ليل مظلم فيكفيك رؤيتها أو اللسان الذي هو وراء الحجابين
الأسنان والشفتين وأنت القادر على منعه وتسكينه بل القلب
غرض للخواطر لا تقدر على منعها والتحفظ عنها بحال ولا هي تنقطع
عنك بوقت ثم النفس متسارعة إلى اتباعها والامتناع عن ذلك
في مجهود الطاقة أمر شديد ومحنة عظيمة الرابع أن علاجه عليك
عسير له فلو غبت عنك فلا تكاد تشعر حتى تدخل به آفة وتحدث
له حالة فيحتاج أن تبحث عن ذلك ثم البحث بطول الجهد ودقيق
النظر وكثرة الرياضة الخامس أن الآفات إليه أسرع فهو إلى
الانقلاب أقرب فلقد قيل إن القلب أسرع انقلابا من القدر في غليانها
ولذلك قيل ما سمي القلب إلا من تقلبه والرأي يضرب بالأسفار
أطوارا ثم إن زلة القلب والعياذ بالله هي الأعظم ووقوعه أصعب
يقطع له أدناه فسوق ووصل إلى غير الله تعالى وعقباه صمم ونكره
الله سبحانه أما سمع قوله سبحانه وتعالى أبى واستكبر وكان من الكافرين

امتنع الشيطان عن السجود لآدم عليه السلام

سماه الكفرة بتقليدهم لجهال الآباء والكفر بطاعتهم اما تسمع قوله
تعالى ولكنه اخلد الى الارض واتبع هواه فكان الميل واتباع الهوى
بتقليد جهاله ذلك على الذنب المشؤوم بنفسه اما تسمع قوله تعالى
ونقلب افئدتهم وابصارهم كما لم يؤمنوا به اول مرة ونذرهم
في طغيانهم يعمهون ولهذا المعنى ايها الرجل خاف عباد الله تعالى الخواتيم
على قلوبهم وبكوا عليها وصرفوا عنايتهم اليها قال الله تعالى
في وصفهم يخافون يوما تتقلب فيه القلوب والابصار جعلنا الله واياكم
من المعتبرين بالعبر المتنبهين لمواضع الخطر الموفقين لاصلاح الجوهر
والنظر انه ارحم الراحمين فان قيل ان امر هذا القلب
لمهم جدا فاخبرنا عن المعاني التي تصلحه وتمنعه عن الآفات التي
تعترضه فلعل الله ان يوفقنا للاجتهاد في العمل بذلك يقال له
اعلم ان تفصيل هذه المعاني لطويل لا يحتمله هذا الكتاب وانما علماء
الآخرة عنوا باستخراج ذلك وتصنيفه في هذه النكتة لا غير وقد ذكروا
فيما يحتاج اليه من ذلك نحو سبعين خصلة محمودة ومثل اضدادها
المذمومة من الافعال والمساعي الواجبة والمحظورة ونحو ذلك
في سائر تفاصيلها وكم من رجل ظن انه احرز دينه وانه من رجال الغافلين
فينظر لنفسه فلا يكون تحصيل جميع ذلك والعمل به عليه كثيرا الا ان وفقه الله تعالى

وقد ذكرنا نبذة منها في شرح عجايب القلب من كتاب احياء
علوم الدين واتينا على شرح عجايبها جميعا بتفاصيلها وكيفية
علاجها في كتاب اسرار معاملات الدين وهو كتاب مستقل بنفسه
عظيم الفائدة ولا يشتغل به الا فحول العلماء الراسخين في علم الآخرة
وموضوع هذا الكتاب ان يشتغل به المبتدي والقوي والضعيف
فنظرنا في الاصول التي لا بد منها من ذكر في علاج القلب والحاجة
اليها ماسة ولا غنية عنها البتة في شان العبادة فوجدناها
اربعة امور هي مداحض العابدين وآفات المجتهدين وهي خفايا
القلوب وبليات النفوس تعوق وتثبط وتفسد وتتلف والاربعة
في مقابلتها فيها قوام العبادة وانتظام العبادة وصلاح القلوب فالآفات
الاربع الامل والاستعجال والحسد والكبر والمناقب الاربع قصر الامل
والتاني في الامور والنصيحة للخلق والتواضع والخشوع فهذه هي
الاصول في صلاح القلوب وفسادها وهي النكت التي تدور عليها المدار
فليبذل المجهود في التحرز عن هذه الآفات وتحصيل هذه المناقب
لتكتفي المؤنة ويظفر بالمقصود ان شاء الله وساذكر في هذه الآفات
بكلمات وجيزة اما طول الامل فانه العائق عن كل خير
وطاعة الجالب لكل شر وفتنة وانه الداء العضال الذي يوقع الخلق

في انواع البليات فاعلم انك اذا طال املك هاج لك منه
اربعة اشياء احدها ترك الطاعة والكسل فيها تقول سوف
افعل والايام بين يدي ولا يفوتني ذلك ولقد صدق داود الطائي
حيث قال من خاف الوعيد قرب عليه البعيد ومن طال امله
ساء عمله وقال يحيى بن معاذ الرازي الامل قاطع عن كل خير
والطمع مانع عن كل حق والصبر صائر الى كل ظفر والنفس داعية
الى كل شر والثاني ترك التوبة وتسويفها تقول سوف اتوب
في الايام سعة وانا شاب وسني قليل والتوبة بين يدي وانا قادر
عليها متى رمتها وربما يغتاله الحمام على الاصرار فاختطفه
الاجل قبل الاصلاح العمل الثالث الحرص على الجمع والاشتغال بالدنيا
عن الاخرة يقول اخاف الفقر في الكبر وربما اضعف عن الاكتساب ولابد
لي من شيء فاضل [illegible] لمرض او هرم او فقر شديد او نحو يحرك الى الرغبة
في الدنيا والحرص عليها والاهتمام للرزق تقول ايش اكل ايش اشرب
وايش البس وهذا الشتاء قد جاء وهذا الصيف قد جاء ولعل العمر يطول
فاحتاج والحاجة مع الشيب شديدة ولابد من قوة وغنية عن
الناس هذه واشباهها تحركك الى طلب الدنيا والرغبة فيها والجمع لها
والمنع لما عندك منها داعية الى ان يشغل قلبك ويضيع عليك

ومنك

يقال فاجأه الموت اي اخذه على غرة

ومنك ويبكيك همك وغمك بلا فائدة ولا طائل كما روي عن ابي ذر رضي
الله عنه انه قال قتلني همّ يوم لم ادركه قيل وكيف ذلك يا ابا ذر قال
ان املي جاوز اجلي والرابع القسوة في القلب والنسيان للآخرة لانك اذا
املت العيش الطويل لا تذكر الموت والقبر كما قال علي بن ابي طالب
كرم الله وجهه اخوف ما اخاف عليكم اثنان طول الامل واتباع
الهوى والا وان طول الامل ينسي الآخرة واتباع الهوى يصدك عن الحق
فاذا يصير فكرك ومعظم قلبك في حديث الدنيا واسباب العيش
في صحبة الخلق ونحوها فيقسو القلب من ذلك وانما رقة القلب وصفوته
بذكر الموت والقبر والثواب والعقاب واحوال الآخرة واذا لم يكن
شيء من ذلك فمن اين يكون لقلبك رقة وصفوة قال الله تعالى [illegible]
وكثرت معصيتك واشتد ضحكك وقسى قلبك وعظمت غفلتك
عن العاقبة فذهبت والعياذ بالله ان لم يرحمه الله تعالى اخرتك فاي
حال اسوأ من هذه واي آفة اعظم من هذه وكل هذا بسبب طول الامل
واما اذا قصرت املك وقربت من نفسك موتك وتذكرت حال اقرانك
واخوانك الذين فاجأهم الموت في وقت لم يحتسبوا ولعل حالك مثل
حالهم فاحذري يا نفس الغرور واذكري ما قال عون بن عبد الله رحمه الله
كم من مستقبل يوما لا يستكمله ومنتظر غدا لا يبلغه لو رأيتم الاجل

وصبره لا تغضتم الاجل وعزوه اما سمعت قول عيسى بن مريم
عليه السلام الدنيا ثلثة ايام امس مضى ما بيدك منه شيء وغد لا تدري
اتدركه ام لا ويوم انت فيه فاغتنمه ثم قول ابا ذر رضي الله عنه الدنيا
ثلث ساعات ساعة مضت وساعة انت فيها وساعة لا تدري
اتدركها ام لا فلست تملك في الحقيقة الا ساعة واحدة اذ الموت
من ساعة الى ساعة ثم قول شيخنا رحمه الله الدنيا ثلثة انفاس نفس
مضى عملت فيه ما عملت ونفس لا تدري اتدركه ام لا فكم من متنفس نفسا
فجاءه الموت قبل النفس الاخر فلست تملك الا نفسا واحدا
لا يوما ولا ساعة فبادر في هذا النفس الواحد الى الطاعة قبل
ان يفوت والى التوبة فلعلك في النفس الثاني تموت ولا تهتم بالنفس
بالرزق فلعلك لا تبقى لتحتاج اليه فيكون وقتك ضايعا والهم
فضلا وفيه عسى ان يهتم الانسان بالرزق ليوم واحد او ساعة
واحدة او نفس واحد اما تذكرين ما قاله النبي عم لاسامة اما تعجبون
من اسامة المشتري بصبر شهر ان اسامة لطويل الامل والله ما وضعت
قدما فظننت اني ارفعها ولا لقمت لقمة فظننت اني اسيغها حتى
يدركني الموت والذي نفسي بيده انما توعدون لآت وما انتم بمعجزين
فاذا انت ايها الرجل ان تذكرت هذه الاذكار وواظبت على ذلك

بالاعادة

علمت يقينا ان ما ختم كونه مسبق امره ... فضه وقدر

بالاعادة والتكرار قصر املك باذن الله فحينئذ توبي لنفسك تبادر الى
الطاعات وتعجل توبتك وتسقط عنك معصيتك وتزهد في الدنيا و
طلبها فيخف حسابك وينبعثك ويقع قلبك في تذكر الاخرة واهوالها وما يلو
الا من نفس الى نفس تصير اليها وتقاربها واحدا فواحدا فتزول عنك
القسوة ويبدو لك الرقة والصفوة وتستشعر عند ذلك الخوف من الله
تعالى والخشية ويستقيم لك امر عبادتك ويقوى الرجاء في ان تسعد
في عاقبتك وتظفر بالمراد في آخرتك وكل ذلك بعد فضل الله تعالى بسبب
هذه الخصلة التي هي قصر الامل ولقد حكي ان زرارة بن اوفى رحمه الله
قيل له في النوم بعد موته اي الاعمال ابلغ فيما عندكم قال وقصر الامل فانظر
لنفسك ايها الاخ وابذل المجهود في هذا الاصل الكبير فانه الاهم والاعظم
في صلاح القلب والنفس والله تعالى ولي التوفيق واما الحسد
فانه المنغص للطاعات الباعث على الخطيئات والنه الداء الذي يبتلى به
الكثير من القراء والعلماء فضلا من العامة والجهال حتى اهلكهم واوردهم
النار اما تسمع قول رسول الله صلى الله عليه وسلم ستة يدخلون النار
بستة العرب بالعصبية والامراء بالجور والدهاقين بالكبر والتجار بالخيانة
واهل الرساتيق بالجهل والعلماء بالحسد وان بلية بلغ شومها الى ان
اوقع العلماء النار لحقيق ان تحذر منها واعلم ان الحسد يهيج خمسة
اشياء احدها افساد الطاعات قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الحسد ياكل

اهل السوق والغالب ... الجهل غالب عليهم

الحسنات كما يأكل النار الحطب والثاني فعل المعاصي والشرور على ما
قال وهب رحمه الله للحاسد ثلث علامات يتملق اذا شهد ويغتاب
اذا غاب ويشمت بالمصيبة اذا نزلت قلت انا وحسبك ان الله تعالى
امر بالاستعاذة من شر الحاسد فقال ومن شر حاسد اذا حسد
كما امر بالاستعاذة من شر الشيطان والساحر فانظر كم له من الشر
والفتنة حتى انزل منزلة الشيطان والساحر حتى لا مستعان عليه
ولا معاذ الا بالله رب العالمين والثالث التعب والهم من غير فائدة بل مع
كل وزر ومعصية كما قال ابن السماك لم ار ظالما اشبه بالمظلوم من الحاسد
نفس دائم وعقل هائم وغم لازم والرابع عمى القلب حتى لا يكاد يفهم حكما
من احكام الله عز وجل فلقد قال سفيان عليك بطول الصمت تملك الورع
فلا تكن حريصا على الدنيا تكن حافظا ولا تكن طعانا تنج من السن
الناس ولا تكن حاسدا تكن سريع الفهم والخامس الخذلان والحرمان
فلا يكاد يظفر بمراد وينصر على عدو كما قال حاتم الاصم الطعين
غير ذي دين والعائب غير عابد والنمام غير مأمون والحسود غير منصور
قلت الحسود كيف يظفر بمراد ومراده زوال نعم الله تعالى عن عباده
المسلمين وكيف ينصر على اعدائه وهم عباد الله المؤمنون ولقد احسن ابو
يعقوب فيما قال اللهم صبرنا على تمام النعم [illegible] وحسبي [illegible]
يفسد عليك الطاعة ويكثر شرك [illegible] راحة النفس

ومنهم الغلبة والنصرة على الاعداء والظفر بالمطلوب فاي داء يكون
له ودواء لا صنعه فعليك بمعالجة نفسك من ذلك والله تعالى ولي التوفيق
واما الاستعجال والترك فانه الخصلة المفوتة للمقاصد الموقعة
في المعاصي فان منهما تبعات وآفات اربع احدها ان يقصد العابد
منزلة في الخير والاستقامة ويجتهد فربما يستعجل نيلها وليس لك
بوقتها فاما ان يفتر وييأس ويترك الاجتهاد فيحرم تلك المنزلة
واما ان يغلو في الجهد واتعاب النفس فينقطع عن تلك المنزلة فهو العابد المستعجل
بين افراط وتفريط وكلاهما نتيجة الاستعجال ولقد روينا عن النبي
صلى الله عليه وسلم ان ديننا هذا متين فاوغل فيه برفق فان
المنبت لا ارضا قطع ولا ظهرا ابقى وفي المثل السائر ان لم يستعجل تصل
ولذلك قال قائل قد يدرك المتأني بعض حاجته وقد يكون مع المستعجل
الزلل والثانية ان يكون للعابد حاجة فيدعو الله فيها ويكثر
الدعاء ويحذو ربما يستعجل الاجابة قبل وقتها فلا يجدها فيفتر
ويسأم فيترك الدعاء فيحرم حاجته ومقصوده والثالثة ان يظلمه انسان
فيغيظه فيبتدر بالدعاء عليه فيهلك مسلم بسببه وربما [illegible]
الحمية فيقع في معصية وهلاك قال الله تعالى ويدع الانسان بالشر
دعاءه بالخير وكان الانسان عجولا والرابعة ان اصل العبادة وملاكها

الورع والورع اصله النظر البالغ في كل شيء والبحث التام عن كل
شيء هو بصدده من اكل وشرب ولبس وكلام وعمل فاذا كان
الرجل مستعجلا في الامور غير متأن متثبت متبين لم يقع منه
توقف ونظر في الامور كما يجب ويتسارع الى كل كلام فيقع في
الزلل والى كل طعام فيقع في الحرام والشبهة وكذلك في كل امر
فيفوته الورع واي خير في عبادة بلا ورع واذا كان في خصلة
الانقطاع عن منازل الخير وحرمان الحاجات وهلاك المسلمين وهلاكه
ثم خطر فوت الورع الذي هو راس المال فحق للانسان ان يهتم لسائر
بالازالة واصلاح النفس بعدها والله ولي التوفيق واما الكبر فانه
الخصلة المهلكة وانسانا فاسمع قوله تعالى ابى واستكبر وكان من الكافرين
وليست هذه الخصلة بمنزلة سائر الخصال التي تقدح في عمل وتفسد
بفوت وانما تفسد الاصل وتقدح في الدين والاعتقاد لا اقوى منها وغلبت
لا يتدارك والعياذ بالله ثم اقل ما يهيج منها على صاحبها اربع آفات
احدها حرمان الحق وعمى القلب عن معرفة آيات الله تعالى وفهم
احكام الله تعالى سأصرف عن آياتي الذين يتكبرون في الارض بغير الحق
وقال الله تعالى كذلك يطبع الله على كل قلب متكبر جبار والثانية
المقت والبغض من الله تعالى قال الله تعالى انه لا يحب المستكبرين وروي
البغض

ان موسى

ان موسى عليه السلام قال يا رب من ابغض خلقك اليك قال من تكبر قلبه و
غلظ لسانه وضيق عينه وبخلت يده وساء خلقه والثالثة الخزي
والنكال في الدنيا قال حاتم رحمه الله اجتنب الموت على ثلثة على الكبر والحرص
والخيلاء فان المتكبر لا يخرجه الله تعالى من الدنيا حتى يريه الهوان من اذل
اهله وخدامه والحريص لا يخرجه الله تعالى من الدنيا حتى يحوجه الى
كسرة والى شربة لا يجد مساغا والمختال لا يخرجه الله تعالى من الدنيا
حتى يمرغه ببوله وقذره وقيل من تكبر بغير حق اورثه الله تعالى
ذلا بحق والرابعة النار والعذاب في العقبى على ما روي انا الله تعالى
يقول الكبرياء ردائي والعظمة ازاري فمن نازعني في واحد منهما ادخلته
نار جهنم والمعنى ان العظمة والكبرياء من الصفات التي تختص بي فلا ينبغي
لاحد غيري كما ان الرداء والازار يختص به لا يشاركه فيه وان خصلة
تفوتك معرفة الحق وفهم آيات الله تعالى واحكامه الذي هو اصل الامر كله
ثم تثمر لك المقت من الله تعالى والخزي في الدنيا والنار في الاخرة لا ينبغي للعاقل
ان يغفل عن نفسه فلا يصلحها بازالتها بالحذر والتحرز والاستعانة بالله تعالى بحوله
وقوته وهو عز وجل ولي التوفيق والعصمة بفضله فهذه بعض ما حضرنا
في هذه الخصال الاربع من الآفات وحسب العاقل واحد منها فضلا عن
الكل اذا اهتم امر قلبه وحاسب على امر دينه فان قلت فاذا كان الامر

منها فلا بد من معرفة حقيقتها
وحدها وما يبتني لذلك لنعرف كيف
الطريق والتحفظ

بهذه المنزلة من آفات هذه الخصال ولزوم التحفظ عنها فاعلم
ان في كل واحد منها كلاما كثيرا وقد اشبعنا القول في كتابي الاحياء
والاسرار ونحن نذكر ههنا ما لا بد من ذكره ولا يسع الغنا عنه فنقول
وبالله التوفيق اما الامل فقال اكثر علمائنا رحمهم الله انه ارادة الحيوة
للوقت المتراخي بالحكم وقصر الامل ترك الحكم فيه بان تقيده بالاستثناء
بمشية الله تعالى وعلمه في الذكر او بشرط الصلاح في الارادة فاذا
ان ذكرت حيوتك بانى اعيش بعد نفس ثان او ساعة ثانية او يوم
ثان بالحكم والقطع فانت آمل وذلك منك معصية لانه حكم على الغيب
فان قيدته بالمشية والعلم من الله تعالى فقلت اعيش ان شاء الله
او ان علم الله اني اعيش فقد خرجت عن حكم الامل ووصفت بقصر
الامل وكذلك ان اردت حيوتك للوقت الثاني قطعا فانت آمل فان
قيدت ارادتك بشرط الصلاح خرجت عن حكم الامل ووصفت بقصر الامل
من حيث تركت الحكم فيه فعليك بترك الحكم في ذكر البقاء وارادته
والمراد بالذكر ذكر القلب ثم المراد منه التوطين على ذلك والتثبيت
عليه فافهم ذلك راشدا ان شاء الله تعالى ثم الامل ضربان امل العامة
واهل الخاصة فامل العامة ان تريد الحيوة لتجمع الدنيا والتمتع
بها وهذه معصية محضة وضدها قصر الامل قال الله تعالى ذرهم ياكلوا ويتمتعوا
ويلههم الامل فسوف يعلمون وامل الخاصة ان يريد البقاء لاتمام عمل
خير فيه خطر وهو ما لا يستيقن الصلاح فيه فانه ربما يكون خيرا منه
لا يكون لعبد فيه او اتمام صلاح بان يقع بسببه في عجب او آفة لا يقوم بها
هذا الخير فاذا ليس للعبد ان ... الابتداء في صلاة او صوم او غيرهما بحكم
بانه يتمه اذ هو غيب ولا ان يقصد ذلك قطعا لانه ربما لا يكون فيه صلاح
بل يقيد ذلك بالاستثناء او بشرط الصلاح ليتخلص من عيب الامل قال
الله تعالى لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم ولا تقولن لشيء اني فاعل ذلك غدا الا ان
يشاء الله وضد هذا الامل فيما قال العلماء النية وانما قالوا ذلك على ضرب
من الاتساع لان الناوي بالنية المحمودة يكون ممتنعا من الامل فهذا حكم الامل
والنية المحمودة لانا قد مست الحاجة الى معرفتها مع انها الاصل الاصيل
قالوا رحمهم الله في حدها الجامع التام ان النية الصحيحة المحمودة ارادة
عمل مبتدأ او فعل ساير الاعمال بالحكم مع ارادة اتمامه بالتفويض و
الاستثناء فاما فعل فلم جاز الحكم في الابتداء ووجب التفويض والاستثناء
في الاتمام قال لعقد الخطر في الابتداء لانه في حال الابتداء ليس بشيء
متراخ عنك ولثبوت الخطر في الاتمام اذ هو يقع في وقت متراخ ففيه الخطران
خطر الوصول لا يدري هل تصل الى ذلك ام لا وخطر الفساد لا يدري هل في ذلك
صلاح ام لا فاذا وجب الاستثناء لخطر الوصول والتفويض لخطر الفساد فاذا

حصلت الالفة على هذه الشروط تكون حينئذ نية محمودة تخرجه عن حد
الامل وآفته فتامل جدا في هذه واعلم ان حصن قصر الامل ذكر
الموت وحصن حصنه ذكر فجاءة الموت والاصرة على غرة وغفلة
فلو غرور وفتور فاحتفظ بهذه الجملة وحصلها موفقا فان
الحاجة اليها ماسة ومع تضييع الوقت في القيل والقال وملاقاة الرجال
والله الموفق بفضله واما الحسد فهو ارادة زوال نعم الله تعالى
عن اخيك المسلم مما لك فيه صلاح فان لم ترد زوالها عنه ولكن تريد لنفسك
مثلها فهو غبطة وعلى هذا يحمل قوله صلى الله عليه وسلم لا حسد الا في اثنين الخبر
اي لا غبطة الا في ذلك فعبر عن الغبطة بالحسد اتساعا للمقاربة بينهما
فان لم يكن فيها صلاح فاردت زوالها فذلك تجنيح فهذا الفرق بين هذه
الخصال واما ضد الحسد فالنصيحة وهي ارادة بقاء نعمة الله على اخيك
مما لك فيه صلاح فان قيل كيف تعلم ان لك فيها صلاحا او فسادا لتنصح
لتصح المانع عن الحسد لتنصح او تحسد فاعلم انه قد يقوم
غالب الظن بذلك وغلبة الظن مما يجري مجرى العلم في هذه المواضع ثم
ان اشتبه عليك فلا ترد زوال نعمة احد من المسلمين او ابقاءها الا مقيدا
بالتفويض وشرط الصلاح لتخلص من حكم الحسد وتحصل لك فائدة
النصيحة واما حصن النصح المانع عن الحسد فهو ذكر ما اوجب الله تعالى

من موالاة المسلمين وحصن هذا الحصن ذكر ما عظم الله تعالى
من حق المؤمن ورفع من قدره وما له عند الله تعالى من الكرامات
العظيمة في العقبى وما لك فيه من الفوائد الجليلة في الدنيا من
التعاون والتظاهر والجماعات والجمعات ثم ما ترجوا
من شفاعته في الآخرة فهذه ونحوها مما تبعث على النصح
لكل مسلم وتجنبك ان تحسده في نعمة اعطاه الله تعالى
اياها والله ولي التوفيق بفضله واما العجلة فانها المعنى
الراتب في القلب الباعث على الاقدام على الامر باول
خاطر دون التوقف فيه والاستطلاع عنه بل الاستعجال
في اتباعها والعجلة وضدها الاناة وهو المعنى الراتب
القلب به الباعث على الاحتياط في الامور حتى
يستبين له رشده والتاني بعد الدخول في الامور حتى يوفي
لكل جزء منه حقه ثم مقدمات الاناة ذكر وجوه الخطر
في الامور التي تعترض الانسان وضروب الآفات المخوفة
فيها وذكر ما في النظر والتثبت من السلامة وما في التعسف
والاستعجال من الندامة والملامة هذه واما انها مما تبعث على
التاني والتوقف في الامور وتمنع من الاستعجال والتعسف
والله ولي التوفيق بفضله

واما الكبر فاعلم انه خاطر في رفع النفس واستعظامها والتكبر اتباعه
والضعة خاطر في وضع النفس واحتقارها والضعة خاطر في وضع
النفس واحتقارها والتواضع اتباعه ولكل واحد منهما عام وخاص
فالتواضع العام هو الاكتفاء بالدون من الملبس والمسكن والمركب
والتكبر في مقابلته الترفع عن ذلك وهو معصية كبيرة وخطيئة عظيمة
والتواضع الخاص هو تمرين النفس على قبول الحق ممن كان وضيعا
او شريفا والتكبر في مقابلته الترفع عن ذلك وهو معصية كبيرة
وخطيئة عظيمة ثم تحصيل التواضع العام ان تذكر مبداك ومنتهاك
وما انت عليه في الحال من ضروب الآفات والاقذار كما قال بعضهم
اولك نطفة مذرة وآخرك جيفة قذرة وانت فيما بينهما حامل
عذرة وتحصيل التواضع الخاص هو ذكر عقوبة العادل عن الحق المائل
في الباطل فهذه جملة كافية لمن استبصر والله ولي التوفيق الفصل
الخامس في البطن وحفظه ثم عليك بحفظ البطن واصلاحه فانه اشق الا
عضاء اصلاحا على المجتهد واكثرها مؤنة وشغلا واعظمها ضررا واثرا لانه
المنبع والمعدن ومنه يهيج الامور في الاعضاء من قوة وضعف وعفة
وجماح وخوف فعليك اولا بصيانته عن الحرام والشبهة اولا ثم عن فضول
الحلال ثانيا ان كانت لك همة في عبادة الله تعالى فاما الحرام والشبهة فانما

لزمك البحث عنهما لثلثة امور اولها حذرا من نار جهنم قال الله سبحانه وتعالى
ان الذين يأكلون اموال اليتامى ظلما انما يأكلون في بطونهم نارا وسيصلون
سعيرا وقال النبي صلى الله عليه وسلم كل لحم نبت من سحت فالنار اولى به
والثاني ان اكل الحرام والشبهة مطرود لا يوفق للعبادة اذ لا يصلح
لخدمة الله تعالى الا كل طاهر مطهر قلت انا الا ترى ان الله تعالى منع
الجنب عن الدخول الى بيته والمحدث عن مس كتابه قال عز من قائل
ولا جنبا الا عابري سبيل وقال تعالى لا يمسه الا المطهرون مع ان الجنابة
والحدث امر مباح فكيف بمن هو منغمس في قذر الحرام ونجاسة السحت
والشبهة حتى يدعى الى خدمة الله تعالى العزيز وذكره الشريف سبحانه
كلا فلا يكون ذلك وقال يحيى بن معاذ الرازي الطاعة مخزونة في خزائن الله
تعالى ومفتاحها الدعاء واسنانه الحلال ولما لم يكن للمفتاح اسنان فلا يفتح الباب
واذا لم يفتح باب الخزانة كيف يوصل الى ما فيها من الطاعة والثالث ان اكل
الحرام والشبهة محروم وان اتفق له فعل خير فهو مردود عليه غير مقبول
منه فاذا لا يكون له من ذلك الا العناء والكد وشغل الوقت قال صلى الله عليه وسلم
كم من قائم ليس له من قيامه الا السهر وكم من صائم ليس له من صيامه الا الجوع
والظماء وعن ابن عباس رضي الله عنه لا يقبل الله صلوة امرئ وفي جوفه
حرام فهذه هذه واما فضول الحلال فانه آفة العباد وبلية اهل الاجتهاد

وإن ما قلت فوجدت فيه عشر آفات هي مجموع أصول في هذا الشأن الأولى أن
في كثرة الأكل قسوة القلب وذهاب نوره روي عن النبي عليه الصلاة والسلام
أنه قال لا تميتوا القلوب بكثرة الطعام والشراب فإن القلب يموت كالزرع إذا
كثر عليه الماء ولقد شبه ذلك بعض الصالحين بأن المعدة كالقدر تحت القلب
تغلي والبخار إليه فكثرة البخار تكدّره وفي الثانية أن في كثرة الأكل فتنة تكون
الأعضاء وهيجها وانبعاثها للفضول والفساد فإن العبد إذا كان شبعان بطر
اشتهت عينه النظر إلى ما لا يعنيه من حرام أو فضول والأذن
الاستماع إليه واللسان التكلم والفرج الشهوة والرجل المشي إليه وإن كان
جائعاً فيكون الأعضاء كلها ساكنة هادئة لا تطمع إلى شيء منها ولا تنبسط
لها ولقد قال الأستاذ أبو جعفر رحمه الله إن البطن عضو إن جاع شبع
سائر الأعضاء يعني تسكن فلا تطالبك بشيء وإن شبع جاع سائر الأعضاء
وجملة الأمر أن أفعال الرجل وأقواله على حسب طعامه وشرابه إن دخل الحرام خرج
الحرام وإن دخل الفضول خرج الفضول كان الطعام بذراً للأعمال والأفعال نبتاً
يبدو منه الثالثة أن في كثرة الأكل قلة الفهم والعلم فإن البطنة تذهب الفطنة
ولقد صدق الداراني رحمه الله حيث قال إذا أردت حاجة من حوائج الدنيا
والآخرة فلا تأكل حتى تقضيها فإن الأكل يغيّر العقل وهذا أمر ظاهر
على من أخبره الرابعة أن في كثرة الأكل قلة العبادة لأنه إذا أكثر الإنسان الأكل

أيها المحبوس في رهن الطعام — سوف تنجو إن تحمّلت الفطام
ولتختفي أن في الجوع طعام وأشر — واقتدها وارتجي يا نافر
اغتذي بالنور كن مثل البصر — وارتق الأملاك يا خير البشر

تثقل

تثقل بدنه وغلبته عيناه وفترت أعضاؤه فلا يجيء منه شيء وإن اجتهد إلا النوم
فيكون كالجيفة الملقاة ولقد قيل إذا كنت بطيناً فعدّ نفسك زمناً ولقد ذكر عن يحيى بن زكريا
عليه السلام أن إبليس بدا له وعليه معاليق فقال له يحيى ما هذه قال الشهوات
التي بها أصيد بني آدم قال فهل لي فيها شيء قال لا إلا أنك شبعت ذات ليلة فثقلناك
عن الصلاة قال يحيى عليه السلام لا جرم أني لا أشبع بعدها أبداً فقال إبليس لا جرم إني
لا أنصح أحداً أبداً فهذا فيمن لم يشبع في عمره إلا ليلة فكيف بمن لا يجوع في عمره ليلة
ثم يطمع في العبادة وقال سفيان فالعبادة حرفة وحانوتها الخلوة وآلتها المجاعة
الخامسة أن في كثرة الأكل فقد حلاوة العبادة قال أبو بكر الصديق رضي الله عنه
ما شبعت منذ أسلمت لأجد حلاوة عبادة ربي وما رويت منذ أسلمت
اشتياقاً إلى لقاء ربي وهذه صفات المكاشفين وكان رضي الله عنه مكاشفاً وإليه
أشار النبي صلى الله عليه وسلم بقوله ما فضلكم أبو بكر بفضل صوم أو صلاة وإنما
فضلكم بشيء وقر في نفسه وقال الداراني أحلى ما تكون العبادة إذا التزق ظهري
ببطني السادسة أن فيه خطر الوقوع في الشبهة والحرام لأن الحلال لا يأتيك إلا قوتاً
ولقد روينا عن النبي صلى الله عليه وسلم أن الحلال لا يأتيك إلا قوتاً والحرام يأتيك جزافاً
السابعة أن فيه شغل القلب والبدن بتحصيله أولاً وبتهيئته ثانياً
ثم بالطعم ثالثاً ثم بالفراغ والتخلص عنه رابعاً ثم بالسلامة منه خامساً بأن تدوم
الصحة في البدن من آفات وعلل ولقد قال النبي صلى الله عليه وسلم أصل كل داء البردة

يعني التخمة واصل كل دواء الازم يعني الحمية وعن مالك بن دينار انه يقول يا هؤلاء
لقد اختلفت الى الخلاء حتى استحييت من الله تعالى في هذه الجملة من طلب الدنيا والظلم
الى الناس وتضييع الوقت بسبب كثرة الاكل ما لم يخف والثامنة ما بالمرض
امور الآخرة شدة سكرات الموت وورد في الاخبار ان شدة سكرات الموت على
قدر لذات الحيوة فمن اكثر من هذه اكثر من تلك والتاسعة نقصان الثواب في
العقبى قال الله تعالى اذهبتم طيباتكم في حياتكم الدنيا الاية فانه بقدر ما تأخذ من
لذات الدنيا تنقص لك من لذات الآخرة ولهذا المعنى ان الله تعالى عرض الدنيا على
نبيه محمد صلعم ما لم ولا ينقص من آخرتك شيئا فقال صلعم بذلك فدل على ان لخوف
النقصان الاول يتفضل الله عليه بذلك ولقد روي ان خالد بن الوليد رضي
الله عنه اضاف عمر بن الخطاب رضي الله عنه وهيأ لهم طعاما فقال عمر هذا لنا فما
لفقراء المهاجرين الذين ماتوا ولم يشبعوا خبز شعير قال خالد لهم الجنة يا امير
المؤمنين فقال عمر لئن فازوا بالجنة وكان حظنا من الدنيا فقد باينونا
بونا بعيدا وروي ان عمر رضه عطش يوما فدعا بماء فاعطاه رجل اناء
فيها ماء نبذ فيه تمرات فلما قربها عمر من فيه وجد الماء باردا حلوا امسك
وقال اخّر فقال الرجل والله ما اريد حلاوة يا امير المؤمنين فقال عمر رضي الله
عنه ذلك الذي منعني ويحك لولا الآخرة لشاركناكم في عيشكم العاشرة الحبس
والحساب واللوم والتعيير في ترك الاداب في اخذ الفضول وطلب الشهوات فان الدنيا

حلالها حساب وحرامها عقاب وزينتها الى تباب فهذه جملة العشرة وفي احدها
كفاية لمن نظر لنفسه فعليك ايها المجتهد بالاحتياط في القوت كيلا تقع في حرام وشبهة
فيلزمك العذاب ثم بالاقتصار من الحلال على ما يكون عونا على عبادة الله تعالى
لئلا تقع في شر وتقع في الحبس والحساب والله ولي التوفيق فان قلت فبيّن
لنا اولا حكم الحرام والشبهة وحدهما فاقول لعمري الله لقد اشبعنا القول
فيه في اسرار معاملات الدين وذكرنا له كتابا مفردا في كتب الاحياء لكنا نشير
الى كلمات مفردة بحيث يصل الى فهم الضعيف والمبتدي لان مقصود هذا
الكتاب ان ينتفع به المبتدي في العبادة ويعين الطالب قال بعض العلماء المحققين
ما تيقنت كونه ملكا للغير او نهاك عنه في الشرع فهو حرام محض واما ما لم
تتيقن بذلك ولكن يغلب في ظنك انه كذلك فهو شبهة وقال آخرون بل الحرام
المحض ما يكون به علم او غالب ظن لان غلبة الظن مما يجري مجرى العلم في كثير من الا
حكام واما الشبهة ما استوت الامارتان حتى تبقى شاكا لا يكون لاحدهما ترجيح عندك
فذلك شبهة تشبه انه حلال وتشبه انه حرام فاشتبه امره عليك والتبس
حاله ثم الامتناع عن الذي هو حرام محض حتم واجب وعن الذي هو شبهة تقول
هو ورع فهذا اولى القولين عندنا فان قيل فما تقول في قبول
جوائز السلاطين في هذا الزمان فاعلم ان العلماء اختلفوا فيه فقال قوم
كل ما لا يتيقن انه حرام فله اخذه وقال آخرون لا يجوز ان يؤخذ ما لا

انه حلال لان الاغلب في هذا العصر على السلاطين الحرام والحلال في ايديهم معدوم وعزيز وقال قوم ان صلات السلاطين تحل للغني والفقير اذا لم يتحقق انها حرام وانما التبعة على المعطي قالوا لان النبي صلعم قبل هدية المقوقس ملك الاسكندرية واستقرض من اليهود مع قول الله تع اكالون للسحت قالوا وقد ادرك جماعة من الصحابة ايام الظلمة واخذوا منهم منهم ابو هريرة وابن عباس وابن عمر وغيرهم رضوان الله عليهم اجمعين وقال اخرون لا يحل من اموالهم شي لغني ولا فقير اذ هم موسومون بالظلم والغالب من مالهم السحت والحرام والحكم للغالب فيلزم الاجتناب وقال اخرون ما لا يتيقن انه حرام فهو حلال للفقير دون الغني الا ان يعلم الفقير ان ذلك عين الغصب فليس له ان ياخذ الا ليرده على مالكه ولا حرج على الفقير ان ياخذ من اموال السلاطين لانها ان كانت ملك السلطان فاعطى الفقير فله اخذه بلا ريب وان كانت من في او خراج او عشر فللفقير فيه حق وكذلك لاهل العلم قال علي بن ابي طالب رضي الله عنه كرم الله وجهه من دخل الاسلام طايعا وقرا القران ظاهرا فله في بيت مال المسلمين في كل سنة مايتا درهم وروي دينارا ان لم ياخذه في الدنيا اخذه في الآخرة واذا كانت كذلك فالفقير والعالم ياخذ من حقه قالوا ولان المال مختلطا بمال مغصوب لا يمكن تمييزه او غصبا لا يمكن الرد على صاحبه وذريته فلا مخلص للسلطان منه الا ان يتصدق به وما كان الله ليامر بالصدقة على الفقير وينهى الفقير عن قبوله

او ياذن للفقير في القبول وهو عليه حرام فاذا للفقير ان ياخذ الا عين الغصب والحرام فليس له اخذه وهذه المسائل لا يمكن الفتوى فيها الا ببسط وتشقيق واستيعاب القول فيها يخرج عن المقصود من الكتاب فان اردت معرفتها فطالع كتاب الحلال والحرام من كتاب احياء علوم الدين تجد مشروحا مبينا فيه ان شاء الله عز وجل فان قيل فما تقول في صلات اهل السوق وغيرهم هل يلزم ردها والبحث عنها وقد علمت مجازفتهم وقلة تحرزهم في معاملاتهم وكذلك صلات الاخوان فالجواب انه اذا كان ظاهر الانسان الصلاح والستر فلا حرج عليك في قبول صلته وصدقته ولا يلزمك البحث بان تقول قد فسد الزمان فان هذا سوء ظن بذلك الرجل المسلم بل حسن الظن بالمسلمين مامور به ثم اعلم ان ما هو الاصل في هذا الباب وهو ان ههنا شيين احدهما حكم الشرع وظاهره والثاني حكم الورع وحقه فحكم الشرع ان تاخذ ما اتاك من ظاهره صلاح ولا تسال الا ان تتيقن انه غصب او حرام بعينه وحكم الورع ان لا تاخذ من احد شيا حتى تبحث عنه غاية البحث وتستقصي غاية الاستقصا فتستيقن انه لا شبهة فيه بحال والا فترده ولقد روينا عن ابي بكر الصديق رضي الله عنه ان غلاما له اتاه بلبن فشربه فقال له الغلام كنت اذا جيتك بشي سالتني عنه ولم تسالني عن هذا اللبن فقال وما قصته فقال رقيت قوما فاعطوني هذا فقاءه ابو بكر وقال اللهم هذا ما قدرت عليه وما بقي في العروق فانت

حسبه فهذا يدلك على وجوب البحث بما تقدم عليه ان كان لك نظر في الورع وحقه
في هذه فان قلت فكان الورع يخالف الشرع وحكمه فاعلم ان الشرع
موضوع على اليسر والسماحة ولذلك قال صلى الله عليه وسلم بعثت بالحنيفية
السمحة والورع موضوع على التشديد والاحتياط كما قيل الامر على المتقي اضيق
من عقد التسعين ثم الورع من الشرع ايضا وكلاهما في الاصل واحد لكن للشرع
حكمان حكم الجواز وحكم الافضل الاحوط فالجائز يقال له حكم الشرع والافضل الاحوط
يقال له حكم الورع فهما مع تغيير ما واحد في الاصل فافهم ذلك راشدا فان قلت
اذا جاز البحث والاستقصاء عن كل شيء فسد علينا ما ناخذ منه في هذا الزمان وتعذر
الاحتياط على صاحب الورع اذ لا بد له من بلاغ يبلغه الى الطاعة فاعلم
ان طريق الورع شديد بدواه من قصد سلوكه فشرطه ان يوطن نفسه وقلبه على
احتمال الشدة والا فلا يتم له ذلك ولهذا المعنى صار الكثير من اهل الورع والسابقون
الى جبل لبنان وغيره واقتصروا على اكل الحشيش وثمرات تاجزية لا شبهة فيها
بحال فمن سمت همته الى نيل منزلة الورع الاعلى فعليه ان يحمل الشدائد ويصبر
عليها ويسلك طريق اولئك لينال منزلتهم واما ان اقام بين الناس واكل مما بايدا
ولو نرى ايديهم فليكن عنده بمنزلة الميتة لا يقدم عليها الا عند الضرورة ثم
لا يتناول منها الا مقدار ما يبلغه الى الطاعة فيكون له عذر في ذلك ولا يضره وان
كان في اصله شبهة فان الله تعالى اولى بالعذر ولهذا قال الحسن البصري رحمه الله

بقبول العذر

السوق

ففيكم بالقوت ولقد بلغني عن وهيب بن الورد انه كان يجوع نفسه يوما
ويومين وثلثة ثم ياخذ رغيفا ويقول اللهم انك تعلم اني لا اقوى على العبادة
واخشى الضعف والا لما اكلته اللهم ان كان فيه شيء من خبث او حرام فلا تواخذني
ثم يلقي الرغيف في الماء فيأكله قلت فهذان الطريقان للطبقة العليا من اهل
الورع فيما نعلمه واما من دونهم فلهم احتياط وبحث على مقدارهم ولهم ايضا
نصيب من الورع على مقدار وبقدر ما يتقي تنال ما تتمنى والله تعالى لا يضيع اجر من
احسن عملا وهو عليم بما يفعلون فان قيل فهذا جانب الحرام فما حدنا عن
جانب الحلال وما حد الفضول الذي يلزم منه الحبس والحساب وما المقدار الذي
اذا اخذه العبد يكون ذلك كفافا ولا يكون فضولا ولا عليه فيه حبس ولا حساب له
اعلم ان اموال المباح في الجملة ثلثة اقسام احدها ما ياخذه العبد مفاخرا
مكاثرا مرائيا مباهيا فيكون الاخذ منه فعلا منكرا يستوجب على ظاهر فعله
الحبس والحساب واللوم والتعيير وهو منكر ويستوجب على باطن
فعله وهو التكاثر والتفاخر عذاب النار وذلك لان العقد منه معصية وذلك لقوله
تعالى عز وجل انما الحيوة الدنيا لعب ولهو وزينة الى قوله وفي الاخرة عذاب شديد
وقال النبي صلى الله عليه وسلم من طلب الدنيا حلالا مباهيا مكاثرا مفاخرا مرائيا
لقي الله تعالى وهو عليه غضبان فالوعيد على قصده ذلك بقلبه والقسم الثاني
ان ياخذ الحلال لشهوة نفسه لا غير فذلك منه شيء يستوجب عليه الحبس والحساب

نقضا

لقوله تعالى ثم لتسألن يومئذ عن النعيم وقال النبي صلعم حلالها حساب الحديث
والقسم الثالث ان يأخذ من الحلال في حال العذر قدر ما يستعين به على عبادة
الله ويقتصر على ذلك فذلك منه خير وحسنة ولا عتاب لاحساب عليه ولا عقاب
بل يستوجب الاجر والمدحة لقوله تعالى اولئك لهم نصيب مما كسبوا وقال صلعم
من طلب الدنيا حلالا استعفافا عن المسألة وتعطفا على جاره وسعيا على عياله
جاء يوم القيمة ووجهه كالقمر ليلة البدر وذلك لما قصد به هذه القصود المحمودة
لله تعالى في هذه فاعلمها فان قيل فما شرط المباح حتى يصير خيرا
وحسنة كما ذكرتم فاعلم ان المحتاج في كونه خيرا في الاصل الى شرطين احدهما الحال
والثاني القصد فالحال يجب ان يكون في حال عذر وتحقيقه انه لم يأخذ يؤخذ
وتفسيره ان يكون حاله انه لم يأخذ ذلك المباح ينقطع بسببه عن فرض او سنة
او نفل يكون ذلك اخفض عنده من ترك المباح فان ترك مباح الدنيا فضيلة فاذا كان
كان الحال كذلك فهو حال العذر واما القصد فبان يقصد به العدة والاستعانة
على عبادة الله تعالى وهو ان يذكر بقلبه انه لولا ما فيه من التوصل الى عبادة الله
تعالى لما اخذته ذلك ... ذكر الحج فلما حصل ذكر الحج في حال العذر صار ذلك
الاخذ من الدنيا الحلال خيرا وحسنة وادبا واما لو كان حاله حال العذر ولا يكون
له هذا القصد والذكر او يكون له هذا الذكر ولا يكون في حال العذر فلا يصير ذلك
الاخذ من جملة الخيرات ثم الاستقامة على حفظ هذا الادب يحتاج الى بصيرة قصد

مجمل

مجمل بانه لا يأخذ الا ما يحتاج اليه الا ليتقوى على عبادة الله تعالى حتى انه ان سها عن ذكر
الحج في حال اجراه ذلك القصد المجمل عن تجديد ذكر الحج فقال شيخنا رحمه الله فصارت
الامور الثلثة معتبرة فيه كل واحد من وجه يعني ان الذكر والحال معتبران في
حصول كونه خيرا اصلا والقصد المجمل المقتضي عن بصيرة عزلة الادب معتبر في
الاستقامة عليه فافهم ذلك راشدا فان قيل فاذا اخذ الدنيا الحلال للتنعم لا للاحتياج اليه
فهل يكون ذلك معصية وهل يلزم عليه عذاب وهل الاخذ بالعذر فرض ام لا
فاعلم ان ذلك فضيلة وتسميته خيرا وحسنة والامر به امر تأديب والاخذ بالتنعم
شر وسيئة والنهي عنه نهي زجر وليس ذلك بمعصية ولا يكون عليه عذاب النار وانما يكون
عليه الحبس والحساب واللوم والتعيير فان قلت فما هذا الحبس والحساب الذي
يلزم العبد فاعلم ان الحساب ان يسأل يوم القيمة عن ماذا اكتسبت وفيماذا انفقت
وماذا اردت بذلك والحبس حبس عن الجنة مدة الحساب بذلك في عرصة القيمة بين
اهوالها ومخاوفها عريانا عطشان وكفى بذلك بلية فان قيل فالله سبحانه قد احل
لنا هذا الحلال فاللوم والتعيير في الاخذ لماذا فاعلم ان اللوم والتعيير لترك الادب
كمن اجلس على مائدة الملك فترك الادب فانه يعير بذلك ويلام وان كان الطعام له حلالا
مباحا والاصل في هذا الباب ان الله تعالى خلق العبد لعبادته فهو عبد الله تعالى من
كل وجه حق للعبد ان يعبد الله من كل وجه يمكنه ويجعل افعاله كلها عبادة من اي وجه
امكنه وانه لم يفعل ذلك وآثر شهوة نفسه واشتغل بذلك عن عبادة ربه مع تمكنه من ذلك من
غير عذر

والدار دار هلاكة وعبادة لا دار تنعم وشهوة استحق بذلك اللوم والتعيير
من سبيل فيا غافلا عن هذا الاصل راشدا ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم
فهذه الجملة التي اردنا بيانها في اصلاح النفس والجامها بلجام التقوى فاعرفها حقها
فاحتفظ بها جدا تفز بالخير الكثير في الدارين ان شاء الله تعالى والله ولي العصمة
بفضله فصل فعليك ايها الرجل ببذل المجهود في قطع هذه العقبة العظيمة
الطويلة فانها اعظم العقبات شدة واكثرها مؤنة واكبرها آفة وفتنة فان من هلك
من الخلق كلهم انما انقطعوا عن طريق الحق اما بسبب دنيا او خلق او شيطان او
نفس ولقد ذكرنا في كتبنا المصنفة من كتاب الاسرار والاحياء والقربة
ما يبعث على الاهتمام بذلك ومقصود هذا الكتاب اني سألت الله تع ان يطلعني
على سر معالجة النفس وان يصلحني ويصلح بي فاقتصرت في هذا الكتاب الشريف
على نكت وجيزة اللفظ غزيرة المعنى تقنع من تأملها وتدعم على واضح من الطريق
ان شاء الله عز وجل وفي هذا الفصل نختص بنكت في معالجة الدنيا والخلق والشيطان
والنفس اما الدنيا فيحق لك ان تحذرها وتزهد فيها لان الاجل لا يخلو من ثلثة
اوجه اما انت صائر فيها بالمصائب والغصص فحسبك ان الدنيا عدوة الله سبحانه
وهو حبيبك ولو لم تكن الدنيا نقيصة عقلك والعقل قيمتك واما انت من ذوي الهمم
في عبادة الله تع والاجتهاد فحسبك ان الدنيا يبلغ من شؤمها ما يمنعك او ذهب
ويشغلك الفكر فيها عن العبادة والخير فكيف نفسها واما انت من اهل الغفلة لا
بصيرة لك

تبصر الحقائق

تبصر الحقائق ولا همة لك تبعث على المكارم فحسبك ان الدنيا لا تبقى
اما ان تفارقها واما ان تفارقك كما قال الحسن ان بقيت لك الدنيا
لا تبق لها فاية فائدة في الاولى طلبها وانفاق العمر العزيز عليها ولقد احسن
القائل هب الدنيا تساق اليك عفوا أليس مصير ذاك الى الزوال
وما دنياك الا مثل ظل اظلك ثم آذن بارتحال فلا ينبغي للعاقل
ان ينخدع بها ولقد صدق القائل حيث قال اضغاث نوم او كظل
زايل ان اللبيب بمثلها لا يخدع واما الشيطان فحسبك فيه ما قال
الله تعالى لنبيه محمد صلعم وقل رب اعوذ بك من همزات الشياطين
واعوذ بك رب ان يحضرون فهذا اخير العالمين واعلمهم واعقلهم
وافضلهم عند الله تعالى يحتاج مع ذلك ان يستعيذ بالله من شر الشيطان
فكيف بك مع جهلك ونقصك وغفلتك واما الخلق فحسبك منهم انك
لو خالطتهم ووافقتهم في اهوائهم أثمت وافسدت امر آخرتك وان
خالفتهم تعبت بأذياتهم وجفواتهم وكدرت عليك امر دنياك ثم
لا تأمن ان يلجؤك الى معاداتهم ومنافاتهم فتقع في شرهم
ولانهم ان مدحوك وعظموك اخاف عليك الفتنة والعجب وان
ذموك وحقروك اخاف عليك الحزن تارة والغضب لغير الله تارة اخرى
وكلا الامرين آفة مهلكة ثم اذكر حالك معهم بعدما صرت الى القبر ثلثة
ايام

كيف يتركونك وينسونك ولا يلحقونك ولا يذكرونك كانك لم تدم معهم ولم
يدوموا لك فلا يبقى هنالك الا الله تعالى افلا يكون من الغبن العظيم ان تضيع
ايامك مع صولة الخلق مع قلة الوفاء وقلة البقاء معهم وتترك خدمة
الله تعالى الذي ترجع اليه آخر الامر وحدك ولا يبقى لك الا هو ابدا الآبدين
الحاجات كلها اليه والتوكل كله عليه والاعتصام كله في كل حال وعند
كل شدة ومؤنة به وحده لا شريك له فتأمل يا مسكين لعلك ترشد
ان شاء الله تعالى واما النفس فحسبك ما تشاهد من حالاتها وردائة
ارادتها وسوء اختيارها ففي حال الشهوة بهيمة وفي حال الغضب
سبع وفي حال المصيبة تراها طفلا وفي حال النعمة تراها فرعونا
وفي حال الجوع تراها مجنونا وفي حال الشبع تراها في الآن اشبعتها
بطرت ومرحت وان جوعتها صاحت وجزعت فهي كما قال
العابد الاول كحمار السوء ان اقضمته رمح الناس وان جاع نهق
ولقد صدق بعض الصالحين حيث قال ان نقاوة هذه النفس
وحالها بحيث لا اطاعت او انبعثت لشهوة لو تشفعت اليها
بالله سبحانه ثم برسوله وبجميع انبيائه وبكتابه وبجميع السلف الصالح
من عباده وتعرض عليها الموت والقبر والقيامة والجنة والنار
لا تعطي القيادة ولا تترك الشهوة ثم انا استعملتها بالمنع وعنيف فانها
انها تسكن

وتذكر

وتذكر شهواتها بالتعلم خشنها وجعلها فاياك ايها الرجل ان تغفل عنها
فانها كما قال خالقها العالم بها جل جلاله ان النفس لامارة بالسوء وكفى
بهذا التنبيه لمن عقل ولقد بلغنا عن بعض الصالحين يقال له احمد بن
ارقم البلخي انه قال نازعتني نفسي بالخروج الى الغزو فقلت سبحان الله
ان الله سبحانه وتعالى يقول ان النفس لامارة بالسوء وهذه تأمرني بالخير
وهذا لا يكون ابدا ولكنها استوحشت فتريد لقاء الناس لتستروح
اليهم ويتسامع الناس بها فيستقبلونها بالتعظيم والبر والاكرام لها
فقلت لها لا انزلك العمران ولا انزل على معرفة فاجابت فاسأت
الظن بها وقلت الله تعالى اصدق فقلت لها اقاتل العدو حاسرا
فتكونين اول قتيل فاجابت وعد اشياء امثال ذلك فاجابت
الى كل ذلك قال فقلت يا رب نبهني لها فاني متهم لها ومصدق لك فكوشفت
كانها تقول يا احمد انت تقتلني كل يوم بمنعك اياي من شهواتي مرات
ومخالفتك ولا يشعر به احد فان قتلت قتلة واحدة فنجوت
منك ويتسامع الناس فيقال استشهد احمد ويكون لي شرفا
او كما قال فقعدت ولم اخرج الى الغزو فانظر الى خداع
النفس وغرورها تراءي الناس بعد الموت بعمل الكل بعد
ولقد صدق القائل واحسن فيما قال توق نفسك لا تأمن غوائلها

فالنفس أخبث من سبعين شيطانا فتنبه رحمك الله لهذه الخداعة
الأمارة بالسوء ووطن على مخالفتها فلعلك بكل حال تصيب وتسلم
إن شاء الله تعالى ثم عليك بإلجامها بالتقوى لا حيلة لها سواه واعلم
أن ههنا أصلا أصيلا وهو أن للعبادة شطران شطر الاكتساب
وشطر الاجتناب والاكتساب هو فعل الطاعات والاجتناب الامتناع
عن المعاصي والسيئات وهو التقوى وأن شطر الاجتناب على كل
حال أسلم وأصلح وأفضل وأشرف للعبد من شطر الاكتساب
ولذلك يشتغل المبتدئون من أهل العبادة الذين هم في أول
درجة الاجتهاد بشطر الاكتساب كل همتهم أن يصوموا نهارهم
ويقوموا ليلهم ونحو ذلك ويشتغل المنتهون أولو البصائر
من أهل العبادة بشطر الاجتناب إنما همتهم أن يحفظوا قلوبهم
عن الميل إلى غير الله تعالى وبطونهم عن الفضول وألسنتهم
عن اللغو وأعينهم عن النظر إلى ما لا يعنيهم ولهذا المعنى العابد الله العباد
ليونس اعلم يا يونس أن من الناس من حبب إليهم الصلوات
ولا يؤثرون عليها شيئا ومنهم من عمود العق بالشأن سبحانه والصدق
والتضرع والابتهال ومنهم من حبب إليهم الصوم فلا يؤثرون
عليه شيئا ومنهم من حبب إليهم الصدقة فلا يؤثرون عليها

شيئا يا يونس وأنا مفسر لك هذه الخصال اجعل الصوم لك الصمت عن كل سوء
واجعل صدقتك كف الأذى فإنك لا تتصدق بشيء أفضل منه ولا تصوم
بشيء أزكى منه فإذا علمت أن جانب الاجتناب أولى بالرعاية والاجتهاد فيه
فإن حصل لك الشطران جميعا الاكتساب والاجتناب فقد استكمل
أمرك وحصل مرادك ولقد سلمت وغنمت وإن لم تبلغ إلا إلى أحدهما
فليكن ذلك جانب الاجتناب فتسلم إن لم تغنم والأخرى الشطرين
جميعا وما ينفعك قيام الليل وتعبه ثم تخلط بالإثم ولعلك وما ينفعك
صيام نهار طويل ثم تفسده بطلة واصل ولقد روينا عن ابن عباس أنه قيل له
ما تقول في رجلين أحدهما كثير الخير كثير الشر والآخر قليل الخير قليل الشر
قال لا أعدل بالسلامة شيئا ومثال ما قلنا حال المريض فلذلك أن معالجة
المريض نصفان نصف هو الدواء ونصف هو الاحتماء فإن اجتمعا فكأنك
بالمريض وقد برئ وصح وإلا فالاحتماء به أولى لأنه لا ينفع دواء مع ترك الاحتماء
ولقد ينفع الاحتماء مع ترك الدواء ولقد قال صلعم أصل كل الحمية والمعني
بها والله أعلم أنها تغني عن كل دواء ولذا يقال إن أهل الهند جل معالجتهم
الحمية يمتنع المريض عن الأكل والشرب والكلام عدة أيام فيبرأ ويصح بذلك
لا غير فتبين لك بهذه الجملة أن التقوى ملاك الأمر وهو جوهر وأهلها هم
الطبقة العلية العليا من العباد فعليك ببذل المجهود فيه وذلك بحبل العناية

والله ولي التوفيق فصل ثم راع هذه الاعضاء الاربع التي هي الاصول
الاول العين وحسبك فيها ان مدار امور الدين والدنيا على القلب وان
خطر القلب وشغله وفساده في الاكثر من العين ولذلك قال علي بن
ابي طالب رضي الله عنه من لم يملك عينه فليس للقلب عنده قيمة والثاني
اللسان وحسبك ان فيه ربحك وغنيمتك وثمرة نفعك واجتناء كل كله
العبادة والطاعة وان خطر العبادة واحباطها وافسادها في الاكثر
من قبل اللسان بالتصنع والتزين والغيبة ونحوها يتلف عملك بالحظة
واحدة ما تعبت فيه سنة واحدة بل عمرا ولذلك قيل ما شيء
احق بطول السجن من اللسان وفيما روي ان احد العباد السبعة
قال ليونس عليه السلام يا يونس ان العباد له اجتهدوا في العبادة
لم يتفقوا على عبادتهم بشيء افضل من الصبر عن ترك الكلام في
قصد طويل ثم عاد الى ذلك فقال لا يكونن عندك شيء افضل اثرا من حفظ
لسانك ولا تكونن لشيء اغنى به من سلامة صدرك فهذه هذه ثم اذكر النفس
الذي تكلمت فيه بفضول ما كان يضرك لو قلت استغفر الله فربما
توافق ساعة عزيزة فيغفر الله لك فتربح راس مالك ولو قلت لا
اله الا الله فيكون لك من الاجر والذخر ما لا يحيط به وهمك او تقول اسال
الله العافية فربما تتفق حسن نظر فيستجيب الله دعوتك فتجوت

من بلية

من بلية الدنيا والآخرة الا يكون من الخسران العظيم والغبن
الفظيع ان تفوت عن نفسك كل هذه الفوائد الكريمة وتجعل
نفسك ووقتك في فضول الكلام ما لك منه الا اللوم والحساب يوم القيمة
ولقد احسن القائل في قوله ولا ما هممت بالنطق في الباطل فاجعل
مكانه تسبيحا والثالث البطن وحسبك ان مقصود العبادة وان
الطعام بذر العمل وماؤه منه ينبت واذا خبث البذر
لا يطيب الزرع بل فيه خطر ان يفسد عليك ارضك فلا تصلح ابدا ومن
ذلك ما بلغنا عن معروف الكرخي رحمه الله انه قال اذا صمت فانظر
على اي شيء تفطر وعند من تفطر وطعام من تاكل فكم من ياكل اكلة فينقلب
قلبه عما كان عليه لا يعود الى حالته ابدا وكم من اكلة حرمت قيام ليلة
وكم من نظرة منعت قراءة سورة وقيام سنة فعليك ايها الرجل
بالنظر الدقيق والاحتياط البالغ الشديد فيه فهو ان كان لك عناية
بقلبك وهمة في عبادة ربك جزاء اصل القوت حتى يكون من وجهه
ثم عليك بالادب فيه والا كنت مما الطعام مضيعا للايام لا قد علمنا
يقينا بل قد راينا عيانا ان العبادة لا يجيء منها شيء الا بالبطن وان
اكرهت النفس على ذلك جاهدت مع وجود الجبل فلا يكون لتلك العبادة
حلاوة ولا لذة ولذلك قيل لا تطمع بحلاوة في العبادة مع كثرة الاكل او تنور
حلاوة

في النفس بلا عبادة وفي عبادة بلا لذة ولا حلاوة ولهذا المعنى قال ابراهيم ابن ادهم
صحبت اكثر رجال الله تعالى في جبل لبنان وكانوا يوصوني لما رجعت
الى ابناء الدنيا بعظهم باربع قل لهم من تكثر الاكل لا يجد لذة العبادة
ومن ينم كثيرا لا يجد في عمره بركة ومن طلب رضاء الله الناس فلا ينتظره
رضاء الرب ومن تكثر الكلام بفضول وغيبة فلا يخرج
من الدنيا على دين الاسلام وروي عن سهل رحمه الله انه قال يجامع الخير
كله في هذه الخصال الاربع وبها صارت الابدال ابدالا اخماص البطون
والصمت والاعتزال عن الخلق وسهر الليل وقال بعض العلماء من
الجوع راس مالنا ومعناه ان ما حصل لنا من فراغ وسلامة وعبادة
وصلاة وعلم نافع بسبب الجوع والصبر عليه لله سبحانه واما القلب
فحسبك انه اصل الاعضاء لقدرته فهذا الكلام ان اصلحته صلح الكل اذ هو
الشجرة وساير الاعضاء الاغصان ومن الشجرة تشرب الاغصان
وتصلح وتفسد وانه الملك وساير الاعضاء تبع واركان وان صلح الملك صلحت
الرعية واذا فسد فسدت فاذا اصلاح العين واللسان والبطن
وغيرها دليل على صلاح القلب وعمارته ولما رايت فيه خللا وفسادا
فاعلم ان ذلك من خلل في القلب وفساد ووقع ثم بل الفساد فيه اكثر
فاصرف عنايتك اليه فاصلحه يصلح الكل بمرة فتستريح ثم اجده دقيق

عينيه لا مؤمن على الخواطر ومن ليست تحت يدك والامتناع من اتباعها
مجهود طاقتك ففيه اقصى المشقة ولهذا المعنى صار اصلاحه اشد على اهل
الاجتهاد والاهتمام به من اكثر واكبر عند ذوي البصاير وعن ابي يزيد
عالجت قلبي عشرا ولساني عشرا ونفسي عشرا فكان قلبي اصعب الثلثة
فهذه هي ثم عليك بالاهتمام بالخصال الاربع التي ذكرناها من الامل والعجلة في
الامور والحسد والكبر وانما خصصنا هذه الاربع من بين ساير الخصال
في هذا الموضع وحضضنا على الاحتراس منها لانها علل القراء خاصة
اي من تعتري ساير الناس عموما والقراء خصوصا فتكون اقبح وانشع
ترى الرجل القاري يطول الامل ويمتد نيته خير فيوقعه الكسل والتواني
في العبادة اي يتعجل في تحصيل منازل الخير فينقطع عنها او في اجابة
دعاء صالح فيحرم ذلك او في الدعاء على احد بسوء فيندم على ذلك كما ذكر
عن نوح عليه السلام وتراه يحسد نظراءه علما آتاهم الله من فضله
حتى ربما يبلغ ذلك منه مبلغا يحمله على قبايح لا يقدم عليها فاسق ولا فاجر
ولهذا المعنى قال سفيان الثوري رحمه الله ما اخاف على دين الا القراء
والعلماء فاستنكروا منه ذلك فقال ما انا قلته انما قاله ابراهيم النخعي وعن
عطاء قال قال لي الثوري احذروا القراء واحذروني معهم فلو خالفت
اودهم لي في رمانة فاقول انها حلوة ويقول انها حامضة ما امنته

ان يتسوق بزحمة الى السلطان الجائر وعن مالك بن دينار انه قال اني اقبل شهادة القراء
على جميع الخلق ولا اقبل شهادة بعضهم على بعض لاني وجدتهم حساداً وعن الفضيل
انه قال لابنه اشتر لي داراً بعيدة من القراء ما لي وللقوم ان ظهرت مني زلة
هتكوني وان ظهرت علي نعمة حسدوني وكذلك تراه يتكبر على الناس ويستخف
بهم معرضاً عنهم مستخلياً من الناس معبساً وجهه كأنه يمن على الناس
بما يصلي زيادة ركعتين او كأنما جاءه من الله تعالى منشور بالجنة والبراءة
من النار او كأنه استيقن السعادة لنفسه والشقاوة لساير الناس
ثم مع ذلك يلبس لباس المتواضعين من صوف وغيره ويتماوت وهذا
لا يليق بالترفع والتكبر ولا يلايمه بل يناقضه ولكن الاعمى لا يبصر كما ان فرقداً
السبخي دخل على الحسن البصري وعليه كساء وعلى الحسن حلة فجعل يلمسها
فقال الحسن ما لك تنظر الى ثيابي ثيابي ثياب اهل الجنة وثيابك ثياب اهل
النار بلغني ان اكثر اهل النار اصحاب الاكسية ثم قال الحسن جعلوا الزهد
في ثيابهم والكبر في صدورهم والذي يحلف به لاحدكم بكسائه اعظم كبراً من
صاحب المطرف بمطرفه والى هذا المعنى اشار ذو النون رحمه الله حيث
قال تصوف فازدهى بالصوف جهلاً وبعض الناس يلبسه مجانة
يريك مهانة ويريك كبراً وليس الكبر من شكل المهانة تصوف كي يقال له امين
وما معنى تصوفه الامانة ولم يرد الاله به ولكن اراد به الطريق الى الخيانة

فليحذر

فليحذر الرجل من هذه الآفات الاربع لا سيما الكبر فان الثلثة الاول
مداحض لو زللت فيها لوقعت في العصيان والكبر مدحض لو
وقعت فيه لوقعت في لجاج الكفر والطغيان الا ترى حديث ابليس
وفتنته انه ابى واستكبر وكان من الكافرين والرجوع الى الله تعالى
ان يعصمنا جميعاً بجوده انه الجواد الكريم

فصل

فعليك ايها الرجل ببذل المجهود في قطع هذه العقبة العظيمة الطويلة فانها اعظم العقبات
شأناً واكثرها مؤنة واكبرها آفة وفتنته فان من هلك من الخلق
فلهم هلك وجملة الامر انك اذا نظرت بعقلك ايها الرجل فعلمت ان الدنيا لا بقاء
لها وان نفعها لا يفي بضررها وتبعاتها من كد البدن وشغل القلب
في الدنيا والعذاب الاليم والحساب الطويل في الآخرة زهدت في فضولها
فلا تاخذ منها الا ما لا بد لك منه في عبادة ربك وتدع التنعم منها والتلذذ
الى الجنة دار النعيم المقيم في جوار رب العالمين الملك القادر الغني
الكريم وعلمت ان الخلق لا وفاء لهم وان مؤنتهم اكثر من معونتهم فيما
يعنيك تركت محافظتهم الا فيما لا بد لك منه تنتفع بخيرهم وتجنب شرهم
وتجعل صحبتك لمن لا تخشى من صحبته ولا تندم على خدمته وانس
بكتابه [illegible] عنك اياه فيكون لك بكل حال وتتزود منه كل جميل وافضال وجل
عندك كل نائبة في الدنيا والآخرة كما قال صلى الله عليه وسلم احفظ الله تجده

حيث اجتهدت وجهدت وعلمت أن الشيطان خبيث قد تجرد لمعاداتك
فاستعذت بربك القادر القاهر من هذا الكلب اللعين ولا تشتغل عن مطالبك
وقصدك بل تنظر في ذكر الله سبحانه والاستعانة بذلك فإنه يزول ولا يظهر
منك عزيمة الرجال وأنه كما قال الله تعالى إنه ليس له سلطان على الذين آمنوا
وعلى ربهم يتوكلون ولقد صدق أبو حازم فيما قال في الدنيا وفي إبليس
أما الدنيا فما مضى فحلم وما بقي فأماني وأما الشيطان فوالله لقد أطيع
فما نفع ولقد عصي فما ضر وعليك جملة هذه النفس وجهادها إلى ما
يضرها ويهلكها نظرت لها بنظر العقلاء العلماء الذين ينظرون في العواقب
لا بنظر الجهال والصبيان الذين ينظرون إلى الحال ولا يتفطنون للعاقبة الأذى
ويتذوقون من مرارة الدواء فألجمتها بلجام التقوى بأن تمنعها عما لا تحتاج
إليه بالحقيقة من فضول طعام وكلام ونظر أو تلبس بخصلة فاسد
من طول أمل أو جدل أو حسد علم أو تكبر في غير موضع أو الكل محض شهوة
وشره وتعطيها ما ليس لها منه بد ولا تخاف منه ضررا إذ لا ضرورة
إلى الفضول وقد وسع الله تعالى الأمر على عباده برحمته وأغناهم عن جميع
ما يضرهم في دينهم فلا حاجة إلى ذلك في الأمر كما قال بعض الصالحين
إن التقوى أهون شيء لأني إذا رابني شيء تركته فإن النفس سائلة وتعودها
ما عودتها وأنها كما قال القائل والنفس راغبة إذا رغبتها وإذا ترد إلى قليل

تقنع

٦٩

تقنع وقال آخر من النفس ما عودتها تتعود ويروى ما حملتها تتحمل
وقال آخر وما النفس إلا حيث يجعلها الفتى فإن توقت تاقت وإلا
تسلت فإذا علمت الذي وصفناه كنت من الزاهدين الراغبين في الآخرة
واعلم أن من يسمى باسم الزاهد فلقد تسمى بألف اسم ممدوح وكنت
من المنفردين من المنقطعين إلى الله تعالى الذين هم أهل الأنس خدام رب
العالمين فيكون كما قال القائل تشاغل قوم بدنياهم وقوم تخلوا
لمولاهم فألزمهم باب مرضاته وعن سائر الخلق أغناهم وكنت من
المجاهدين في الله الخواص من عباد الله الذين قال فيهم سبحانه وتعالى
إن عبادي ليس لك عليهم سلطان وكنت من المتقين الذين لهم سعادة
الدارين وصرت حينئذ أفضل من كثير من الملائكة المقربين إذ ليست
لهم شهوة تدعو إلى قبيح والنفس خبيثة وكنت قد خلفت
هذه العقبة الطويلة الشاقة وسبقت بالله العوائق كلها إلى مقصودك
ولا يهولنك فإن مع الاستعانة بالله والاعتصام به أيسر سهل فنسأل الله
وهو خير مسؤول أن يمدك وإيانا بحسن توفيقه وعونه وتيسيره فإنه
الكافي لكل مهم والاستعانة به في كل مقصد سبيل الخلق والأمر وهو
على كل شيء قدير فهذا ما أردنا ذكره في هذا الباب ولا حول ولا قوة إلا بالله
العلي العظيم

العقبة الرابعة وهي عقبة العوارض

ثم عليك يا طالب العبادة وفقك الله بكفاية العوارض الشاغلة عن عبادة الله تعالى
وسد سبلها عليك لئلا تشغلوك عن مقصودك وقد ذكرنا أنها أربعة
أحدها الرزق ومطالبة النفس بذلك وإنما كفايته بالتوكل فعليك
بالتوكل على الله عز وجل في موضع الرزق والحاجة بكل حال وذلك لأمرين
أحدهما التفرغ للعبادة ويتمشى لك من الخير حقه فإن من لم يكن متوكلا
فلا بد من اشتغاله عن عبادة الله بسبب الحاجة والرزق والمصلحة
إما ظاهرا وإما باطنا إما بطلب أو كسب بالبدن كعامة الراغبين وإما
بذكر وإرادة موسوسة بالقلب كالمجتهدين المعلقين والعبادة تحتاج
إلى فراغ القلب والبدن ليحصل حقها والفراغ لا تكون إلا للمتوكلين
بل أقول كل من هو ضعيف القلب لا يكاد يطمئن قلبه إلا بشيء معلوم
ولا يكاد يتم له أمر خطير من دنيا وآخرة وكثيرا ما سمعت من شيخي أبا
محمد رحمه الله يقول إنما الأمور تتمشى في العالم لرجلين متوكل أو متهور قلت
وهذا الكلام جامع في معناه فإن المتهور يقصد الأمور على قوة وغفلة
وجراءة قلب لا يلتفت إلى صارف يصرفه أو خاطر يضعفه فيتحرك له الأمور
والمتوكل يقصد الأمور على قوة وبصيرة ويكاد يثق بوعد الله سبحانه وتعالى
ويتم ثقته بضمانه لا يلتفت إلى إنسان يخوفه أو شيطان يوسوسه فيفوز
بقصده ويظفر بطلبه وأما المعلق الضعيف أبدا يكون بين

رعدة وفتور وتحير كالحمامة في معلفه والدجاج في قفصه يرفق ما يعود في
صاحبه لا يكاد ينفك عن ذلك تقاعدت نفسه عن معالي الأمور وانقطعت
همته فلا يكاد يقصد أمرا أشد بتا وإن قصده فلا يكاد يظفر ولا يتم له ذلك أما ترى
أصحاب الهمم من أبناء الدنيا لم ينالوا مرتبة كبيرة ومنزلة خطيرة إلا بانقطاع
قلوبهم عن أنفسهم وأموالهم وأهليهم أما الملوك فيباشرون الحروب ويكافحون
الأعداء إما هلكا وإما ملكا حتى تحصل لهم مرتبة الملك وعقد الولاية وقيل
إن معاوية لما نظر إلى العسكرين يوم صفين قال من أراد خطيرا خاطر
بعظيمته وأما التجار فيركبون المهالك برا وبحرا ويطرحون أنفسهم وأموالهم
في المقاطع شرقا وغربا ويوطنون أنفسهم على أحد الأمرين إما فوت الأرواح
وإما حصول الأرباح حتى يحصل لهم بذلك كل ربح عظيم ومال جسيم وعلق
نفيس وأما السوقي الذي ضعف قلبه ورق عزمه لا يكاد يقلع قلبه
عن علاقته من نفسه وماله فهو من بيته إلى دكانه طول عمره ولا يصل إلى مرتبة
شريفة كالملوك ولا إلى ربح عظيم كالتجار المخاطرين وإن نال في سوقه ربحا على
بضاعته درهما فذلك له كثير وذلك لتعلق قلبه لشيء معلوم هذا في أبناء الدنيا وأبنائها
وأما أبناء الآخرة فمن شأنهم هذه الخصلة التي هي التوكل وقطع العلائق لما
أحكموها وحصلوا حقها تفرغوا لعبادة الله تعالى وتمكنوا من التفرد عن الخلق
والسياحة في الأرض واقتحام الفيافي واستيطان الجبال والشعاب فصاروا

أقويا الجبابرة ورجال الدين وأحرار الناس وملوك الأرض بالحقيقة يسيرون
حيث يشاؤون وينزلون حيث يشاؤون ويقصدون من الأمور العظام علما
وعبادة ما يشاؤون لا عائق لهم ولا حاجز دونهم فكل الأماكن لهم واحد
وكل الأزمان عندهم واحد وإليه الإشارة بقوله صلعم من سره أن يكون
أكرم الناس فليتق الله ومن سره أن يكون أقوى الناس فليتوكل
على الله ومن سره أن يكون أغنى الناس فليكن بما في يد الله أوثق منه
بما في يده وعن سليمن الخواص لو أن رجلا توكل على الله سبحانه بصدق
النية لاحتاج إليه الأمراء ومن دونهم وكيف يحتاج ومولاه الغني
الحميد وعن ابراهيم الخواص قال لقيت غلاما في التيه كأنه سبيكة فضة
فقلت له إلى أين يا غلام قال إلى مكة قلت بلا زاد ولا راحلة فقال يا ضعيف
اليقين الذي يقدر على حفظ السموات والأرض يقدر أن يوصلني إلى
مكة بلا زاد ولا راحلة فلما دخلت مكة وإذا هو في الطواف يقول يا عين
سحي أبدا ولا تحبي أحدا إلا الجليل الصمد يا نفس موتي كمدا فلما
رآني قال يا شيخ أنت بعد على ذلك الضعف وقال أبو مطيع لحاتم
الأصم بلغني أنك تقطع المفاوز بالتوكل من غير زاد فقال حاتم زادي أربعة
أشياء قال ما هي قال أرى الدنيا والآخرة مملكة لله تعالى وأرى الخلق كلهم
عبيد الله وعياله وأرى الأرزاق والأسباب كلها بيد الله تعالى وأرى قضاء
الله

نافذا في جميع أرض الله ولقد أحسن من قال إن الزهاد في روح وراحة
قلوبهم عن الدنيا مزاحة لما أبصروا فوقها ملوك الأرض شيمتهم
سماحة وأما الأمر الثاني الذي اقتضى التوكل على الله سبحانه في هذا البيان فإنه
ما وقع ذكره من الخطر العظيم والأمر الكبير علق الله تعالى عرف الرزق
بالخلق فقال خلقكم ثم رزقكم فدل على أن الرزق من الله تعالى لا غير
كالخلق ثم لم يكتف بالدلالة حتى وعد فقال إن الله هو الرزاق ثم لم يكتف
بالوعد حتى ضمن فقال وما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها ثم لم يكتف
بالضمان حتى أقسم فقال فورب السماء والأرض إنه لحق مثل ما أنكم
تنطقون ثم لم يكتف بذلك كله حتى أمرنا بالتوكل وأبلغ وأنذر فقال وتوكل
على الحي الذي لا يموت وقال سبحانه وعلى الله فتوكلوا إن كنتم مؤمنين فمن لم
يثق بقوله ولم يعتبر ولم يكتف بوعده ولم يطمئن إلى ضمانه ولم يقنع
بقسمه ثم لم يبال بأمره ووعده ووعيده فانظر ماذا يكون حاله والله
إنها محنة تجيء من هذا وهن والله مصيبة شديدة ونحن عنها في غفلة عظيمة
ولقد قال الصادق الأمين صلعم لابن عمر كيف أنت إذا لقيت بين قوم يخبئون رزق
سنتهم لضعف اليقين وعن الحسن أنه قال لعن الله أقواما أقسم لهم
ربهم فلم يصدقوه وقالت الملائكة عند نزول هذه الآية فورب السماء والأرض
إنه لحق هلكت بنو آدم إن أغضبوا الرب حتى أقسم لهم على أرزاقهم وعن

قال له هرم بن حيان اين تامرني ان اقيم فاومى بيده الى الشام قال كيف المعيشة بها

أويس القرني رضي الله عنه انه قال لو عبدت الله عبادة اهل السماء
والارض لم يتقبل منك حتى تصدقه قيل وكيف تصدقه قال تكون آمنا
بما تكفل الله من امر رزقك وترى جسدك فارغا لعبادته ولقد قال اف
لهذه القلوب لقد خالطها الشك فما ينفعها الموعظة وبلغنا ان شابا
تاب على يدي ابي يزيد البسطامي رحمه الله فسأله ابو يزيد الكين
عن حاله فقال نبشت على الف قبر فلم ار وجوههم الى القبلة الا رجلين
فقال ابو يزيد ما اكثر اولئك تهمة الرزق حولت وجوههم عن القبلة
وذكر لي بعض اصحابنا انه رأى رجلا من اهل الصلاح فسأله عن حاله فقيل
هل سلبت بايمانك فقال انما يسلم الايمان للمتوكلين نسأل الله تعالى ان يصلحنا
بفضله ولا يؤاخذنا بما نحن اهله انه ارحم الراحمين فهذه هذه فان قلت
فاخبرنا ما حقيقة التوكل وحكمه وما يلزم العبد منه في امر الرزق فاعلم
انما نبين لك هذا باربعة فصول بيان لفظة التوكل وموضعه وحده
وحقيقته اما اللفظة فاما معنى توكلت فتفعل من الوكالة فالتوكل على
الله هو ان تتخذه بمنزلة الوكيل القائم بامرك والضامن لاصلاحك الكافي
له من غير تكلف واهتمام فهذه جملته واما الموضع فاعلم ان التوكل اسم
يطلق في ثلاثة مواضع احدها في موضع القسمة وهو الثقة بالله
بانه لا يفوتك ما قسم لك فان حكمه لا يتبدل وهذا واجب بالسمع والثاني موضع

في موضع النصر وهو الاعتماد والوثاقة بنصر الله تعالى لك اذا نصرته
وجاهدت في سبيله قال الله تعالى فاذا عزمت فتوكل على الله وقال ان
تنصروا الله ينصركم وقال تعالى وكان حقا علينا نصر المؤمنين وهذا واجب
بالوعد والثالث في موضع الرزق والحاجة بان الله تعالى متكفل بما يقيم
بنيتك لخدمته وتتمكن به من عبادته قوله تعالى ومن يتوكل على الله
فهو حسبه وقال الصادق الامين صلعم لو توكلتم على الله حق توكله لرزقتم
كما ترزق الطير تغدو خماصا وتروح بطانا وهذا فرض لازم للعبد
بدليل العقل والشرع جميعا وهذا هو الاشهر الاغلب منه اعني التوكل في
موضع الرزق وهو المقصود من هذا الفصل فموضع التوكل الاهم
الرزق وهو الرزق المضمون فيما قال العلماء بالله فهو انما يتضح لك هذا
ببيان اقسام الرزق فاعلم ان الرزق اربعة اقسام مضمون ومقسوم
ومملوك وموعود فالمضمون هو الغذاء وما به قوام البنية دون
سائر الاسباب فالضمان من الله تعالى لهذا النوع والتوكل يجب بازائه بدليل
العقل والشرع لان الله تعالى كلفنا خدمته وطاعته بابداننا فضمن ما يسد
خلل البنية لنقوم بما كلفنا وقال بعض مشايخ الكرامية كلاما حسنا على
اصله ان ضمان ارزاق العباد واجب في حكمة الله تعالى لثلاثة اشياء احدها انه
سيد ونحن العبيد وعلى السيد كفاية مؤنة العبيد كما ان على العبيد خدمة
السيد

وأما انه خلقهم محتاجين الى الرزق ولم يجعل لهم سبيلا الى طلبه لانهم لا يدرون
ما هو رزقهم واين هو ومتى هو ليطلبوه بعينه في مكانه وفي وقته ليصلوا
اليه من مكانه فوجب ان يكفيهم امر ذلك ويوصله اليهم والثالث انه كلفهم
الخدمة وطلب الرزق شاغل عنها فوجب ان يكفيهم المؤنة ليتفرغوا الى الخدمة
وهذا كلام من لم يحط باسرار الربوبية والقائل بان على الله واجبا تابه وقد
اوضحناه في الكلام فدعه ولنرجع الى المقصود من غرضنا واما الرزق
المقسوم فهو ما قسم الله وكتبه في اللوح المحفوظ ما يأكله ويشربه ويلبسه
كل واحد بمقدار مقدر ووقت موقت لا يزيد ولا ينقص ولا يتقدم
ولا يتأخر عما كتب بعينه قال النبي صلعم الرزق مقسوم مفروغ ليس تقوى
تقي بزائده ولا فجور فاجر بناقصه واما المملوك فما يملكه كل واحد من اموال
الدنيا على حسب ما قدر الله تع وقسم له ان يملكه وهو من رزق الله قال الله تع
انفقوا مما رزقكم الله اى مما ملكناكم واما الموعود فهو ما وعد الله تع للمتقين
من عباده بشرط التقوى حلالا من غير كد قال تعالى ومن يتق الله يجعل
له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب فهذه اقسام الرزق والتوكل انما يجب
بازاء المضمون منها فاعلم ذلك واما حد التوكيل فقد قال بعض شيوخنا انه
اتكال القلب على الله بالانقطاع اليه والاياس عما دونه وقال بعضهم حفظ القلب الى الله
بوضع المصلحة بترك تعلقه على شيء دونه وقال الشيخ ابو محمد التوكل ترك التعلق

والتعلق ذكر قوام بنيتك على شيء دون الله قال شيخنا الامام رحمه الله التوكل
والتعلق ذكران فالتوكل هو ذكر قوام بنيتك من قبل الله تعالى والتعلق ذكر
قوامها من دون الله والامام ويل عنده ان ترجع الى اصل واحد وهو ان توطن قلبك
على ان قوام بنيتك وسد خلتك وكفايتك انما هو من الله تعالى لا باحد دون الله
ولا بحطام من الدنيا ولا بسبب من الاسباب ثم الله سبحانه ان شاء يسبب لك
مخلوقا او حطاما وان شاء كفاك بقدرته دون الاسباب والوسائط فاذا ذكرت
ذلك بقلبك وتوطنت عليه فانقطع القلب عن المخلوقين والاسباب بمرة الى الله تع
سبحانه وجل فقد حصل التوكل حقه فهذا حد واما حض التوكل الباعث
عليه وهو ذكر ضمان الله تعالى وحسن حصنه ذكر جلال الله وكماله في علمه وقدرته
وتنزهه عن الخلف والسهو والعجز والنقص فاذا واظب العبد على هذه الاذكار
بعثته على التوكل على الله سبحانه في امر الرزق فان قيل هل يلزم العبد
الطلب بحال فاعلم ان الرزق المضمون الذي هو الغذاء والقوام فلا
يمكننا طلبه اذ هو شيء من فعل الله تع بالعبد كالحياة والموت لا يقدر العبد على تحصيله
ولا دفعه واما المقسوم من الاسباب فلا يلزم العبد طلبه اذ لا حاجة
للعبد الى ذلك انما حاجته الى المضمون وهو من الله وفي ضمانه واما قوله
تعالى وابتغوا من فضل الله فالمراد به العلم والثواب وقيل بل هو رخصة
له هو امر وارد بعد الحظر فيكون بمعنى الاباحة لا بمعنى الايجاب والالزام فان قيل

لكن اذا الرزق المضمون اسباب هل يلزمنا طلب الاسباب قيل له لا يلزمنا ذلك
لانه لا حاجة للعبد اليه لان الله سبحانه يفعل بسبب وبغير سبب اين يلزمنا طلب
السبب ثم ان الله تعالى ضمن لكل ضمانا مطلقا من غير شرط الطلب والكسب
قال الله تعالى وما من دابة في الارض الا على الله رزقها ثم كيف يصح ان يامر
العبد بطلب ما لا يعرف مكانه فيطلبه لانه لا يعرف اي سبب منها رزقه
الذي يتناوله لا غير والذي يصير سببه غذائه وتربيته لا غير فالواجب الا
يعرف ذلك السبب بعينه من اين يحصل له فلا يصح تكليفه فتامل راشدا
فانه بين ثم حسبك ان الانبياء صلوات الله عليهم والاولياء المتوكلين لم يطلبوا رزقا
في الاكثر والاعم وتجردوا للعبادة وباجماع انهم لم يكونوا تاركين لامر الله ولا عاصين له في ذلك فتبين لك ان طلب الرزق واسبابه ليس بامر لازم للعبد فان
قلت فهل يزيد بالطلب وهل ينقص بترك الطلب قلت لا فانه مكتوب
في اللوح المحفوظ مقدر موقت ولا تبديل لحكم الله ولا تغيير لقسمته وكتابته
هذا هو الصحيح عند علمائنا رضي الله عنهم خلاف ما ذهب اليه بعض اصحاب
حاتم وشقيق قالوا ان الرزق لا يزيد ولا ينقص بفعل العبد لكن المال يزيد
وينقص وهذا فاسد فان الدليل في الموضعين واحد وهو الكتابة والقسمة
واليه الاشارة بقوله تعالى لكيلا تاسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم ولو كان
الطلب يزيد والترك ينقص لكان الناس محل الاسى والفرح موضع اذ هو مقصر

وتوانى حتى فاته وجد وتشمر حتى حصله فان صلعم للسائل خذها كانك لو لم
تاتها لاتتك فان قيل فالثواب والعقاب ايضا مكتوب في اللوح
المحفوظ عندكم ثم يلزمنا طلبه ويزيد بالطلب وينقص بتركه فاعلم
ان طلب الثواب انما وجب لان الله تعالى امر به امرا حتما واوعد على
تركه ولم يضمن بالثواب على غير فعل منا وزيادة الثواب والعقاب بفعل العبد
والفرق بينهما في نكتة وهي ما قاله بعض علمائنا ان المكتوب في اللوح المحفوظ
قسمان قسم هو مكتوب مطلقا من غير شرط وتعلق بفعل العبد
وهو الارزاق والآجال ولهذا كيف ذكرها الله تعالى مطلقا غير مشروط
قال الله تعالى وما من دابة في الارض الا على الله رزقها وقال تعالى فاذا جاء
اجلهم لا يستاخرون ساعة ولا يستقدمون وقال صاحب الشرع
صلعم اربعة قد فرغ منهن الخلق والخلق والرزق والاجل وقسم مكتوب
بشرط معلق مشروط بفعل العبد وهو الثواب والعقاب الا ترى
كيف ذكرهما الله تعالى في كتابه معلقا بفعل العبد قال الله تعالى ولو انهم
امنوا واتقوا لكفرنا عنهم سيئاتهم ولادخلناهم جنات النعيم وهذا
بين فاعلمه فان قيل فنحن نجد الطالبين يجدون الارزاق والاموال
والتاركين يعدمون ويفتقرون قيل له كما تجد مع ذلك طالبا
محروما مفتقرا وقاعدا مرزوقا غنيا بل انه هو الاكثر ليعلم انه تقدير

العزيز العليم وتدبير الملك الحكيم وانشدني ابو بكر محمد بن سابق الواعظ
الصقلي رحمه الله بالشام وكم قوي قوي في تقلبه مهذب الراي الرزق منحرف
وكم ضعيف ضعيف في تقلبه كانه من خليج البحر يغترف هذا دليل على ان الاله
له في الخلق سر خفي ليس ينكشف فان قلت هل ندخل البادية بلا زاد فاعلم
ان كان لك قوة القلب بالله والثقة البالغة بوعد الله فادخل والا فكن
كالعوام بعلايقهم ولقد سمعت الامام ابا المعالي رحمه الله يقول ان من جرى
مع الله تع على عادة الناس جرى الله تع معه على ما جرى عادة الناس في كفاية
المؤنة وهذا الكلام حسن جدا وفيه فوايد جمة لمن تامله فان قلت
اليس الله تع يقول وتزودوا فان خير الزاد التقوى فاعلم ان فيه قولين
احدهما انه زاد الاخرة فلذلك قال تع خير الزاد التقوى ولم يقل حطام الدنيا
واسبابها والثاني انه كان قوم لا ياخذون زادا في طريق الحج لانفسهم اتكالا على الناس
ويسالون ويلحون ويؤذون الناس فامروا بالزاد امر تنبيه على ان
اخذ الزاد من مالك خير من اخذ مال الناس والاتكال عليهم وكذلك نقول
فان قلت فالمتوكل هل يحمل الزاد معه في الاسفار فاعلم انه ربما يحمل ولا يعلق
القلب به بانه لا محالة رزقه وفيه قوامه انما يعلق القلب بالله تع ويتوكل عليه
ويقول ان الرزق مقسوم مفروغ عنه والله تع ان شا اقام بنيتي بهذا او بغيره
وربما يحمل بنية اخرى بان يعين مسلما او نحو ذلك وليس الشان في اخذ الزاد وتركه

واما الشان

واما الشان في القلب ان لا تعلق قلبك الا بوعد الله تع وحسن كفايته وضمانه
فكم من حامل للزاد وقلبه مع الله تع دون الزاد وكم من تارك للزاد وقلبه مع الزاد
دون الله تع فالشان للقلب فافهم هذه الاصول تكف المؤنة ان شاء
الله عز وجل فان قيل فالنبي صلعم كان يحمل الزاد وكذلك الصحابة
والسلف الصالح فيقال له فلا جرم ان ذلك مباح غير حرام انما الحرام تعلق القلب
بالزاد وترك التوكل على الله سبحانه فافهم ذلك ثم ما ظنك برسول الله صلعم حيث قال الله
تع له وتوكل على الحي الذي لا يموت اعصاه في ذلك وعلق قلبه بطعام او شراب
او درهم او دينار كلا وحاشا ان يكون ذلك بل كان قلبه مع الله تع وتوكل على الله تع
فانه الذي لم يلتفت الى الدنيا باسرها ولم يمد يده الى مفاتيح خزاين الارض كلها
وانما كان اخذ الزاد منه ومن السلف الصالح لنيات الخير لا لميل قلوبهم عن الله
تعالى الى الزاد والمعتبر القصد على اعمالك فانتبه عن رقدتك فان قلت
فايهما افضل اخذ الزاد او تركه فاعلم ان هذا يختلف باختلاف الاحوال ان كان
مقتدى به يريد ان يبين ان اخذ الزاد مباح او ينوي به عونا لمسلم او اغاثة لملهوف محتاج
ونحو ذلك فالاخذ افضل وان كان منفردا قويا القلب بالله سبحانه يشغله
الزاد عن عبادة الله تع فالترك افضل فتفهم هذه الجملة واحتفظ بها ترشد
وبالله التوفيق

العارض الثاني الاخطار وارادتها وقصودها

واما كفايتها في التفويض فعليك بتفويض الامر كله الى الله سبحانه وذلك لامرين احدهما

لطمانينة القلب في الحال فان الامور لما كانت خطيرة مبهمة لا يدرى صلاحها من
فسادها فتكون مضطرب القلب هائم النفس لا تدرى انقع في صلاح او فساد
فاذا فوضت الامر الى الله تعالى علمت انك لا تقع الا في صلاح وخير فتكون آمنا
من الخطر مطمئن القلب في الحال وهذه الطمانينة والامن والراحة في القلب غنيمة
عظيمة وكان شيخنا رحمه الله يقول في مجالسه كثيرا دع التدبير الى من خلقك
تسترح والثاني من الامرين حصول الصلاح والخيرة في الاستقبال وذلك لان الا
مور بالعواقب مبهمة فكم من شدة في صورة خير وكم من ضر في حلية نفع وكم من
سم في هيئة شهد وانت الجاهل بالعواقب والاسرار فاذا اقترحت الامور قطعا
واخترت فيها باختيارك فتحكما فما اسرع ما تقع في هلاكك وانت لا تشعر ولقد
حكي ان بعض العباد كان يسال الله عز وجل ان يريه ابليس فقيل له سل الله العافية
فابى الا ذلك فاظهره الله تعالى له فلما رآه العابد قصده بالضرب فقال له ابليس لولا انك
تعيش مائة سنة لاهلكتك وعاقبتك فاغتر بقوله فقال في نفسه ان عمري بعيد
فافعل ما اريد ثم اتوب فوقع في الفسق وترك العبادة وهلك وفي هذه ما
ينبهك على ترك الحكم في ارادتك واللجاج في مطلوبك ويحذرك طول الامل ايضا فانه
الآفة العظيمة ولقد صدق القائل واياك المطامع والاماني فكم امنية جلبت منية
واما اذا فوضت الامر الى الله سبحانه وسالته ان يختار لك ما هو صلاح لك لم تلق
الا الخير والسداد ولا تقع الا على الصلاح قال الله تعالى حكاية عن العبد الصالح

وافوض

وافوض امري الى الله ان الله بصير بالعباد فوقاه الله سيئات ما مكروا
وحاق بآل فرعون سوء العذاب اما ترى كيف اعقب تفويضه
بالوقاية من الاسواء والنصر على الاعداء وبلوغ المراد فتأمل
موفقا فان قلت بين لنا معنى التفويض وحكمه فاعلم ان ههنا فصلين
بهما يتضح الكلام احدهما موضع التفويض والثاني معناه وحده وحكمه
اما موضعه فاعلم ان المرادات ثلثة مراد تعلم يقينا انه فساد
وشر لا شك فيه البتة كالنار والعذاب وفي الافعال كالكفر والبدعة
والمعصية فلا سبيل الى ارادة ذلك والثاني مراد تعلم قطعا انه صلاح
كالجنة والايمان والسنة ونحو ذلك فكل ارادته بالحكم لا موضع للتفويض
فيه اذ لا خطر فيه ولا شك انه خير وصلاح الثالث مراد لا تعلم يقينا
انك فيه صلاحا او فسادا فذلك نحو النوافل والمباحات فهذا موضع
التفويض فليس لك ان تريدها قطعا بل بالاستثناء وشرط الخيرة والصلاح
فان قيدت ارادتك بالاستثناء فهو تفويض وان اردت دون الاستثناء
فهو طمع مذموم منهي عنه وهو موضع التفويض اذا لكل مراد فيه الخطر
وهو ان لا يستيقن صلاحا لك فيه واما معنى التفويض قال بعض شيوخنا
هو ترك اختيار هو تركك اختيارا فيه مما تخوف الى المختار المدبر العالم
بمصلحة الخلق وعبارة الشيخ ابي محمد [illegible] هو ترك اختيارك.

المخاطرة على المختار ليختار ذلك ما هو خير لك وقال الشيخ ابو عمرو رحمه الله متى تركت
الطمع والطمع هو ارادة الشيء الخاطر بالحكم فهذا عبارة المشايخ والذي
نقول ان التفويض ارادة ان يحفظ الله عليك مصالحك فيما لا تأمن فيه
الخطر وضد التفويض الطمع والطمع يجيء في الجملة على وجهين احدهما
في معنى الرجاء نحو يريد شيئا لا خطر فيه او مخاطرة بالاستثناء وذلك محمود
غير مذموم كما قال والذي اطمع ان يغفر لي خطيئتي يوم الدين وقال
انا نطمع ان يغفر لنا ربنا خطايانا وهذا القسم ليس مما نحن فيه
بسبيل ههنا والثاني الطمع مذموم قال النبي عليه السلام اياكم والطمع فانه
فقر حاضر وقيل هلاك الدين وفساد الطمع وملاكه الورع قال
شيخنا رحمه الله الطمع المذموم شيئان سكون القلب الى منفعة
مشكوكة والثاني ارادة الشيء الخاطر بالحكم وهذه الارادة تقابل
التفويض لا غير فاعلم ذلك واما حصن التفويض فهو ذكر خطر
الامور واحكام الصلاح والفساد فيها وحصن حصنه ذكر [illegible]
على الاعتصام عن ضروب الخطر والامتناع عن الوقوع فيها بجهلك و
غفلتك وضعفك فالمواظبة على هذين الذكرين تحملك على تفويض
الامور الى الله والتحفظ عن الحكم فيها والامتناع عن ارادتها الا بشرط
الخير والصلاح فهذا [illegible] وبالله التوفيق فان قيل ما حد الخطر

الذي توجبون التفويض لاجله في الامور فاعلم ان الخطر في الجملة
خطران خطر الشك بانه يكون او لا يكون وانك تصل اليه او لا تصل اليه
وهذا يحتاج الى الاستثناء ويقع في باب النية والامل والثاني خطر
الفساد بان لا تستيقن فيه الصلاح لنفسك وهذا الذي يحتاج
فيه الى التفويض ثم اختلف عبارات الائمة في الخطر فعن بعضهم
ان الخطر في الفعل سواء يكون دونه نجاة ويمكن ان يجامعه ذنب
فالايمان والسنة والاستقامة لا خطر فيها اذ لا يمكن دون الايمان
نجاة والاستقامة لا يجامعها ذنب فاذا يصح ارادة الايمان والاستقامة
بالحكم وقال الاستاذ رحمه الله الخطر في الفعل ما يمكن ان يعترض فيه
ما يكون الاشتغال بالعارض اولى من الاقدام على ذلك الفعل وذلك
يجيء في المباحات والسنن والفرائض الا ترى ان من تضيق عليه وقت
الصلوة وعقد بادائها فحصل حريق او غريق يمكنه انقاذه
فالاشتغال بانقاذه اولى من الاقبال على صلوته فلا يصح له
ارادة المباحات والنوافل الكثيرة من الفرائض بالحكم فان قيل
كيف يصح ان يفترض الله تعالى على عباده شيئا ويوعدهم على تركهم
لا يكون له صلاح في فعله فاعلم ان شيخنا رحمه الله قال ان الله تعالى
لا يأمر العبيد بشيء الا وفيه صلاح اذا تجرد عن العوارض والتضييق

عليه فعلا فرضًا حيث لا مقدر له عن ذلك الا وله فيه صلاح وانه
ربما يتسبب الله تعالى له عند الاجل بكون العدول عن احد
المؤخرين اولى عن الاشتغال بالآخر كما ذكرنا فيكون العبد في ذلك
معذورًا بل ماجورا لا يترك هذا الفرض بل بفعل الفرض الذي
هو اولى ولقد سمعت الامام رحمه الله في هذه المسئلة يقول ان ما افترض
الله على عباده من الصلوة والصوم والحج ونحو فيها صلاح الحالة
للعبد وصحت اراداتها بالحكم فاتفق رأينا على ذلك في المباحات
والنوافل اذ في هذا الحكم فاعلم ذلك فانه من غوامض هذا الباب
وبالله التوفيق فان قيل هل يأمن المفوض الهلاك والفساد
والارداد محنة فاعلم انه في الاغلب لا يفعل بالمفوض الا الصلاح
وقد يفعل به في النادر غير الصلاح ولذلك ربما يخذل فيخرج عن منزلة
التفويض ولا صلاح للعبد في الخذلان والوقوع عن منزلة التفويض
وبه قال الشيخ ابو عمرو رحمه الله وقيل لا يفعل بالمفوض الا ما فيه
صلاحه فيما فوض الى الله سبحانه والخذلان والقصود عن منزلة
التفويض مما لا يقع في التفويض اذ لا شك في فساد ذلك والتفويض
انما يقع فيما يشك في فساده وصلاحه وهذا اولى القولين عند شيخنا
رضي الله عنه لانه ربما يوجب الباعث على التفويض خاف فيبطل

لانه مفوض في الموضع الذي لا يمنع التفويض فيه

فهل يجب ان يفعل بالمفوض ما هو الافضل فاعلم ان الايجاب مستحيل
في حق الله سبحانه ولا يجب لعباده عليه شئ وقد يفعل بالعبد الاصلح دون
الافضل لحكمة من فعله الا يرى انه قدر للنبي صلعم واصحابه ان يناموا
طول الليل عن الصلوة الى طلوع الشمس في بعض الاسفار حتى فاتتهم
صلوة الليل وصلوة الفجر والصلوة افضل من النوم وربما يقدر
للعبد الغنى والنعمة في الدنيا وان كان الفقر افضل ويقدر له الاشتغال
بالازواج والاولاد وان كان الفراغ لعبادة الله تع افضل فانه بعباده
خبير بصير وهذا كما ان الطبيب الحاذق الناصح يختار للمريض ماء
الشعير وان كان ماء السكر افضل وانفع لما يعلم ان الله تع صلاحه
عليه في ماء الشعير والمقصود للعبد النجاة من الهلاك لا الفضل
والشرف مع الفساد والهلاك فان قيل هل يكون المفوض مختارا
فاعلم ان الصحيح عند علمائنا انه يكون مختارا ولا يقدح في تفويضه
لكن ان المعنى فيه لما كان له صلاح في المفضول والافضل فهو يريد
من الله تع ان يتسبب له الافضل كما ان المريض يقول للطبيب اجعل
دوائي ماء السكر ونحوها الشعير فلا كان لي صلاح في كليهما لتحصل
لي الفضل والصلاح جميعا فكذلك العبد اذا سأل الله تع ان يجعل
صلاحه فيما سأله الافضل ويتسبب له ذلك ليجمع له الفضل والصلاح

اما افضلية الصلوة فظاهر واما صلاح النوم لانهم اذا ناموا يكونون قادرا على الحرب

اي لا يقدح في تفويضه

جميعا ولكن بشرط انه ان اختار الله تعالى له الصلاح في غير الافضل ان
يكون راضيا بذلك فان قيل فلماذا كان للعبد ان يختار الله تعالى
الافضل فاعلم ان الفرق بينهما ان العبد يعرف الافضل من المفضول
ولا يعرف الصلاح من الفساد لي بالحكم ثم معنى اختيار الافضل
ان يريد من الله تعالى ان يجعل صلاحه فيما هو الافضل ويختار له ذلك ويقدره
لان للعبد حكما في شيء من ذلك ولا علم فهذه جملة من دقيق هذا العلم
والاسرار ولولا ان الحاجة مست اليه لما تعرضنا لايراده لانه
يتلاطم بحار علوم المكاشفة مع اني اقتصرت على النكتة المقنعة
في هذا الكتاب وقصدت الايضاح لينتفع به فحول العلماء والمبتدئون
ان شاء الله وهو ولي التوفيق بمنه وفضله العارض الثالث
القضاء وورود انواعه وانما كان في الرضاء به فعليك ان ترضى
بقضاء الله تعالى عز وجل في كل الامور احلاهما لتتفرغ للعبادة
الا انه اذا لم ترض بالقضاء فتكون مهموما مشغول القلب ابدا بانه
لم كان كذا ولماذا لا يكون كذا واذا اشتغل القلب بشيء من هذه
الهموم كيف تتفرغ للعبادة اذ ليس لك الا قلب واحد وقد ملأته من
الهموم [illegible] من احوال الدنيا فاي موضع فيه لذكر العبادة
و فكر الاخرة [illegible] حيث ان حضور الامور الماضية

وتدبير الآية

وتدبير الآية فقد ذهبت بركة ساعتك هذه والثاني من الامرين خطر
ما في السخط من غضب الله تعالى سبحانه ولقد روي في بعض الاخبار ان نبيا
من الانبياء شكا بعض ما ناله من المكروه الى الله تعالى فاوحى الله تعالى
اليه تشكوني ولست باهل ذم ولا شكوى هكذا بدو شانك في علم الغيب
فلم تسخط قضائي عليك اتريد ان اغير الدنيا لاجلك او ابدل اللوح المحفوظ
بسببك فاقضي ما تريد لا ما اريد ويكون ما تحب دون ما احب
فبعزتي ما حلفت لئن تلجلج هذا في صدرك مرة اخرى لاسلبنك
ثوب النبوة ولاوردنك النار ولا ابالي فليستمع العاقل هذه
السياسة العظيمة والوعيد الهائل مع انبيائه واصفيائه فكيف مع
غيرهم ثم استمع ما يقول لئن تلجلج هذا في صدرك مرة اخرى فهذا في
حديث النفس وتردد القلب فكيف بمن يصيح ويستغيث ويشكو
وينادي بالويل والصراخ ضاربة على رؤوس الملا ويتخذ لهم اعوانا
واصحابا ومن اخطر فكيف هذه هو السخط على الله تعالى جميع عمره
وهذا لمن شكا اليه فكيف بمن شكي الى غيره نعوذ بالله من شرور
انفسنا ومن سيئات اعمالنا ونسأله ان يعفو عنا ويغفر لنا سوء
آدابنا ويصلحنا بحسن نظره فانه ارحم الراحمين فان قلت فما
معنى الرضاء بالقضاء وحقيقته وحكمه فاعلم ان علماءنا قالوا ان الرضا
ترك السخط

والسخط ذكرها قضى الله تع بانه اولى به واصلح له فيما لا يستيقن صلاحه
وفساده فهذا شرط فيه فاعلم ذلك فان قلت اليس الشرور
والمعاصي بقضاء الله تع وقدره فكيف يرضى العبد الشر ويلزمه ذلك
فاعلم ان الرضى انما يلزم بالقضاء وقضاء الشر ليس بشر وانما الشر
هو المقضي فلا يكون رضا بالشر وقد قال شيخنا شيوخنا رحمهم الله تع
المقضيات اربعة نعمة وشدة وخير وشر فالنعمة يجب الرضا فيها بالقضاء
والقاضي والمقضي والقضاء ويجب عليه الشكر من حيث انه
نعمة واظهار المنة بابداء النعمة والشدة يجب الرضاء فيها بالقاضي والمقضي
والقضاء ويجب عليه الصبر من حيث انها شدة والخير يجب الرضا
فيه بالقاضي والقضاء والمقضي ويجب عليه ذكر المنة من حيث انه خير
واما فعله والشر يجب عليه فيه الرضاء بالقاضي والقضاء والمقضي
من حيث انه مقضي لا من حيث انه شر وكونه مقضيا يرجع الى القضاء
والقاضي بالحقيقة وهذا كما انك ترضى مذهب المخالف ان يكون
معلوما لك من كونه معلوما يرجع الى العلم والرضا والحجة انما يكون
بالحقيقة للعلم بمذهب المخالف لا لمذهبه فكذلك الرضى بالمقضي
فان قيل فالراضي هل يكون مستزيدا فقيل له نعم بشرط الخير
والصلاح دون الحكم فلا يخرجه عن الرضى بل يدل على الرضى فهو

الشرط

اولى لانتعين الجبه شي ورضى ذلك استزاده وكان عليه السلام
اذا حضر اللبن يقول اللهم بارك لنا فيه وزدنا منه وفي غيره
يقول وزدنا خيرا منه وفي موضع من الموضعين لم يدل على انه
غير راض بما قدر الله تع من ذلك فان قلت فلم يذكر عن
النبي صلى الله عليه وسلم الاستثناء وشرط الخير والصلاح فاعلم
ان هذه الامور انما يكون بالقلب وانما يقال باللسان عبارة عن
ذلك فلا معتبر بترك عبارته مع حصوله بالقلب فاعلم ذلك هو فقهان
شا الله تع العارض الرابع الشدايد والمصايب وانما في
كفايتها بالصبر فعليك بالصبر في المواطن وانما ذلك لامرين
احدهما الوصول الى العبادة وحصول المقصود منها فان مبنى امر
العبادة كلها على الصبر واحتمال المشقات فمن لم يكن صبورا
لم يصل الى شيء منها بالحقيقة وذلك ان من قصد الى عبادة الله تع
وخدمتها استقبلته شدايد ومحن ومصايب من وجوه احدها
انه لا عبادة الا وفيها مشقة ولذلك كله جل الترغيب فيه وعظم
الثواب عليه لانه لا يتاتى فعل العبادة الا بقمع الهوى وقهر النفس
اذ هي زاجرة عن الخير ومخالفة الهوى وقهر النفس من اشد
الامور على الانسان وثانيها ان العبد اذا فعل الخير مع المشقة لزم

الناس

حتى لا يفسد عليه والاتقاء بحلي العمل اشد من العمل وثالثها ان الدار
دار محنة فمن كان فيها لا بد له من الابتلاء بشدائدها ومصائبها وذلك
اقسام فمنها المصيبة في الاهل والقرابات والاخوان والاصحاب بالموت
والفقد والفراق وفي النفس بانواع الامراض والاوجاع وفي
العرض بقتال الناس اياه والطعن فيه والايذاء له والغيبة له والكذب
عليه وفي المال بالذهاب والزوال ولكل واحد من هذه المصائب لا تزال
وحرقة من نوع آخر فيحتاج الى الصبر عليها كلها والا فمنعه الجزع والقلق
عن التفرغ للعبادة ورابعها ان طالب الآخرة اشد ابتلاء والقرب
محنة ابدا ومن كان الى الله تعالى اقرب فالمصائب له في الدنيا اكثر والبلاء
عليه اشد اما تسمع قوله صلعم اشد الناس بلاء الانبياء ثم الشهداء
ثم الامثل فالامثل فاذا من قصد الخير وتجرد لطريق الآخرة
استقبلته هذه المحن فان لم يصبر عليها ولا يكون بحيث لا يلتفت
اليها انقطع عن الطريق فاشتغل عن العبادة فلا يصل الى شيء
من ذلك ولقد اعلمنا الله تعالى سبحانه بالبلاء والمحن والمصائب وابتلائنا
بها وحقق ذلك واكده فقال تعالى لتبلون في اموالكم وانفسكم ولتسمعن
من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين اشركوا اذى كثيرا ثم قال
وان تصبروا وتتقوا فان ذلك من عزم الامور فكأنه يقول وطنوا انفسكم

على انه لا بد لكم من انواع البلايا فان تصبروا فانتم الرجال وفي ايديكم
عزايم الرجال فاذا من عزم على عبادة الله سبحانه يجب اولا ان يعزم
على الصبر الطويل ويوطن نفسه على احتمال المشاق العظيمة المتوالية
الى الموت والا فقد قصد الامر بغير آلته واتاه من غير وجهه
ولقد ذكر عن الفضيل رحمه الله تعالى انه قال من عزم على قطع طريق الآخرة فليجعل
في نفسه اربعة الوان من الموت الابيض والاحمر والاسود والاخضر فالموت
الابيض الجوع والاسود ذم الناس والاحمر مخالفة الشيطان والاخضر
الوقايع بعضها على بعض ورابعها من الامور ان فايدة الصبر من خير الدنيا
والآخرة ففي ذلك النجاة والنجاح قوله ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه
من حيث لا يحتسب ومعناه من يتق الله تعالى بالصبر يجعل له مخرجا في الشدائد
ومنها الظفر على الاعداء قال الله تعالى فاصبر ان وعد الله والعاقبة للمتقين
ومنها الظفر بالمراد قال الله تعالى وتمت كلمة ربك الحسنى على بني اسرائيل بما صبروا
وقيل كتب يوسف في جواب يعقوب عليهما السلام ان آباءك صبروا فظفروا
فاصبر كما صبروا تظفر كما ظفروا وفي هذا المعنى قيل انشد شعر
وان كانت مطالبة اذا استعنت بصبر ان ترى فرجا فاخلق بذي
الصبر ان يحظى بحاجته ومدمن القرع للابواب ان يلجا ومنها
التقدم على الناس والامامة قوله تعالى وجعلنا منهم ائمة يهدون بامرنا لما صبروا

ومنها الثناء من الله سبحانه قوله تع انا وجدناه صابرا نعم العبد انه اواب

ومنها البشارة والصلوة والرحمة قال تع وبشر الصابرين الى قوله
اولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة الاية ومنها المحبة من الله سبحانه
قال الله تع اولئك يجزون الغرفة بما صبروا ومنها الكرامة العظيمة قوله تع
سلام عليكم بما صبرتم ومنها ثواب بلا غاية ولا نهاية خارجا عن اوهام الخلق
واعدادهم قوله تع انما يوفى الصابرون اجرهم بغير حساب فسبحانه من سيد
ماجد ما اكرمه كل هذه الكرامات في الدنيا والاخرة يعطي عبده على
صبر ساعة فبان لك ان خير الدنيا والاخرة في الصبر قال صلعم ما اعطي احد
من عطاء خير او سع من الصبر وعن عمر رضي الله عنه خير المؤمنين
في صبر ساعة واحدة ولقد احسن القائل الصبر مفتاح ما يرجى وكل خير
به يكون اصبر وان طالت الليالي فربما امكن الحرون وربما نيل
باصطبار ما قيل هيهات لا يكون وللقائل الاخر صبرت وكان الصبر
مني سجية وحسبك ان الله تع اثنى على الصبر ما صابر حتى حكم الله بيننا
فاما الصبر وانا الى نسر فعليك باغتنام هذه الخصلة الشريفة
وبذل المجهود فيها تكن من الفائزين والله ولي التوفيق فان قلت
فما حقيقة الصبر وحكمه فاعلم ان لفظة الصبر من طريق اللغة الحبس قال الله
واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة اي احبس نفسك وانما وصف الله تع
بالصبر على معنى انه ... عن العرض فلا ... ثم المعنى الذي هو من ... على

٨٢

العقلب سمي صبرا لانه حبس النفس عن الجزع والجزع فيما قال العلماء
بالله ذكر اضطراب في النفس وقيل بل ارادة الخروج عن النفس بالحكم
والصبر تركه وحقيقة الصبر ذكر مقدار النفس ووقتها وانها لا تزيد
ولا تنقص ولا تتقدم ولا تتاخر ولا فايدة بالجزع بل فيه الضرر والخطر
وحصن هذا الحصن ذكر حسن عوض الله تع وكريم الذخر في ذلك لديه
فهذه هذه وبالله التوفيق فصـــــل فعليك بقطع هذه العقبة
الشديدة المنجحة بدفع هذه العوايض الاربعة وازاحة عللها والا
فلا بد لك تذكر مقصودك من العبادة وتفكر فيها فضلا عن
ان تدركها وتحصلها وان لكل واحد منها شغلا شاغلا عاجلا واجلا
ثم ان اعظمها واعضلها امر هذا الرزق وتدبيره فانه الكبرى لعامة
الخلق اتعبت نفوسهم وشغلت قلوبهم فاكثرت همومهم وغمومهم
وضيعت اعمارهم واعظمت تبعاتهم واوزارهم وعزلت بهم عن باب الله
تع وخدمته الى خدمة الدنيا وخدمة المخلوقين فعاشوا في الدنيا في ظلمة
وغفلة وتعب ونصب وهم مهانة وذل وقدموا الاخرة مفاليس
فستبين لديهم الحساب والعذاب ان لم يرحم الله تع بفضله فانظر كم من اية
انزل الله تع في ذلك وكم ذكر من وعد وضمان وقسم بفضله على ذلك
ولم يزل الانبياء والعلماء يعظون الناس ويرشدونهم الطرق ويصنفون

الكتب ويضربون لهم الامثال ويخوفونهم بالله تعالى وهم مع ذلك
لا يهتدون ولا يتقون ولا يطمئنون بل هم في غمرة من ذلك
لا يزالون يخافون ان يفوتهم غداء او عشاء واصل ذلك كله
قلة التدبر لآيات الله سبحانه وقلة التفكر في صنائع الله تعالى وقلة
التذكر لكلام رسول الله صلعم وترك التأمل لاقوال الصالحين ثم
مع الاستئناس بوساوس الشيطان والاصغاء الى كلام الجاهلين
والاغترار بعادات الغافلين حتى تمكن الشيطان منهم ورسخت
العادات في قلوبهم فتادى بهم ذلك الى ضعف القلب ورقة
اليقين واما الاخيار الذين هم اولو الابصار وارباب الجد
والاجتهاد ابصروا الطريق السوي ولا يعبأوا باسباب الا[illegible]
واعتصموا بحبل الله فلم يلتفتوا الى علائق الخلق ووثقوا با
الله وابصروا الطريق فلم يلتفتوا الى وساوس الشيطان
والخلق والنفس فاذا وسوس لهم شيطان او نفس او انسان
بشيء فاصوا بالمشاققة والمدافعة والمخالفة حتى ولى الخلق عنهم
واعتزل عنهم الشيطان وانقادت لهم النفس واستقام لهم الطريق
على ما ذكر عن ابراهيم بن ادهم رحمه الله لما اراد ان يقطع
البادية اتاه الشيطان فخوفه بان هذه بادية مهلكة ولا زاد معك

ولا سبب معك فعزم على نفسه رحمه الله ان يقطع البادية على التجرد وذلك صفة تجرده
وان لا يقطعها حتى يصلي تحت كل ميل من اميالها الف ركعة وقام بما
عزم عليه وبقي في البادية اثني عشر سنة حتى ان الرشيد حج في بعض
تلك السنين فرآه تحت ميل من اميالها يصلي فقيل له هذا ابراهيم بن
ادهم فاتاه فقال كيف تجدك يا ابا اسحاق فانشد ابراهيم يقول
نرقع دنيانا بتمزيق ديننا فلا ديننا يبقى ولا ما نرقع فطوبى لعبد
آثر الله ربه وجاد بدنياه لما يتوقع وعن بعض الصالحين انه كان
في بعض البوادي فوسوس اليه الشيطان بانك متجرد وهذه بادية
لا عمران فيها ولا ناس بها فعزم على نفسه بان يمضي على تجرده وان يترك
الطريق حتى لا يلتقي باحد من الناس ولا ياكل شيئا حتى يجعل في فيه
ثم عدل عن الشارع ومر على وجهه قال رحمه الله فبقيت
الى ما شاء الله فاذا انا بقافلة قد اضلت الطريق وهم يسيرون فلما
ابصروني رميت بنفسي الى الارض لعلهم لا يبصروني [illegible]
الله تعالى حتى وقفوا علي فغمضت عيني فدنوا مني قالوا هذا منقطع
قد غشي عليه من الجوع والعطش فهاتوا شيئا وعسلا نجعله في فيه
لعله يفيق فاتوا بشيء فشددت فمي واسناني فاتوا
بسكين ففتحوا فمي حتى يضعوا فيه

ذلك مني قالوا مجنون انت قلت لا والحمد لله واخبرتهم ببعض ما جرى
لي مع الشيطان وعن بعض مشايخنا رحمه الله قال نزلت في بعض
اسفاري ايام التعلم مسجدا بعيدا عن الناس وكنت متجردا على
عادة اوليائنا فوسوس لي الشيطان بان هذا مسجد بعيد عن
الناس لو صرت الى مسجد بين الناس لرآك اهله وقاموا
بكفايتك فقلت لا ابيت الا ههنا وعلى عهد الله لا آكل شيئا
الا الحلواء ولا آكله حتى يوضع في فمي لقمة لقمة وصليت العتمة واغلقت
الباب فلما مضى قدر من الليل اذا انا بانسان يدق الباب ومعه
سراج فلما اكثر الدق فتحت الباب فاذا انا بعجوز ومعها
قد دخلت فوضعت بين يدي طبقا من الخبيص وقالت لولا
الشاب [illegible] صنعت له هذا الخبيص وجرى منه كلام فحلفت
ان لا ياكل حتى ياكل معه رجل غريب او قالت ياكل معه هذا الغريب
الذي في المسجد فكل رحمك الله فاخذت تضع في فمي لقمة وفي
ولدها لقمة فهذه وامثاله من مجاهدات الصالحين في
مناقضاتهم للشيطان فان لك في ذلك فوائد ثلثا احدها ان
تعلم ان الرزق لا يفوت من قدر له والثانية ان تعلم ان
[illegible] العارف بالله كان لهم جدا وان للشيطان لهم غوايل ووساوس

عظيمة حتى ان مثل اولئك الائمة الزهاد لم يتخلصوا من ذلك ولم ييأس
عنهم الشيطان بعد طول تلك الرياضات وكثرة المجاهدات التي سبقت
لهم حتى احتاجوا الى دفعه بهذه المناقضات ولعمري ان من جاهد
النفس والشيطان سبعين سنة لا يأمن ان يوسوس اليه كما
يوسوس للمبتدي في العبادة بل الغافل الذي لم يجتهد ساعة في الرياضة
ولو ظفر به لفضحه واهلكه هلاك الغافلين وفي ذكر [illegible] الاولياء
الابصار والثالثة ان تعلم ان هذا الامر لا يتم الا بالجد المحض والمجاهدة
البالغة فانهم كانوا لحما ودما وروحا مثلك بل كانوا اضعف ابدانا
واضعف اركانا وادق عظاما منك ولكن كانت لهم قوة العلم ونور
اليقين وهمة امر الدين حتى قعدوا على مثل تلك المجاهدات والقيام
بتلك الطاعات فانظر لنفسك رحمنا الله واياك وداو ما فيك بهذا
الدواء المفضل لعلك تنجو ان شاء الله عز وجل فصل ثم اعلم بعد هذه
الجملة انه يحتاج [illegible] بحيث [illegible] في القلب اذا ذكرتها
[illegible] صعوبة هذا الباب [illegible] على واحد [illegible] من الحق ان [illegible]
بها والله الموفق اولاها ان تعلم ان الله تعالى ضمن رزقك في كتابه [illegible]
[illegible] لو وعدك ملك من ملوك الدنيا [illegible] و
[illegible] وانت [illegible] الظن به [illegible] الاكابر [illegible]

بذلك سوقية او يهودية او نصرانية او مجوسية مستور عندك بظاهره
عفيف في معاملة الناس تثق بوعده وتطمئن لقوله ولا يهتم لقسائلك
تلك الليلة اتكالا عليه فما لك قد وعدك الله تعالى وضمن رزقك وتكفل لك
اقسم عليه في غير موضع وانت لا تطمئن بوعده ولا تسكن الى قوله وضمانه
ولا تنظر الى قسمه بل تضطرب قلبك وتهتم فيا لها من فضيحة لو رايت و
يا لها من مصيبة لو علمت وعن علي ابن ابي طالب رضي الله عنه انه طلب رزق الله
من عند غيره وتصبح من خوف العواقب آمنا وتدخل بصرا فيه ان كان
مشركا ضمنا وان رضي بذلك صار صاحبا ولهذا المعنى يتحرر هذا الامر الى الشك
والشبهة ويخاف على صاحبه والعياذ بالله سلب المعرفة والدين
ولهذا قال سبحانه وتعالى وعلى الله فتوكلوا ان كنتم صادقين مؤمنين
وعلى الله فليتوكل المومنون فحسب المومن المتهم لا صدق به
هذه النكتة الواحدة ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم والثانية
ان تعلم ان الرزق مقسوم قد صح ذلك في كتاب الله تعالى واخبار رسول الله صلعم
وتعلم ان قسمه لا يتغير ولا يتبدل فان انكرت القسمة او جوزت نقضها
فذلك باب الكفر تفرعه نعوذ بالله وان علمت انه حق لا يتغير فما بالك
في الاهتمام والطلب الا الذي لا كهوان في الدنيا والشح والخوان في الآخرة
ولذلك قال صلعم مكتوب على ظهر الحوت والنون رزق فلان ابن فلان

٨٥

فلا يزيده الحريص الا جهدا وفي ذلك يقول شيخنا رحمه الله ان ما قد رزقنا
ان لا يعضه فلا يضيعه غيرك خلق ومحيك رزقك بالعز ولا تاكله بالذل
ولكن نكتة مقنعة للرجال في الله ما سمعت من شيخنا الامام رحمه الله
يحكي الحكاية عن الاشياخ رحمه الله انه كان يقول ان ما تنفعني في امر الرزق
اني تذكرت وقلت لنفسي اليس هذا الرزق للجوع والعيش في البيت
ما يضع الرزق فاذا كان حقوق الصدق في خزانة الله تعالى وبيده ان شاء
يعطيني وان شاء يمنعني ومتوجبت على شكوك الى الله تعالى يكرم كيف
يشاء فانا ساكن النفس بذلك وهذه نكتة لطيفة مقنعة لاهل التحقيق
والله المستعان النكتة الرابعة فيها ذكر بابه هذا الفصل ان الله تعالى ضمن الرزق
العبد ولم يضمن الا الرزق المضمون الذي هو الغذاء والتربية وفيه القوام
والنعمة وما الاسباب من الطعام والشراب فالعبد لما يحتاج لعبادة الله
سبحانه وتوكل على الله فهو ما تحبس عنه الاسباب فلا يعنيه بذلك ولا يضجر
لما علم من حقيقة الامر ان الضمان لقوام البنية والتوكل على الله انما هو
في هذا المعنى لا غير والمنتظر من الله تعالى الا محالة يمده بالقوة ليقوم بحق
العبادة والخدمة ما دام له اجل وتكليف بالعبادة وهذا هو المقصود
والله سبحانه قادر على من يشاء ان شاء ان يقيم بنيته بلا طعام وشراب او
بطين او تراب او بتسبيح وتهليل كالملائكة وان شاء بدون هذا كله

مطلوب العبد الا القوام والقوة للعبادة ليس الاكل والشرب وسد
الشهوة ونيل اللذة فلا اعتبار بالاسباب له او لذا العبد قوت الزهاد
والعباد على الاسفار وطي الليالي والايام فمنهم من لم ياكل عشرة ايام ومنهم
من لم ياكل شهرا او شهرين وهو على قوته ومنهم من كان يستف الرمل
فيجعله الله له غذاء كما ذكر عن الثوري رحمه الله فقدت نفقتي بمكة
فمكثت ثلثة عشر يوما استف الرمل فقال ابو معاوية الاسود رايت
ابراهيم بن ادهم ياكل الطين عشرين يوما وعن الاعمش قال قال لي
ابراهيم التيمي رحمه الله ما اكلت منذ شهر قلت منذ شهر قال والا شهرين
الا انسانا ناشدني الله عز وجل على عنقود من عنب فاكلته منه
فانا اشتكي بطني قلت ابا عمرو فلا تعجب من ذلك فان الله القادر على ما يشاء
وهذا امر يعرف تراه لا ياكل شهرا وهو حي يعيش في المرض على كمال الضعف
نفسا وارق طبعا في القوة واما الذي يموت جوعا فذلك لاجل حكمة
كالذي يموت شبعا وتخمة ولقد بلغني عن ابي سعيد الخراز رحمه الله انه قال
كان حالي مع الله تعالى ان يطعمني كل ثلثة ايام فدخلت البادية فمضت على ثلثة
ايام ما طعمت فلما كان اليوم الرابع وجدت ضعفا فجلست مكاني فاذا بهاتف
يقول يا ابا سعيد ايما احب اليك سبب او قوة قلت الا القوة فقمت من وقتي وقد
استقلت فمضيت اثني عشر يوما ما طعمت ولا وجدت الما لذلك فاذا راى العبد انقطاع الاسباب

عنه وعلم من نفسه التوكل على الله فليستيقن ان يتم الله له بالقوة فلا
يتحير لذلك بل حقه ان يشكر الله تعالى على ذلك ويشكر البرا فان له المنة
والصنع واللطف اذ رفع عنه المؤنة واعطاه المعرفة وحصل له الاصل
والمقصود ووضع عنه الثقل والواسطة وخرق له علايق العبادة
واراه طريق القدرة وارتفع حاله بحال الملائكة ورفعه عن حال البهائم
والعامة في تلك الكرامة فتامل هذا الاصل الكبير تغنم الربح العظيم ان شاء
فلعلك تقول انك اطنبت في هذا الفصل خلاف شرط الكتاب فاقول
لعمر الله انه لقليل في جنب ما يحتاج اليه في هذا المعنى اذ هو اهم شان في العبادة
بل عليه مدار امر الدين والدنيا والعبودية فمن له همة في هذا الشان فليستكمل
بذلك وليراعه حقه والا فهو عن المقصود معزول والذي يدل على ذلك على ما يجمع
علماء الاخرة العارفين بالله انهم بنوا امرهم على التوكل على الله والتفرغ لعبادة
الله عز وجل وقطع العلائق كلها فكم صنفوا من كتاب وكم اوصوا بوصية
او قيض الله لهم اعوانا من السادة فتواصوا بما يحيي لهم من الخير الحقيقي
بتمكين طائفة من طوائف الامة الا اهل الكرامية على اصول غير مستقيمة وما رأينا
اعزة قادة قاموا على منهاج ائمتنا تخرجوا من مقابرنا ومدارسنا طلبا حجيجا
اعلام في العلم كالاستاذ ابي اسحق وابي حامد والطيب وابن فورك وشيخنا
الامام وامثالهم من السادة واما مذاهب الصادقين كابي اسحاق الشيرازي وابي سعيد

الصوفية ونفيس المقدسية وغيرهم ممن فاق الأمة علما وزهدا حتى ضعفت
القلوب من بعضنا وتلطخنا بشيء من العلائق التي ضرها أكثر من نفعها
فتراجعت الأمور وتقاعدت الهمم وطارت البركات وزالت اللذات والحلاوات
فلا يكاد يتفق لأحد عبادة أو يحصل له علم أو حقيقة وإن اللمعة التي تظهر
منا الآن ليست مما يفي على منهاج أسلافنا وشيوخنا المتقدمين كالحارث
المحاسبي ومحمد بن إدريس الشافعي والمزني وحرملة وغيرهم
من أئمة الدين رضي الله عنهم أجمعين كما قيل فيه فأصبحوا الأيام
إلا تعففا ولا وجدوا من حب سيدهم بدا فأصبح صيد بغير
أهل ولا بد إلى سيد السادات فجعلوا القصد لحل عقد الصبر عن
كل صابر وما حلت الأيام من عقدهم عقدا وكنا في الصدر الأول ملوكا
فصرنا سوقة وكنا فرسانا فصرنا رجالة وليتنا لا نقطع عن الطريق
بمرة والله المستعان على المصائب والمسؤول أن لا يسلبنا هذا الرمق
إنه جواد كريم حنان منان ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم وأما
التفويض فاعلم فيه أصلين أحدهما أنك تعلم أن الاختيار لا يصلح
إلا لمن كان عالما بالأمور بجميع جهاتها ظاهرها وباطنها حالها وعاقبتها
وإلا فلا يأمن أن يختار الفساد والهلاك على ما فيه الخير والصلاح ألا
ترى أنك لو قلت لبدوي أو قروي غير عالم بالنقد انتقد لي هذه

هذه الدراهم وميز بين جيدها ورديئها فإنه لا يهتدي لذلك ولو قلت
لسوقي غير صيرفي فربما تغير أيضا فلا تأمن إلا أن تعرضها
على الصيرفي الخبير كالذهب والفضة وما فيهما من الخواص والأسرار
ومثل العلم المحيط بالأمور من جميع الوجوه لا يصلح إلا لله رب العالمين
فلا يستحق أحد أن يكون له الاختيار والتدبير إلا الله وحده لا
شريك له ولذلك يقول عز وجل وربك يخلق ما يشاء ويختار ما كان لهم
الخيرة ثم قال سبحانه وربك يعلم ما تكن صدورهم وما يعلنون وحكي
عن بعض الصالحين أنه قيل له عن الله تعالى سل تعط وكان عوفا فقال
إن عالما بجميع الوجوه لجاهل من جميع الوجوه سل تعط أي شيء أعلم ماذا
يصلح لي فأسأله ولكن اختر أنت لي فهذا هذا الأصل الثاني
ما تقول لو أن رجلا قال لك إني أقوم بجميع أمورك ولا أدع ما تحتاج
إليه من مصالحك ففوض الأمر كله إلي واشتغل أنت بشأنك الذي
يعنيك وهو عندك أعلم أهل زمانك وأحكمهم وأقواهم وأرحمهم وأنعمهم
وأصدقهم وأوفاهم السمت بقيتم ذلك تعلم أعظم نعمة ومنة منه
النعمة وتقدم له أوفر شكر وأجمل ثناء ثم إذا اختار لك شيئا لا تعرف
وجه الصلاح فيه فلا تضجر لذلك بل تثق وتطمئن إلى تدبيره وتعلم أنه
لا يختار لك إلا ما هو الخير وما ينظر لك إلا الصلاح كيف ما كان الأمر بعدها وكذلك

الامر اليه ورضي ذلك فمالك الا لا تفوض الامور الى رب العالمين سبحانه وهو
الذي يدبر الامر من السماء الى الارض اعلم لكل عالم واقدر لكل قادر
وارحم كل راحم واغنى كل غني يختار لك بلطيف علمه وحسن تدبيره ما لا
يبلغه علمك ولا يدركه فهمك وتشتغل انت بشانك الذي هو يعنيك
في عاقبتك ولو اختار لك امرا لا تعلم وجه سببه رضيت بذلك
واطمانت اليه كيف ما كان فهو الاصلح والخير فتامل راشدا ان شاء
الله تعالى وبالله التوفيق واما الرضى بالقضاء فنامر فيه اصلين
مقنعين لا مزيد عليهما احدهما في الرضى من الفايدة في الحال والمال
واما الفايدة الحالية ففراغ القلب وقلة الهم من غير فايدة ولذلك
قال بعض الزهاد رحمه الله ان كان القدر حقا فالهم فضل واصله
الخبر الماثور عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لابن مسعود ليقل همك
ما قدر يكن وما لم تقدر لم ياتك هذا هو الكلام الجامع النبوة البالغ
في قلة الهم ... واما الفايدة في المال فثواب الله تعالى ورضوانه فوله
تعالى رضي الله عنهم ورضوا عنه وفائدة السخط من الهم والغم في الحال والوزر و
العقوبة في الاخرة بلا فايدة اذ القضاء نافذ فلا ينصرف بهمك وسخطك كما قيل
... الايمان ... الذي لم يقدر ... انه الذي
... بلا فايدة مع الوزر والعقوبة

على راحة القلب وثواب الجنة الاصل اتفاقا وفي السخط من عظيم الخطر
والضرر والكفر والنفاق الا ان يتداركه الله تعالى وتامل قوله فلا وربك
لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في انفسهم حرجا مما قضيت
ويسلموا تسليما نفى الايمان واقسم عمن سخط قضاء رسول الله صلعم
فكيف حال من سخط قضاء الله عز وجل وبيان ان الله تعالى يقول من لم يرض
بقضائي ولم يصبر على بلائي ولم يشكر على نعمائي فليتخذ ربا سواي فعلى
كان يقول هذا الا يرضانا رب حتى يسخط فليتخذ ربا اخر يرضاه فهذا غاية
الوعيد والتهديد لمن عقل عن الله ولقد صدق بعض السلف حيث لما سئل
ما العبودية والربوبية فقال الرب يقضي والعبد يرضى فاذا قضى الرب ولم يرض
العبد فما هناك ربوبية ولا عبودية فتامل هذا الاصل وانظر لنفسك الحال
تسلم بعون الله وتوفيقه واما الصبر فانه دواء مر وشربة كريهة ولكنها
تجلب اليك كل منفعة وتدفع عنك كل مضرة فاذا كان الدواء بهذه الصفة
فلا بد ان العاقل يكره النفس على شربه وتجرعه ويغضي على مرارته
ويقول ... مرارة ساعة وراحة سنة ... المنفعة التي تجليها فاعلم
ان الصبر اربعة صبر على الطاعة وصبر عن المعصية وصبر عن فضول الدنيا
وصبر على المحن والمصائب فاذا احتمل مرارة الصبر فصبرت في هذه المواطن
الاربعة حصلت لك الطاعة وصرت اماما في الاستقامة وامنت في العاقبة

ثم لايقع في المعاصي وبليات نهاية الدنيا وتبعا نهاية الاخرى ثم لايبتلى ببلاء الدنيا
وما يامن الشغل في الحال والتبعة في المال ثم لايحبط اجره على ابتلايه فيخرجه
وحصل له ايضا بسبب الصبر الطاعة ومنازلها الشريفة وثوابها والتقوى و
الزهد والعوض والثواب الجزيل من الله تعالى وتفصيل ذلك الامر لايعلمه الا
الله تعالى واما رفع الضرر والمضار فيتحرك اولا من مونة الجزع ومقاساته
في الدنيا وزمان عقوبته في العقبى واما انه لو ضعف عن الصبر وسلك
طريق الجزع فاته كل منفعة ولحقه كل مضرة لانه لا يصبر على مشقة الطاعة
فلا يفعل الطاعة او لا يصبر على حفظها فيحبطها او لا يصبر على المواظبة عليها
فلا يصل الى منزلة شريفة فيها من درجات الاستقامة او لا يصبر عن معصية
فيقع فيها او عن فضول فيشتغل به او لا يصبر على معصية فيحرم ثواب
الصبر وربما يكثر الجزع حتى يفوت العوض بسبب ذلك فيكون له مصيبتان
فوت الشيء وفوت الاجر والعوض وحلول المكروه وحرمان على الصبر
ولقد قيل حرمان الصبر على المصيبة اشد من المصيبة وانه فاية ...
يذهب بالجهد والعوض ولا يرد عليك الذاهب المفقود فاجتهد انه لا فاتك
احدهما فلا يفوتك الاخر ومن الكلام الجامع ما ذكر ان عليا رضي الله عنه عزى
رجلا فقال ان صبرت جرت عليك المقادير وانت ماجور وان جزعت
جرت عليك المقادير وانت مازور ثم اقول ان جملة الامر ان قطع القلب عن العلايق

المالوفة وقطع النفس عن العادات الواضحة بالتوكل المحض على الله سبحانه
وترك التدبير في الامور وتفويضها الى الله تعالى من غير علم بما هو الخير فيها
وحبس النفس عن السخط والجزع مع تنازع النفس اليه واكراهها على
الحام المر وتجرع شربة الصبر مع نفرتها عن ذلك لامر صعب وعلاج
شديد وحمل ثقيل ولكنه تدبير سديد وطريق مستقيم وله عاقبة محمودة
واحوال شديدة مخوفة كما يقول في الوالد المشفق النفقة لا ابنه على علاج
الصغير رطبه او نفاحه باكلها وهو اذ هو يسلمه الى المعلم الحافظ
السايس ويحبس طول النهار عنده ويضجره ويحمله ... على
الحجام ليحجمه ويفصده اترى انه صنع ذلك من بخل فيه او هو ان
او ميل الى الاجانب ويوسع عليهم او هو يهذب الولد كيف وهو يتمنى له جميع ...
او قصد بذلك اتعابه وايذاءه ليبغض له كيف وهو قرة عينه وحمى
خواطره ولو هبت عليه الريح لعز عليه ... لما علم ان صلاحه في ذلك
وان بهذا التعب القليل يصل الى خير كثير وشيء عظيم وما تقول في الطبيب
الحاذق الناصح الحبيب اذا منع المريض الدنف شهوته ...
يشتغل ... وسقاه شربة قليلة كريهة يجزع عنه ذلك ...
اترى ان ذلك من عداوة او ابدا فلا ... علم ... بانه
في اعطاء شهوته ساعة هلاكه وعطبه ... وشفاؤه ونجاته

فتامل ايها الرجل اذا حبس الله عنك رغيفا او درهما فتعلم يقينا انه
يملك ما تريد ويقدر على ايصاله اليك اذ له الجود والفضل ويعلم حالك فلا يخفى عليه
شيء فلا عدم ولا عجز ولا جفاء تعالى عن ذلك وتقدس فانه اغنى الاغنياء
واقدر القادرين واعلم العلماء واجود الاجودين فتعلم اذا بالحقيقة انه
لم يمنعك الا لصلاح واختيار وكيف وهو الذي يقول خلق لكم ما في الارض
جميعا كيف وهو الذي جاد عليك بمعرفته وهي التي لا شيء في جنبها
الدنيا باسرها وفي الخبر المشهور ان الله تعالى سبحانه يقول اني لاذود اوليائي
عن نعيم الدنيا كما يذود الراعي الشفيق ابله عن مبارك الحرة ولا
ابتلاك بشدة فاعلم يقينا انه غني عن امتحانك وابتلائك عالم بحالك بصير
بضعفك وهو بك رؤوف رحيم اما تسمع قوله صلى الله عليه وسلم انه قال لله ارحم
بعبده المؤمن من الوالدة الشفيقة بولدها فاذا علمت انه لم ينزل
بك هذا المكروه الا لصلاح لا يجهله الا انت وهو عالم بذلك وان النبي
نداه بكثير انبيائه واوليائه واصفيائه والذين هم اعز عباده حتى
يقول صلى الله عليه وسلم اذا احب الله قوما ابتلاهم ويقول اشد الناس ابتلاء
الانبياء ثم الشهداء ثم الامثل فالامثل ولقد رايت الله يحبس عنك الدنيا ويكثر عليك
الشدائد والبلوى فاعلم انك عنده عزيز وانك عنده بمكان كبير وانه يسلك
بك طريق اوليائه وانه يراك ولا يحتاج الى ذلك اما تسمع قوله تعالى فاصبر لحكم

ربك فانك باعيننا بل اعرف منته عليك فيما يحفظ عليك من صلاحك ويكثر من
اجرك وثوابك ويبلغك منازل الابرار والاعزة عنده فكم ترى من عواقب
حميدة ومواهب كريمة والله ولي التوفيق بلطفه ولا حول ولا قوة الا بالله
العلي العظيم فصل وبالجملة اذا علمت يقينا ان الله تعالى الملي
بضمان رزقك الذي لا بد لك منه لبقائك وقيامك بعبادته وانه القادر على
ايصاله كيف يشاء وهو البصير بحاجتك اليه الغالب الساعة في جميع الخلق
على ضمانه الحق ووعده الصدق وسكن قلبك بذلك واضربت عن ذكر
العلائق والاسباب وتعلق قلبك بها فلا يشغلك بذلك العلائق تعنيك ولا
تكفيك دون الله تعالى عز وجل فانه تعالى يثبت اكلها ويشبعها ثم هو الذي
يحفظك قوتها ونفعها ويدفع عنك ثقلها وضررها
وهو يغنيك ويكفيك دونها اذ الاشياء والامور كلها اليه ومنها لا شريك له فيتوكل
عليه لا غير وكذلك تترك التدبير في امور كل ما يدور في السماء والارض
وتريح نفسك عن شيء لا يبلغه عقلك [illegible] من امور يكون
غدا وما يكون بانه كيف يكون وتكلف عن فعل [illegible] ليس فيه الا
شغل القلب وتضييع الوقت ولعله يكون امور لم تخطر ببالك فيكون ما
سبق من فكرك وتدبيرك وتضييعك الوقت [illegible]
لا خير ان صبيا تتقدم عليه وتضيع فيه [illegible] وتضييع العمر

سهرت اعين ونامت عيون
في امور تكون او لا تكون
ان ربا كفاك بالامس ما
كان سيكفيك في غد ما يكون

فيه ذلك وفي هذا المعنى لبعض الزهاد رضي الله عنهم سبقت مقادير الاله وحكمه
فارح فؤادك من لعل ومن لو وقال آخر سيكون ما هو كائن في وقته وأخو
الجهالة متعب محزون ولعل ما تخشاه ليس بكائن ولعل ما ترجوه ليس يكون
وتقول للنفس في الجملة بالقلب لن يصيبنا الا ما كتب الله لنا هو مولانا وتقول حسبنا
ونعم الوكيل لانه هو قدير لا نهاية لحكمته رحيم لا احاطة لرحمته ومن كان بهذه
الصفة لحقيق ان يتوكل عليه وتفوض الامر كله اليه فعليك بالتفويض وكذلك
تعطن قلبك على ان ما يقضي الله تعالى لك فهو الاوفق والاصلح وان ذلك الابلغ لك
كيفية وتقول يا نفس المقدور كائن لا محالة فلا فائدة في السخط والحنق
فيما يصنع الله تعالى فاوجب للسخط البيت تقول لمن رضيت بالله ربا فكيف لا ترضى
بقضائه والقضاء من شأن الربوبية وحقها فعليك بالرضى وكذلك اذا اصابتك
مصيبة ودخل بك مكروه فتراعي نفسك عند ذلك وتضبط قلبك من الجزع والا
يظهر منه شكاية وقلق لاسيما عند الصدمة الاولى فان الشأن هنالك والنفس
تثار عند ذلك اي عند الجزع عند ذلك وتقول يا نفس هذه قد وقعت
فلا حيلة لدفعها وقد دفع الله تعالى ما هو اكبر منها فان انواع البلايا في خزائنه
لكثيرة وان هذه ستنقضي فلا تبقى وانها سحابة ستنقشع فتجلدي يا نفس
قليلا تجدي لذلك سرورا طويلا وثوابا جزيلا بل لا بعد ان لا دفع للنازلة ولا
فائدة في الجزع والغضبة في الجملة مع الجزاء والصبر فتشغل لسانك

بالاسترجاع
وقلبك بذكر ما يحصل لك عند الله تعالى من الاجر وتتذكر
صبر اولي العزم على المصائب العظام من الانبياء والاولياء
الاعزة على الله تعالى ولقد احبس عنك الدنيا وقت فتقول
يا نفس هو اعلم بالحال وارحم بك واكرم وانه الذي يطعم
الكلب في خسته ويطعم الكافر في عداوته وانا عبده العارف
الموحد اتساوق عنده رغيفا فاعلمي بالحقيقة انه لم يحبس الى
عنك الا لنفع عظيم وسيجعل الله بعد عسر يسرا فاصبري
قليلا انك ترى العجب من لطيف صنعه اما سمعت القائل يقول توقع
صنع ربك سوف ياتي بما تهواه من فرج قريب ولا تيأس اذا
ما نابت خطب فكم في الغيب من عجب عجيب والآخر يقول الا ايها
المرء الذي الهم به برح اذا اشتدت بك العسر ففكر في الم نشرح
فعسر بين يسرين اذا ذكرته فافرح فاذا اجريت هذه الاذكار
ونحوها واطبت عليها بالتكرير والتمرين فانها سيهون عليك
بل كانت اكل جهة واجتهادا دائما [illegible]
العوائق [illegible] الهوية وصرت عند الله تعالى من المتوكلين
المفوضين الراضين بقضائه الصابرين على بلائه وصرت لنفسك
راحة القلب والبدن في الدنيا وعظم الثواب والذخر في العقبى جلالك

والمحبة عند رب العالمين فيجمع لك خير الدين ويستقيم لك طريق العبادة
فلا عائق ولا شاغل وكنت حينئذ قد قطعت هذه العقبة العوصة
والله سبحانه المسؤول ان يمدك وايانا بحسن توفيقه فانه اكرم الاكرمين
وارحم الراحمين

العقبة الخامسة

وهي عقبة البواعث

ثم عليك يا اخي بالسير اذ استقام لك الطريق وتسهلت السبل واندفعت
العوائق وزالت العوارض فلا يحصل لك السير المستقيم الا باستشعار
الخوف والرجاء والتزامهما حقهما على حدهما اما الخوف فانما يجب التزامه لامرين
احدهما الزجر عن المعاصي فان هذه النفس امارة بالسوء ميالة
الى الشر طماحة الى الفتنة ولا تنتهي عن ذلك الا بتخويف عظيم وتهديد
بالغ وليست في طبعها حرة يهمها الوفاء ويمنعها الحياء عن الجفاء
والمناهي كما قال القائل العبد يقرع بالعصا والحر تكفيه الملامة والتدبير
فلا يمكنها ان تقرعها الا بسوط الخوف قولا وفعلا وفكرا ونحوها ما ذكر
عن بعض الصالحين ان نفسه دعته الى المعصية فانطلق ونزع ثيابه
وجعل يتمرغ في الرمضاء ويقول لنفسه ذوقي فنار جهنم اشد حرا
من هذه يا جيفة بالليل بطالة بالنهار والثاني لئلا تعجب بالطاعة
فتهلك بل تقمعها بالذم والنقص والعيب عن الاسواء والاوزار التي
فيها من الاخطار ونحو ما ذكر عن النبي صلعم انه قال لو اني وعيسى

اخذنا بما كسبت هاتان لعذبنا عذابا لم يعذب به احد واشار
باصبعيه وعن الحسن انه كان يقول يا من احدنا ان يكون غدا اصاب
دنيا وطبق باب المغفرة دونه فهو يعمل في غير معمل وعن ابن السماك فيما
يعاتب نفسه تقولين قول الزاهدين وتعملين عمل المنافقين وفي الجنة
تطمعين هيهات ان للجنة اقواما اخرين ولهم اعمال غير ما نعمل فهذه
واشباهها مما يلزم العبد تذكرها وتكريرها عليها لئلا يعجب بطاعة او يقع
في معصية وبالله التوفيق واما الرجا فانما يلزمك استشعاره عنهم
زاجر والهوى الى ضده لامرين احدهما للبعث على الطاعة وذلك ان
الخير ثقيل والشيطان عنه زاجر والهوى الى ضده داع وحال اهل الغفلة
من عامة الخلق في النفس منبسطة بمثله والثواب الذي يطلب في العقبى
غائب والعهد بالوصول اليه فيما تحسبه بعيد واذا كان الحال على هذه الحالة فلا
تنبعث النفس للخير ولا ترغب فيه حقه ولا تهتز له الا باعظم يقابل كل عمل
المواضع وبينا وبها لابد عليها ما قد ذكرنا وهو ارجاء القوي ذو رحمة الله
والترغيب البالغ في حسن ثوابه وكريم اجره ولقد قال شيخنا رحمه الله
الحزن يمنع من الطعام والخوف يمنع من الذنوب والرجاء يقوي على الطاعة
وذكر الموت يزهد في الفضول والثاني انه يهون عليك احتمال الشدائد والمشقات
واعلم ان من عرف ما يطلب هان عليه ما يبذل ومن ...

رغبته احتمل مشقته ولم يبال بما يلقى من مؤنته ومن احب احدا حق محبته
احب ايضا احتمال محنته حتى انه لا يجد لتلك المحنة ضررا بل من اللذة الاوفى
الى مشتار العسل لا يبالي بلسع النحل لما يتذكر من حلاوة العسل والاجير
لا يعبأ بارتقاء السلم الطويل مع الحمل الثقيل طول النهار الصائف لما
يتذكر من اخذ الدرهمين بالعشي وان الفلاح لا يفكر في مقاساة
الحر والبرد ومباشرة الشقاء والكد طول السنة لما يتذكر من البيدر
اوان الغلة وكذلك يا اخي العباد الذين هم اهل الاجتهاد اذا ذكروا الجنة
في طيب مقيلها وانواع نعيمها من قصورها وحورها وطعامها وشرابها
وحليها وحللها وسائر ما اعد الله تعالى لاهلها هان عليهم ما يحملون من تعب
في عبادتهم او فاتهم في الدنيا من جاه او لذة او نعمة او نالهم في الدنيا من ذل
او نقمة او نالهم من محنة ومشقة ولقد حكي عن بعض اصحاب سفيان الثوري
رحمه الله تعالى انهم كانوا في خلوة فما كانوا يرون من خوفه واجتهاده وزيادة حاله فقالوا
يا استاذ لو نقصت من هذا الجهد بلغت مرادك ايضا ان شاء الله تعالى فقال
سفيان كيف لا اجتهد وقد بلغني ان اهل الجنة يكونون في منازلهم فيتجلى
لهم نور تضيء له الجنان الثمانية فيظنون ان ذلك نور من جهة الرب فيخرون ساجدين
فينادون ان ارفعوا رؤوسكم ليس الذي تظنون انما هو نور جارية تبسمت
في وجه زوجها ثم انشد في هذا المعنى ... كانت الفردوس مسكنها

اهلها كانت الفردوس مسكنهم

واختار

٩٣

وافتاد شراه بشيء كثيرا خائفا وجلا الى الماضي يسعى بين ...
يا نفس مالك من صبر على النار قد حان ان تقبلي من بعد ادبار
قلت انا واذا كان مدار امر العبودية على الامرين القيام بالطاعة
والانتهاء عن المعصية وذلك لا يتم مع هذه النفس الامارة بالسوء
الا بترغيب وترهيب وترجية وتخويف فان الدابة الحرون تحتاج
الى قائد يقودها والى سائق يسوقها واذا وقعت في مهواة فربما
تضرب بالسوط من جانب وتلوح لها بالشعير من جانب آخر
حتى تنهض وتتخلص مما وقعت فيه وان الصبي العرم لا يمر الى المكتب
الا بترجية من الوالدين وتخويف من المعلم وكذلك هذه النفس ابدا
حرون وقعت في مهواة الدنيا فالخوف سوطها وسائقها والرجاء
شعيرها وقائدها وان الصبي العرم تحمل الى كتاب العبادة والتقوى
وذكر العقاب والنار تخويفه وذكر الجنة وثوابها ترجيته وترغيبه
فكذلك يلزم العبد الطالب للعبادة والرياضة ان يذكر النفس بالامرين
الذين هما الخوف والرجاء والا فلا انسياق للنفس ... ولهذا المعنى
ان الذكر الحكيم مجموع ... الوعد والوعيد والترغيب والتهديد
وانك في ذلك ... فذكر من الثواب الكريم ما لا يحصى ... العقاب الاليم
ما لا يحصى عليك فعليك اذا بالتزام هذين المعنيين ...

عليك احتمال المشقة والله ولي التوفيق بفضله فان قلت فما حقيقة الرجاء
والخوف وحكمهما فاعلم ان الرجاء والخوف عند علمائنا رحمهم الله يرجعان
الى قبيل الخواطر وانما المقدور للعبد مقدماتهما قالوا فالخوف رعدة
تحدث في القلب عن ظن مكروه يناله والخشية نحوه لكن الخشية يقتضي
ضربا من الاستعظام والمهابة وضد الخوف الجراءة ولكن قد يقابل
بالامن يقال خائف وآمن وخوف وامن الا ان الامن الذي يجترئ على الله
والحقيقة ان الجراءة نقيضه ومقدمات الخوف اربع الاولى ذكر الذنوب
الكثيرة التي سبقت وكثرة الذين مضوا الى المظالم وانت مرتهن لم تبد
لك الخلاص بعد والثانية ذكر شدة عقوبة الله سبحانه التي لا طاقة لك
والثالثة ذكر ضعف نفسك عن احتمالها والرابعة ذكر قدرة الله عليك
متى شاء كيف شاء واما الرجاء فهو ابتهاج القلب بمعرفة فضل الله وانبساطه
الى سعة رحمة الله وهذا من جملة الخواطر غير مقدور للعبد وكما انه
مقدور للعبد وهو تذكر فضل الله وسعة رحمته وقد يسمى ايضا ارادة ...
الخاطرة بالاشتياق رجاء والمراد من هذا الباب هو الاول وهو التذكر على
حسب الابتهاد والمشقة له وضده الياس وهو تذكر فوات رحمة الله
وفضله وقطع القلب عن ذلك وهو معصية محضة وهذا الرجاء ...
... الذي يقعد بالعبد سبيل الى ... الياس الاثم والآخر فهو نقل بعد ...

في فضل الله وسعة رحمته ومقدمات الرجاء اربع الاولى ذكر سوابق فضله اليك
من غير قدم او شفيع والثانية ذكر ما وعد من جزيل ثوابه وعظيم كرامته بفضله
وكرمه دون استحقاق اياه بالافعال اذ لو كان على حسب الفعل لكان اقل شيء واصغر
اجر والثالثة ذكر كثرة نعمته عليك في امر دينك ودنياك في الحال من انواع الامداد
والالطاف من غير استحقاق او سؤال والرابعة ذكر سعة رحمة الله وسبقها
غضبه وانه الرحمن الرحيم الغني الكريم الرؤوف بعباده المؤمنين فاذا واظبت
على هذين النوعين من الاذكار اقتضياك الى استشعار الخوف والرجاء على
كل حال والله ولي التوفيق منه وفضله **فصــل** فعليك ايها الرجل
بقطع هذه العقبة في تمام الاحتياط والنظر وجيد الرعاية فانها عقبة دقيقة
المسلك خطرة الطريق وذلك ان الطريق بين طرفين مخوفين مهلكين احدهما طريق
الامن والثاني طريق الياس وطريق الرجاء والخوف هو الطريق العدل بين
الطريقين الجائرين فان غلبت الخوف حتى فقدت الخوف البتة وقعت
في طريق الامن ولا يامن مكر الله الا القوم الخاسرون فان غلب الخوف
حتى فقدت الرجاء البتة وقعت في طريق الياس ولا يياس من روح الله
الا القوم الكافرون فان كنت ... بين الامرين ... عنهما
اي جميعا فهو الطريق العدل المستقيم الذي هو سبيل اولياء الله واصفيائه
الذين وصفهم الله تعالى بقوله انهم كانوا يسارعون في الخيرات ويدعوننا رغبا
ورهبا

ورهبا وكانوا لنا خاشعين فاذا ظهرت لك في هذه العقبة طرق ثلثة
طريق الامن والجرأة وطريق اليأس والقنوط وطريق الخوف والرجاء
بينهما فان ملت عنه تقدم الى يمينك او يسارك وقعت في الهالكين
وهلكت مع الهالكين ثم الشأن ان الطريقين الجائرين في المهلكين اوسع
مجالا واكثر دواعيا واسهل سلوكا من الطريق العدل لانك اذا نظرت من
جانب الامن رأيت من سعة رحمة الله وكثرة فضله وغاية جوده ما
لا يبقى لك معه خوف فتتكل على ذلك بمرة وتأمن وان نظرت من جانب الخوف رأيت
من عظيم سياسة الله وكثرة هيبته ودقة امره وغاية مناقشته
مع اوليائه واصفيائه ما لا يكاد ان يبقى معه رجاء فتيأس بمرة وتقنط فمخرجه
اذا ان لا تنظر الى سعة الرحمن فقط فتجترئ وتأمن ولا الى عظم السياسة
والمناقشة فقط حتى تقنط وتيأس بل تنظر الى هذا والى هذا
وتأخذ من هذا بعضا ومن هذا ايضا فتتخذ بينهما طريقا دقيقا وتسلك
ذلك لتسلم فان طريق الرجاء المحض سهل واسع عريض وعاقبته تؤدي الى
الضلال والطريق العدل بينهما طريق الخوف والرجاء وان كان دقيقا عسيرا
فانه سبيل سالم ومنهج بين تؤدي الى الغفران والاحسان ثم الى الجنان
ولقاء الملك الرحمن سبحانه اوما تسمع قوله تعالى انا هديناه السبيل ويدعون ربهم
خوفا وطمعا ثم قال فلا تعلم نفس ما اخفي لهم من قرة اعين جزاء بما كانوا يعملون

فتأمل هذه الجملة جدا وتشمر وتنبه للامر فانه لا يجيء بالهوينا والله الموفق
ثم اعلم انه لا بد لك في هذه الطريق وحمل هذه النفس الجموح الكسلانة الا باجتناب
المحبوب عنها شهوات النفس الى الطاعات عليها الا بالتحفظ لثلاثة اصول والذكر
لها على سبيل الدوام من غير فترة ولا غفلة احدها ذكر آلاء الله سبحانه في الترغيب
والترهيب والثاني ذكر افعاله سبحانه في الاخذ والعفو والثالث ذكر ما اعد الله
للعباد في المعاد من الثواب والعقاب وتفصيل كل اصل منها يحتاج الى
كلمات توقفك على المقصود ان شاء الله تعالى والله ولي التوفيق الاصل الاول
اقوال الله سبحانه وتعالى تدبرتها الرجل في الكتاب العزيز من آيات
الترغيب والترهيب والترجية والتخويف فمن آيات الرجاء قوله تعالى
لا تقنطوا من رحمة الله ان الله يغفر الذنوب جميعا ومن يغفر الذنوب
الا الله غافر الذنب وقابل التوب وهو الذي يقبل التوبة عن عباده ويعفوا
عن السيئات كتب ربكم على نفسه الرحمة ورحمتي وسعت كل شيء
فسأكتبها للذين يتقون ان الله بالناس لرؤوف رحيم وكان بالمؤمنين
رحيما ونحوها آيات الرجاء ومن آيات الخوف والسياسة
قوله تعالى يا عباد فاتقون افحسبتم انما خلقناكم عبثا ايحسب الانسان
ان يترك سدى ليس بامانيكم ولا اماني اهل الكتاب من يعمل سوءا يجز به
وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون

من عمل فجعلناه هباء منثورا نسئل الله تعالى ان يشملنا برحمته ومن
الايات اللطيفة الجامعة بين الرجاء والخوف قوله نبئ عبادي اني انا الغفور الرحيم
ثم ما كر في عقيبه وان عذابي هو العذاب الاليم لئلا يستولي على الكل الرجاء بمرة واحدة
ومن ذلك قوله ويحذركم الله نفسه ثم قال في عقيبه والله رؤف بالعباد واعجب
من ذلك قوله من خشي الرحمن بالغيب علق الخشية باسم الرحمن دون اسم الجبار
او المنتقم او المتكبر ونحوه ليكون الخشية مع ذكر الرحمن فلا تكون الخشية بحتة فيكل
بل ممزوجة فيكون تخويفا في تامل وتحريكا في تسكين كما تقول اما تخشى الوالد الرحيم
اما تخاف الوالد الشفيق اما تحذر الامير الكريم والمراد من ذلك ان يكون الطريق عدلا
فلا يذهب الى امن وقنوط جعلنا الله واياكم من المتدبرين لهذا الذكر الحكيم
العاملين بما فيه انه الجواد الكريم ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم

الاصل الثاني في افعاله ومعاملاته اما من جانب الخوف فاولا

ان ابليس عبد الله ثمانين الف سنة فلم يترك فيما قيل موضع قدم الا وسجد لله تعالى
فيه سجدة [illegible] امرا واحدا فطرد عن بابه وضرب بوجهه عبادة ثمانين الف سنة
[illegible] واعد له عذابا اليما ابد الآبدين حتى روي ان الفقيه [illegible]
[illegible] رأى جبرائيل عليه الصلوة والسلام متعلقا باستار
الكعبة و[illegible] الهي لا تغير اسمي ولا تبدل جسمي ثم ان ادم عليه السلام
[illegible] واسجد له ملائكته وحمله على اعناقهم الى دار الجنة

فاكل اكلة واحدة لم يؤذن له فيها فنودي الا لا يجاورني من عصاني وامر الملائكة
الذين حملوا سريره يزعجونه من سماء الى سماء حتى وقع بالارض ولم يقبل
توبته فيما روي حتى بكى على ذلك مائتي سنة ولحقه من البلوى والبلاء ما لحقه وبقيت
ذريته في تبعات ذلك ما بقيت الى الابد ثم ان نوحا شيخ المرسلين عليه الصلوة والسلام
الذي احتمل في امر دينه ما احتمل بعد الا كلمة واحدة على غير وجهها اذ نودي ولا
تسألني ما ليس لك به علم اني اعظك ان تكون من الجاهلين حتى روي في بعض الاخبار
انه لم يرفع رأسه الى السماء حياء من الله اربعين سنة ثم ابراهيم خليل الله لم يكن منه
الا هفوة واحدة فكم خاف وتضرع وقال والذي اطمع ان يغفر لي خطيئتي يوم
الدين حتى روي انه كان يبكي من شدة الخوف فيرسل الله اليه جبرائيل عليه الصلوة
والسلام فيقول يا ابراهيم هل رأيت خليلا يعذب خليله بالنار فيقول يا جبرائيل
اذا ذكرت خطيئتي نسيت خلته ثم ان موسى بن عمران عليه السلام لم يكن منه الا لطمة
من حنق فكم خاف وتضرع واستغفر وقال رب اني ظلمت نفسي فاغفر لي ثم في
زمانه بلعم بن باعورا كان بحيث لا ينظر الا الى العرش وهو المعني بقوله تعالى
واتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها فاتبعه الشيطان او لم تعلم انه واحدة
ولم يكن [illegible] واحدة حال الى الدنيا واهلها [illegible] وليا من اوليائه
حرمة واحدة سلبه معرفته وجعله بمنزلة الكلب [illegible] فمثله كمثل الكلب فادخله
في بحر الضلال والهلاك الى الابد حتى يحدث بعض العلماء يقول انه كان في اول امره [illegible]

في مجلسه اثني عشر الف محبرة للمتعلمين الذين يكتبون عنه ثم صار بحيث كان
اول من صنف كتابا وذكر فيه ان ليس للعالم صانع نعوذ بالله
من سخطه وعذابه الاليم وقطع هذا لانه الذي لا طاقة لنا به فانظر حب الدنيا
وشومها ماذا يجلب للعامة والخاصة فتنبه فان الامر خطير والعمر قصير
وفي العمل تقصير والناقد بصير فان ختم الله بالخير اعمالنا والا فالويل لنا [illegible] فاذكر
عليه بعشر ثم ان داود عليه السلام خليفته في ارضه اذنب ذنبا واحدا فبكا
على ذلك حتى نبت العشب في الارض من دموعه وقال الهي اما ترحم بكائي وتضرعي
فاجيب يا داود نسيت ذنبك وذكرت بكاءك ولم تقبل توبته اربعين سنة ثم
يونس عليه السلام غضب غضبة واحدة في غير موضعها فسجن في بطن الحوت
تحت ظلم البحار اربعين يوما وهو ينادي لا اله الا انت سبحانك اني كنت من الظالمين
وسمعت الملائكة صوته فقالوا الهنا وسيدنا صوت معروف في موضع مجهول
قال الله تعالى ذلك عبدي يونس فشفعت فيه الملائكة ثم مع ذلك لا يعتبر
اسمه فقال وذا النون فنسبه الى سجنه ثم قال فالتقمه الحوت وهو مليم
فلولا انه كان من المسبحين للبث في بطنه الى يوم يبعثون ثم ذكر نعمته ومنته
فقال لولا ان تداركه نعمة من ربه لنبذ بالعراء وهو مذموم فانظر الى هذه
السياسة ايها المسكين وكذلك هلم جرا الى سيد المرسلين اليوم خليقته صلى الله عليه
وسلم بقوله فاستقم كما امرت ومن تاب معك ولا تطغوا انه بما تعملون بصير

حتى كان صلى الله عليه وسلم يقول شيبتني سورة هود واخواتها قيل يعني هذه
الاية واشباهها من القران وقال واستغفر لذنبك الى ان من عليه بالغفران
فقال ووضعنا عنك وزرك الذي انقض ظهرك وقال ليغفر لك الله ما تقدم
من ذنبك وما تاخر وكان بعد ذلك صلى الله عليه وسلم يصلي الليل حتى تورمت
قدماه فيقولون اتفعل هذا يا رسول الله وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك
وما تاخر فيقول افلا اكون عبدا شكورا وكان صلى الله عليه وسلم يقول
لو ان وعيسى اخذنا بما كسبت هاتان لعذبنا عذابا لم يعذبه احدا من
العالمين وكان يصلي الليل ويبكي ويقول اعوذ بعفوك من عقابك وبرضاك
من سخطك واعوذ بك منك لا احصي ثناء عليك انت كما اثنيت على نفسك ثم
الصحابة رضي الله عنهم اجمعين الذين هم خير قرون من خير الامة كان يبدو
منهم شيء من المزاح فنزل قوله الم يان للذين امنوا ان تخشع قلوبهم لذكر الله
بلعم باعورا كان بحيث يرى العرش وهو المعني بقوله تعالى واتل عليهم نبا الذي
اتيناه اياتنا فانسلخ منها فاتبعه الشيطان ولم [illegible] واحتج مال الى الدنيا
واهلها ميلة واحدة وترك لوط من اوليائه حرمة واحدة فسلبه معرفته
وجعله مثل الكلب المطرود فقال فمثله كمثل الكلب فاوقعه في بحر الضلال
والبلاء [illegible] الاية ثم وضع في هذه الامة مع كونها [illegible] الحدود والسياسات
العظيمة والاداب حتى كان يونس عليه السلام يقول [illegible] من وقع في [illegible]
بن عبيد

خير عضو منكم ان تكون عزابه هكذا اغرانسال الله تعالى الكريم الرحيم سبحانه
ان لا يعاملنا الا بمحض كرمه انه ارحم الراحمين واما جانب الرجاء فحدث
عن رحمة الله تعالى الواسعة ولا حرج ومن الذي يعرف غايتها او يحسن
وصفها فانه الذي يهب كفر سبعين سنة بايمان ساعة قال تعالى قل للذين
كفروا ان ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف الا اما ترى في امر سحرة فرعون
الذين جاؤا لحربه وحلفوا بعزة فرعون فقالوا الآن امنا عن صدق القلوب
كيف قبلهم ووهب لهم جميع ما سلف ثم كيف جعلهم روس الشهداء في الجنة ابد
الآبدين فهذا مع من عرفه ووصل ساعة بعد كل ذلك الكفر والسحر والضلال و
الف ذلك حال من الفني في توحيده عمره لا يرى لذلك كلا هلاك الدارين عنه اما ترى
اصحاب الكهف وما كانوا عليه من الكهف طول اعمارهم الا قالوا ربنا رب السموات والارض
والتجوا اليه كيف قبلهم ثم اعزهم واكرمهم فقال ونقلبهم ذات اليمين وذات الشمال
وكيف اعطاهم الله الحرمة والبسهم الهيبة والحشمة حتى يقول الاكرم الخلق صلى الله عليه وسلم لو اطلعت عليهم
لوليت منهم فرارا ولملئت منهم رعبا بل كيف اكرم كلبا تبعهم حتى ذكره في كتابه
العزيز مرات ثم جعل معهم في الدنيا محبوبا ويدخله الجنة في الآخرة مكرما فهذا فضله
مع كلب خطى خطوات مع قوم عرفوه ووصلوه اياما معدودة من غير عبادة
او خدمة فكيف فضله مع عبده المؤمن الذي خدمه ووحده سبعين سنة
ولو عاش سبعين الف سنة كان قاصدا للعبودية الصحيحة كيف عاتب الله ابراهيم

في دعائه على المجرمين بالهلاك وكيف عاتب موسى في امر قارون فقال استغاث بك
بك قارون فلم تغثه وعزتي وجلالي لو استغاث بي لاغثته وعفوت عنه وكيف
عاتب يونس في شان قومه بانك تحزن على شجرة يقطين انبتها في ساعة وايبستها
في ساعة ولا تحزن على مائة الف او يزيدون ثم كيف قبل عذرهم وصرف عذابه
العظيم عنهم بعد ما اظلهم ثم كيف عاتب سيد المرسلين فيما روي انه دخل من باب
بني شيبة فراى قوما يضحكون فقال لم تضحكون الا اراكم يضحكون اذا كان
عند الحجر الاسود رجع اليهم القهقرى فقال جاءني جبرائيل عليه الصلوة والسلام فقال
يا محمد ان الله تعالى يقول لك لم تقنط عبادي من رحمتي نبئ عبادي اني انا
الغفور الرحيم وهذا رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الله تعالى ارحم لعباده
المؤمن من الوالدة الشفيقة بولدها ومنه الخبر المشهور عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم ان الله تعالى مائة رحمة كل رحمة طباق السموات والارض فقسم
قسمها بين الجن والانس والبهائم فبها يتعاطفون وبها يتراحمون واخر
منها تسعة وتسعين عنده لنفسه يرحم بها عباده يوم القيامة وان قد اعطاكم
من الرحمة الواحدة كل هذه العطايا الكريمة العزيزة من معرفته سبحانه
والكون من هذه الامة المرحومة ثم معرفة السنة والجماعة الى سائر ما لذلك
من النعم الظاهرة والباطنة فنرجو من فضله العظيم بعد ذلك فان من بدأ
بالاحسان فعليه الاتمام ويجعل لكم من تسعة وتسعين رحمة لكم الحظ الوافر ان شاء الله تعالى

ان لا يخيب آمالنا في فضله العظيم انه السيد الكريم الجواد الرحيم وبه نستعين واما
الاصل الثالث في ذكر ما وعد واوعد في المعاد فلنذكر في ذلك
الاحوال الخمسة الموت والقبر والقيمة والجنة والنار وجاء في كل مقام منها من الخطر
للمطيعين والعاصين والمقصرين والمجتهدين فاما الموت فاذكر فيه حال
رجلين احدهما ما روي عن ابن شبرمة رضي الله عنه انه قال دخلت مع الشعبي
على مريض نعوده وهو لما به وعنده رجل يلقنه لا اله الا الله فقال الشعبي
ارفق به فتكلم المريض فقال تلقني او لا تلقني ثم قرأ والزمهم كلمة التقوى
وكانوا احق بها واهلها فقال الشعبي الحمد لله نجا صاحبنا والآخر ما حكي
ان تلميذا للفضيل بن عياض حضرته الوفاة فدخل عليه فضيل وجلس
عند راسه وقرأ سورة يس فقال يا استاذ لا تقرأ هذه ثم سكت ثم لقنه
فقال قل لا اله الا الله فقال لا اقولها لاني منها بريء ومات على ذلك ودخل
الفضيل منزله وجعل يبكي اربعين يوما لم يخرج من البيت ثم رآه في النوم
وهو يسحب به الى جهنم فقال له باي شيء نزع الله المعرفة عنك وكنت اعلم
تلاميذي فقال بثلثة اشياء اولها بالنميمة فاني قلت باصحابي بخلاف ما قلت
لك والثاني بالحسد حسدت اصحابي والثالث كان بي علة فجئت الى الطبيب فسألته
عنها فقال تشرب في كل سنة قدحا من الخمر فان لم تفعل بقيت بك العلة فكنت
اشربه نعوذ بالله من سخطه الذي لا طاقة لنا به ثم اذكر حال رجلين احدهما

ما روي عن عبد الله بن مبارك رحمه الله لما احتضر نظر الى السماء فضحك وقال
لمثل هذا فليعمل العاملون وسمعت امام الحرمين رضي الله عنه حكى عن
استاذ ابي بكر رحمه الله انه قال كان لي صاحب ايام التعليم وكان مبتذله
كثير الجهد في التعليم تقيا متعبدا وكان لا يحصل له مع الاجتهاد الا القليل
وكنا نتعجب من حاله فمرض فلزم مكانه بين الاولياء في الرباط ولم يدخل
البيت المرضى وكان يجتهد مع مرضه فاشتدت به الحال وانا تجاهه فبينما
هو شخص ببصره الى السماء ثم قال يا ابن فورك لمثل هذا فليعمل العا
ملون وتوفي عند ذلك رحمه الله واما الآخر فنحو ما روي عن مالك بن دينار
انه دخل على جار له وهو احتضر فقال له يا مالك جبلان من نار بين يدي
اكلف الصعود عليهما فسألت اهله فقالوا كان له مكيالان يكيل باحدهما
ويكتال بالآخر فدعوت بهما فضربت احدهما بالآخر كسرتهما ثم سألت
الرجل فقال ما يزداد الامر علي الا عظما واما القبر والحال بعد الموت فاذكر
فيه حال رجلين احدهما ما ذكر عن بعض الصالحين قال رأيت سفيان الثوري
رحمه الله في النوم بعد موته فقلت كيف حالك يا ابا عبد الله فاعرض عني وقال ليس
هذا زمان الكنى فقلت كيف حالك يا سفيان فانشأ يقول نظرت الى ربي
عيانا فقال لي هنيئا رضائي عنك يا ابن سعيد فقد كنت قواما اذا الليل قد
دجا بعبرة مشتاق وقلب عميد فدونك فاختر اي قصر تريد وزرني

فاني عنك غير بعيد والوجه الثاني ما روي ان بعضهم رأى في المنام
شاحب اللون مغلولة يده الى عنقه فقيل له ما فعل الله بك فانشأ
يقول تولى زمان لعبنا به وهذا زمان بنا يلعب وحال آخر ان احدها
ما روي عن بعض الصالحين قال كان لي ابن استشهد فلم اره في المنام الا
ليلة توفي فيها عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه فتراءى لي تلك الليلة فقلت
يا بني الم تك ميتا فقال لا ولكني استشهدت وانا حي عند الله تعالى ارزق فقلت
فقلت ما جاء بك قال نودي في اهل السماء ان لا يبقى نبي ولا صديق ولا شهيد
الا ويحضر الصلوة على عمر بن عبد العزيز فجئت لاشهد الصلوة عليه ثم جئت
لاسلم عليكم واما الآخر فما روي عن هشام بن حسان انه قال مات ابن
حدث فرأيته في النوم فاذا هو اشيب فقلت له يا بني ما هذا الشيب فقال
لما قدم علينا فلان زفرت جهنم زفرة وهو زفرة لم يبق منا احد الا شاب
نعوذ بالله العظيم من عذابه الاليم واما القيمة فتأمل قول الله تعالى
يوم نحشر المتقين الى الرحمن وفدا ونسوق المجرمين الى جهنم وردا فالمؤمن
يخرج من قبره فاذا البراق على راس القبر والتاج والحلل فيلبس ويركب
الى جنات النعيم لا يخلو من عز ان يمشي الى الجنة برجله واحترز من
بالقربانية والاعمال [illegible] وانكالا الحلوى الشقي انه يمشي برجله الى النار بل
يسحب على وجهه الى سواء الجحيم نعوذ بالله من سخطه ولقد سمعت بعض العلماء

يروى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال اذا كان يوم القيمة يخرج قوم من
قبورهم لهم نجب يركبونها باجنحة خضر فتطير بهم في عرصات
القيامة حتى اتوا على حيطان الجنة فاذا رأتهم الملائكة قال بعضهم لبعض
من هؤلاء فيقولون ما ندري لعلهم من امة محمد صلى الله عليه وسلم
فيأتيهم بعض الملائكة فيقولون من انتم ومن اي الامم انتم فيقولون
نحن من امة محمد صلى الله عليه وسلم فيقول الملائكة هل حوسبتم فيقولون
لا فيقولون هل وزنتم فيقولون لا فيقولون هل قرأتم كتبكم
فيقولون لا فيقول الملائكة ارجعوا فمن ذلك وراءكم فيقولون هل
اعطيتمونا شيئا فنحاسب عليه وفي خبر آخر ما ملكنا شيئا فنعدل او نجور
ولكنا عبدنا ربنا حتى دعانا فاجبناه فينادي مناد صدق عبادي ما على
المحسنين من سبيل والله غفور رحيم اما تسمع قوله افمن يلقى في النار خير
امن يأتي آمنا يوم القيمة فاعظم بمن يشاهد تلك الاحوال والزلازل والوقايع
وهو آمن لا يدخل قلبه فزع ولا يكون على قلبه ثقل نسأل الله ان يجعلنا واياكم
اولئك السعداء وما ذلك على الله جل جلاله بعزيز واما الجنة
والنار فتأمل فيها آيتين من كتاب الله عز وجل احدهما قوله تعالى وسقاهم
ربهم شرابا طهورا ان هذا كان لكم جزاء وكان سعيكم مشكورا [illegible]
ربنا اخرجنا منها فان عدنا فانا ظالمون قال اخسئوا فيها ولا تكلمون

ويرون انهم يصبرون عند ذلك كلا بل يتعاوون في النار نعوذ بالله الرؤوف
الرحيم من عذابه الاليم فان الامر كما قال يحيى بن معاذ رضي الله عنه لا ندري اي
المصيبتين اعظم فوت الجنان ام دخول النيران اما الجنة فلا صبر عنها
واما النار فلا صبر عليها وعلى كل حال ففوت الجنان النعيم ايسر من
مقاساة الجحيم ثم الطامة الكبرى والمصيبة العظمى هي الخلود اذ لو كان على
حال منقطعا لكان الامر هينا ولكن الشان في ابد بلا آخر فاي قلب يحتمل ذلك
واي نفس تصبر على ذلك ولذلك قال عيسى صلوات الله عليه ذكر الخالدين
يقطع قلوب الخائفين وذكر عن الحسن ان آخر من يخرج من النار يقال له
هناد عذب الف عام ينادي يا حنان يا منان فبكى الحسن وقال ليتني كنت
هنادا فتعجبوا منه فقال ويحكم أليس يوما يخرج قلت فمرجع الامر كله لذلك الى اصل الحد
وهي النكتة التي تقصم الظهور وتصفر الوجوه وتقطع القلوب وتذيب الاكباد
وتدمي العيون من العباد وهي خوف نزع المعرفة فهذه الغاية التي تنتهي
اليها خوف الخائفين ويبكي عليها اعين الباكين ولقد قال بعضهم ان الغموم ثلثة
غم الطاعة ان لا تقبل وغم المعاصي ان لا تغفر وغم المعرفة وكل غم دونه جلل
اذ له انقضاء ولقد بلغنا عن يوسف بن اسباط رحمه الله انه قال دخلت
على سفيان فبكى ليلة اجمع فقلت بكاؤك هذا على الذنوب فحمل تبنا وقال الذنوب
اهون على الله من هذا اني اخشى ان يسلبني الله الاسلام نسال الله المنان

سبحانه ان لا يبتلينا بمصيبته وان يتم علينا بفضله كبير نعمته وان يتوفانا
على ملة الاسلام انه ارحم الراحمين وقد ذكرنا سبب سوء الخاتمة ومعناها
في كتاب احياء علوم الدين فتأمله هناك فان الخوض فيه هاهنا خروج الى
الاكثار فتأمل هذه الجملة فان التفصيل اكثر من ان ياتي عليه الوصف
والذكر لعلك تفلح ان شاء الله تعالى بعون الله وحسن توفيقه فان قلت
فاي الطريقين ايسلك طريق الخوف ام طريق الرجا يقال لك بل المركب بينهما
فلقد قيل من غلب عليه الرجا صار مرجيا بل ربما خاف ان يصير [illegible]
ومن غلب عليه الخوف صار حروريا والمراد ان لا ينفرد باحدهما دون الآخر
فان بالحقيقة الرجا الحقيقي لا ينفك عن الخوف الحقيقي ولذلك قيل الرجاء كله
لاهل الخوف لا الآمن والخوف كله لاهل الرجا لا اليائس فان قلت فهل يكون احدهما
ارجح و[illegible] فاعلم ان العبد اذا كان قويا صحيحا فالخوف اولى به واذا مرض
وضعف لاستيلاء الشوق على الآخرة فان الرجا اولى كذا سمعت العلما يقولون
قلت وذلك لحكمة ما روي ان الله تعالى يقول انا عند المنكسرة قلوبهم من مخافتي
فيصير رجاؤه اوسع في ذلك الوقت لانكسار قلبه وخوفه المتقدم زمان الصحة
والقوة والامكان ولذلك يقال لهم الا تخافوا ولا تحزنوا فان قلت اليس قد جاءت
الاخبار الكثيرة في حسن الظن بالله تعالى [illegible] والخوف من عقابه [illegible]
[illegible] وجهها في خدمته واعلم ان هاهنا اصلا اصيلا ونكتة [illegible] يغلط فيها الكثير من [illegible]

وهو ان الفرق بين الرجاء والامنية ان الرجاء يكون على اصل والتمني لا يكون على اصل
مثاله من زرع واجتهد وجمع بيذرا ثم يقول ارجو ان يحصل لي منه مائة قفيز فذلك
منه الرجاء والآخر لا يزرع زرعا ولا يعمل يوما فذهب ونام واغفل سنة فاذا جاء
وقت البيادر يقول ارجو ان يحصل لي مائة قفيز فيقول له من اين لك هذا الرجاء
وانما ذلك امنية بلا اصل فكذلك العبد اذا اجتهد في عبادة الله تعالى وانتهى عن معصية
الله سبحانه يقول ارجو ان يتقبل الله هذا اليسير ويتم هذا التقصير ويعظم الثواب ويعفو
عن الزلل واحسن الظن فهذا منه رجاء واما اذا اغفل وترك الطاعات وارتكب المعاصي
ولم يبال بسخط الله ورضاه ووعده ووعيده ثم اخذ يقول انا ارجو من الله الجنة
والنجاة من النار فذلك منه امنية لا حاصل تحتها سماها رجاء وحسن ظن وذلك
خطاء وضلال قلت ومما يبين هذا الاصل ما دون عن النبي صلى الله عليه وسلم
الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت والعاجز من اتبع نفسه هواها وتمنى
على الله عز وجل ومنه ذلك يقول الحسن البصري رحمه الله ان اقواما الهتهم اماني المغفرة
حتى خرجوا من الدنيا وليست لهم حسنة يقول انا احسن الظن بربي وكذب لو احسن
الظن بربه لاحسن العمل له ثم تلا قوله تعالى وذلكم ظنكم الذي ظننتم بربكم ارداكم
فاصبحتم من الخاسرين وعن جعفر الضبعي قال رأيت ابا مسرة العابد وقد
بدت اضلاعه من الاجتهاد فقلت يرحمك الله ان رحمة الله واسعة فغضب
وقال رأيت مني ما يدل على القنوط ان رحمة الله قريب من المحسنين قال جعفر
هل

فابكاني قوله فاذا كان الرسل والابدال والاولياء مع كل هذا الاجتهاد
في الطاعة والحذر عن المعصية فاي شيء تقول اما كان لهم حسن الظن بالله
بلى فانهم كانوا اعلم بسعة رحمة الله تعالى واحسن ظنا بجود الله منك ولكن
علموا ان ذلك دون الاجتهاد امنية وغرور فاعتبر بهذه النكتة وتامل
حالهم وانتبه من رقدتك والله ولي التوفيق فصل وجملة الامر
انك اذا تذكرت سعة رحمة الله تعالى التي سبقت غضبه ووسعت
كل شيء ثم كنت من هذه الامة المرحومة الكريمة على الله تعالى ثم غاية فضله
العظيم وكمال جوده القديم وجعل عنوان كتابه اليك بسم الله الرحمن
الرحيم ثم كثرة اياديه اليك ونعمه عليك ظاهرة وباطنة من غير شفيع او قدم
سابقة لك وتذكرت من جانب آخر كمال جلاله وعظمته وعظم سلطانه
وهيبته ثم شدة غضبه الذي لا تقوم له السموات والارض ثم غاية
غفلتك وكثرة ذنوبك وجفوتك مع دقة امره وخطر معاملته في احاطة
علمه وبصيرته بالعيوب والغيوب ثم حسن وعده وثوابه التي لا يبلغ
نهايته الاوهام وشدة وعيده واليم عقابه الذي لا تحتمله القلوب
تارة تنظر الى فضله وتارة تنظر الى عدله وتارة
تنظر الى رحمته ورأفته وطورا تنظر الى نفسك في جفواتها وجناياتها
ادى ذلك جميع ذلك الى الخوف والرجاء وكنت قد سلكت السبيل القاصد

القصد وعدلت عن الجانبين المهلكين الامن واليأس ولا تتيه فيهما فهم
مع التائهين ولا تهلك مع الهالكين وبشوب الشراب الممزوج العدل فلا تهلك
ببرودة الرجاء الصرف او بحرارة الخوف الصرف فكانك قد وصلت الى
المقصود غانما وشفيت من العلتين سالما ووجدت النفس قد انبعثت
للطاعة ودابت في الخدمة ليلا ونهارا من غير فترة ولا غفلة واجتنبت
المعاصي والمخازي وهجرتها بمرة كما قال نوف ان نوفا اذا ذكر الجنة طال شوقه
واذا ذكر النار طار نومه وصرت حينئذ من الاصفياء الخواص العابدين
الذين وصفهم الله تعالى بقوله انهم كانوا يسارعون في الخيرات ويدعوننا
رغبا ورهبا وكانوا لنا خاشعين وكنت قد خلفت هذه العقبة الخطيرة
باذن الله تعالى جل جلاله وحسن توفيقه فكم لك من حلاوة وصفوة في
الدنيا وكم لك من ذخر كريم واجر عظيم في العقبى والله سبحانه المسؤول ان
يمدك وايانا بحسن توفيقه وتسديده انه ارحم الراحمين واجود
الاجودين ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم **العقبة السادسة**
وهي عقبة القوادح ثم عليك يا اخي ايدك الله تعالى وايانا بحسن توفيقه
بعد ما استبان لك السبيل واستقام لك المسير بتيسيره شغلك وصيانته عما
يفسده ويضيعه عملك وانما ذلك باقامة الاخلاص وذكر المنة والاجتناب
عن فتنة لا تحد [illegible] فيعلم من الفايدة وحسن القبول [illegible]

تعالى وهو فوز الثواب عليه والا فيكون مردودا اذا ذهب الثواب
كلا او بعضا على ما ذكر في الحديث المشهور عن النبي صلى الله عليه وسلم ان الله
تعالى يقول انا اغنى الاغنياء عن الشرك من عمل عملا فاشرك فيه غيري
فنصيبي له فاني لا اقبل الا ما كان لي خالصا وقيل ان الله تعالى يقول للعبد
يوم القيمة اذا التمس ثواب عمله الم توسع لك في المجالس الم تكن الرئيس في
الدنيا الم يرخص بيعك وشراؤك الم تكرم [illegible] ونحو هذا من الخطر
والتقدير قلت ومن خطر الرياء فضيحتان وعقوبتان اما الفضيحتان
فاحدهما فضيحة السر وهي اليوم على رؤوس الملائكة وذلك لما روي ان الملائكة
تصعد بعمل العبد مبتهجين فيقول الله تعالى ردوه الى سجين فانه لم
يردني به فيفتضح ذلك العمل والعبد والثانية فضيحة العلانية وهي يوم
القيامة على رؤوس الخلائق روي عن النبي صلى الله عليه وسلم ان المرائي
ينادى يوم القيامة باربعة اسماء يا كافر يا غادر يا فاجر يا خاسر ضل
سعيك وبطل اجرك ولا خلاق لك التمس الاجر ممن كنت تعمل له يا مخادع وروي انه ينادي
مناد يوم القيامة يسمع الخلائق اين الذين كانوا يعبدون الناس قوموا
خذوا اجوركم ممن عملتم له فاني لا اقبل من العمل الا ما خلص لي واما العقوبتان
فاحدهما فوت الجنة وذلك ما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم ان الجنة تكلمت وقالت
انا حرام على كل بخيل ومرائي والخبر [illegible]

وهو قوله لا اله الا الله محمد رسول الله وهذا المراد من يرائي فانه رياء
وهو المنافق الذي يرائي بايمانه وتوحيده وفي هذا القول ترجيح والثاني
انه حين لم ينته عن البخل والرياء ولم يجب براءة نفسه ففيه خطر ان يلحقه شوم
ذلك فيقع في الكفر فيقولونه الجنة راسا والعياذ بالله والمصيبة الثانية دخول
النار وذلك لما روى ابو هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم ان اول من
يدعى يوم القيامة رجل قد جمع القرآن ورجل قاتل في سبيل الله ورجل كثير المال فيقول
الله تعالى للقارئ الم اعلمك ما انزلت على رسولي فيقول بلى يا رب فيقول ما عملت فيما علمت
فيقول يا رب قمت به اناء الليل واطراف النهار فيقول الله كذبت ويقول الملائكة كذبت ويقول
الله تعالى بل اردت ان يقال فلان قارئ وقد قيل ذلك ويؤتى بصاحب المال فيقول
الم اوسع عليك حتى لم ادعك تحتاج الى احد فيقول بلى يا رب فيقول فما عملت فيما
آتيتك فيقول كنت اصل الرحم واتصدق فيقول الله كذبت وتقول الملائكة كذبت
فيقول الله بل اردت ان يقال فلان جواد وقد قيل ذلك ويؤتى بالذي قتل في سبيل الله
فيقول ما فعلت فيقول يا رب امرت بالجهاد في سبيلك فقاتلت حتى قتلت فيقول الله
كذبت وتقول الملائكة كذبت فيقول الله بل اردت ان يقال فلان جريء فقد قيل ذلك قال
ثم ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم على ركبتي ثم قال يا ابا هريرة اولئك اول خلق الله تسعر
بهم جهنم وعن ابن عباس رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم ان النار
واهلها يعجون من اهل الرياء قيل يا رسول الله وكيف تعج النار قال من حر النار التي يعذبون

بها وفي هذه الفضائح بلاغ لذوي الالباب واولي البصائر والله سبحانه ولي الهداية
بفضله فان قلت فاخبرني عن حقيقة الاخلاص والرياء وحكمهما وتاثيرهما في العمل فاعلم
ان الاخلاص عند علمائنا اخلاصان اخلاص العمل واخلاص طلب الاجر فاما اخلاص العمل فهو
ارادة التقرب الى الله عز وجل وتعظيم امره واجابة دعوته والباعث عليه الاعتقاد
الصحيح وضد هذا الاخلاص النفاق وهو التقرب الى من دون الله سبحانه وقال
شيخنا رحمه الله النفاق هو الاعتقاد الفاسد الذي هو لاننا في شيء من الله عز وجل وليس
هو من قبيل الارادة لعلة ذكرناها في موضعها واما الاخلاص في طلب الاجر فهو ارادة نفع
الاخرة بعمل الخير وكان شيخنا رحمه الله يقول انما ارادة نفع الاخرة لم يكن اخلاصا
يستعد به بل الخبث نتيجة تلك المنفعة وقد شرحنا هذه الشرائط وقال
الحواريون لعيسى بن مريم عليه الصلاة والسلام من الخالص من الاعمال قال الذي
يعمل لله لا يحب ان يحمده عليه احد هذا التعرض لترك الدنيا وانما خصه بالذكر لانه اقوى
الاسباب المشوشة للاخلاص قال الجنيد الاخلاص تصفية الاعمال من الكدورات وقال
الفضيل دوام المراقبة ونسيان الحظوظ كلها هذا هو البيان الكامل واقاويل في هذا
كثيرة لا فائدة في تكثير النقل بعد انكشاف الحقيقة وقد قال سيد المرسلين صلى الله
عليه وسلم لما سئل عن الاخلاص فقال تقول ربي الله ثم تستقيم كما امرت وهذا
اشارة الى قطع ما سوى الله عن مجرى النظر وهو الاخلاص حقا وحقيقة الاخلاص
وهو ارادة نفع الدنيا بعمل الاخرة ثم الرياء ضربان ... اخلاط فالمحض ان تريد
نفع الدنيا

النية والارادة والقصد عبارات متوالية على معنى واحد

ان لا تعبد هواك ونفسك
ولا تعبد الا ربك وتستقيم
في عبادتك كما امرت

واخلاص طلب الاجر الذي جعله مقبولا وافق الاجر
والتعظيم والنفاق يحبط العمل ويخرجه عن كونه قربة

لا غير والتخليط ان تريدهما جميعا نفع الدنيا ونفع الآخرة وهذا احدهما واما تاثيرها
فان اخلاص العمل الذي يجعل الفعل قربة مستحقا عليه الثواب بالوعد من الله تعالى
فالريا المحض يكون من العارف عند بعض العلما، وان كان ابطل نصف الثواب
وعند آخرين من العلما فقد يكون الريا المحض من العارف لا يذهب بنصف
الاضعاف والتخليط يذهب برد الاضعاف والصحيح عند شيخنا رحمه الله ان الريا
المحض لا يكون من العارف مع تذكر الآخرة ويكون مع السهو والمختار انه من تاثير الريا
رفع القبول والنقصان في الثواب وان لا تقدير له بنصف ولا ربع وشرح هذه المسائل
يطول وقد شرحنا في كتاب الاحيا شرحا مستقصا واشبعنا القول في اسرار
معاملات الدين فان قلت فما معنى الاخلاص وفي اية طاعة يقع ويجب فاعلم ان الاعمال
عند بعض العلما ثلثة اقسام قسم يقع فيه الاخلاصان جميعا وهو العبادات الظاهرة
الاصلية وقسم لا يقع فيه شي منهما وهو الاعمال الباطنة لا الاصلية وقسم يقع فيه اخلاص
طلب الاجر دون اخلاص العمل وهو المباحات الماخوذة للعقبى قال شيخنا رحمه الله
ان كل عمل يحتمل الصرف الى غير الله من العبادات الاصلية يقع فيه اخلاص العمل والعبادات
الباطنة الثمرة لها تقع فيها اخلاص العمل واما اخلاص طلب الاجر فقالت مشايخ الكرامية
لا تقع في العبادات الباطنة اذ لا يطلع عليها احد الا الله فامتنع منها دواعي الريا
فلم يحتج الى اخلاص طلبه جزوها شيخنا رحمه الله يقول ان العبد المتقرب من الله
بالعبادات الباطنة نفع الدنيا فهو ايضا ريا قال انا فلا يبعد اذا اذ يقع في كثير

من العبادات الباطنة الاخلاصان واما النوافل فيجب فيها الاخلاصان جميعا
عند الشروع واما المباحات الماخوذة للعقبى يقع فيها اخلاص طلب الاجر دون اخلاص
العمل لانه لا يصلح ان يكون بنفسها قربة بل مع عزم على القربة فان قلت هذا موضعها فبين
لنا وقتها من العمل فاعلم ان اخلاص العمل مع الفعل يقارنه لا محالة ولا يتاخر عنه واما
اخلاص طلب الاجر فربما يتاخر عنه وعند بعض العلما تعتبر فيه وقت الفراغ
من العمل فاذا فرغ على اخلاص من العمل ومن ريا فقد انقضى الامر ولا يمكنه استدراكه
بعد وعند عبادكم من مشايخ الكرامية ما لم يكن المنفعة المطلوبة بالريا يمكنه
اقامة الاخلاص في ذكر العمل فاذا نال المطلوب فقد فات وقال بعض العلما ان الوقت يبقى
اقامة الاخلاص فيهما الى الموت واما النوافل فلا سبيل الى خلل فيها فهل والفرق
بينهما ان الله تعالى لا خطر للعبد في الفريضة فما مول منه التيسير والتفضل
فيها واما النفل فالعبد الذي لا خطر فيه نفسه وتطلقه فهو طالب بحق جاز التطلق فلت
وعن هذه المسئلة فائدة وهي ان من يسبق منه الريا او ترك الاخلاص في عمل من
فيمكنه استدراك ذلك وتلافيه على اصل الوجوه التي ذكرناه والمقصود من نقل
مذاهب الناس في هذه الدقائق علمنا الآن بقلة العاملين وقلة الرغبة بسلوك
هذه الطرق والتقريب على المبتدي في العبادة فان لم يجد الحلاوة دوا في هذا
وجد في الآخر اختلاف الاغراض وعلل الاعمال وانا نهايتها فهم ان شا الله
فان قلت الكل عمل يحتاج الى اخلاص مفرد فاعلم ان ما اختلف في ذلك فقيل انه يجب

لكل عمل اخلاص مفرد وقيل يجوز تناول اخلاص لجملة من العبادات فاما العمل
ذو الاركان كالوضوء والصلوة والصيام فيكفيها اخلاص واحد لان بعضها
متعلق ببعض صلاحا وفسادا فصارت كشيء واحد فان قلت ان اراد بعمله
الخير وجه الله تعالى ولا يريد من الناس شيئا من مدحة او تعظيم او منفعة
ايكون ذلك ريا فاعلم انه ذلك محض الريا قال علماؤنا رحمهم الله الاعتبار في
الريا بالمراد لا بالذي تريد منه فان كان مرادك من عمل الخير نفعا دنيويا فانه
ريا سواء اردته من الله تعالى او من الناس قال الله تعالى من كان يريد حرث
الاخرة نزد له في حرثه ومن كان يريد حرث الدنيا نؤته منها وما له في الاخرة من
نصيب فليس الاعتبار بلفظ الريا واشتقاقها من معنى الرؤية وانما سميت
هذه الارادة الفاسدة بهذا الاسم لانها اكثر ما تقع وتكون من قبل الناس
ورؤيتهم فافهم فان قلت اذا كان القصد في الدنيا التي تريدها من الله
تعالى التعفف عن الناس والقوة على عبادة الله تعالى ايكون ذلك ريا
فاعلم ان التعفف ليس بكثرة المال والجاه وانما هو بالقناعة والثقة
بكفاية الله واما القوة على عبادة الله فاذا كان مرادك ذلك فلا يكون ريا فلا لك
ما يتصل بامر الاخرة واسبابها ويصير لطفا لذلك فان اريد بعمل الخير
هذا النوع فلا تكون تلك الارادة ريا لان هذه الامور تصير بتلك النية خيرا وتصير
في حكم اعمال الاخرة والثواب ... ريا وكذلك ان اردت ان يكون لك تعظيم عند الناس

١١٧

او محبة عند المشايخ والائمة فيكون قصدك من ذلك التمكن عند الناس من تاييد
مذهب الحق والرد على اهل البدع والنشر للعلم وحث الناس على العبادة ونحو ذلك
دون ان تقصد بذلك شرف نفسك من حيث هي او دنيا تنالها فان هذه كلها ارادة
سليمة ونيات محمودة لا يدخل شيء منها في باب الريا اذ المقصود منها امر الاخرة
بالحقيقة واعلم اني سالت بعض مشايخنا عما يعتاده اولياؤنا من قراءة سورة
الواقعة في ايام العسرة اليس المراد بذلك ان يدفع الله تعالى تلك الشدة عنهم
ويوسع عليهم بشيء من الدنيا على ما جرت به العادة فكيف صح ارادة متاع الدنيا بعمل
الاخرة فقال في جوابه رحمه الله كلاما معناه ان المراد منهم ان يرزقهم الله تعالى قناعة
او قوتا تكون لهم عونا على عبادة الله تعالى وقوة على درس العلم وهذه من جملة
ارادة الخير دون الدنيا واعلم ان هذه السنة اعني قراءة السورة عند الشدة
في امر الرزق والخصاصة انما هي شيء وردت به الاخبار الماثورة عن النبي صلى
الله عليه وسلم وعن الصحابة رضي الله عنهم اجمعين حتى ان ابن مسعود حين عوتب في امر
ولده اذ لم يترك لهم الدنيا قال لقد خلفت لهم سورة الواقعة ومن ذلك الاصل في السنة
جرت هذه الخصلة في شيوخ علمائنا رحمهم الله والا فلا مبالاة بحمد الله بشيء في
امر الدنيا وسعتها وهم الذين يعتنون بضيق الدنيا وعسرها ويتفاخرون بذلك
فيما بينهم ويعدونه من الله سبحانه نعمة عظيمة ويخافون اذا بدا لهم سعة
من الدنيا التي لا يعدها اكثر الناس الا الضيق والمذمة ان لا يكون استدراجا من الله تعالى

ومصيبة كيف وبطانتهم الاستغاذ والطمع في عموم الاحوال ومقدمتهم يقولون
الجوع راس مالنا فهذا اوضح مذهب اهل التصوف وموضحي ومذهب
اشياخي وبذلك جرت سيرة سلفنا واما تقصير بعض المتاخرين فلا معتبر له
وانما ذكرنا هذا الفصل لئلا يتغير فيه مخالف جاهل منهم بمقاصد القوم في
امورهم او يغلط فيه مبتدئ سليم الصدر لم ياخذ من العلم حقه فيقول
كيف يليق هذا بحال اهل الزهد والحرص وارباب الصبر والرياضة ولم يعلم ان هذا
شيء ماخوذ من السنة ثم المقصود حصول القناعة والعفة عن اتباع الشهوة
والشهوة او الضعف عن احتمال الغصة والشدة والكرب … في عقيب
ذلك قناعة في القلب فقد طلب الجوع وضعفه وسلوه عن الطعام و[illegible]
ذلك حتى امتحنه فاعلم ان هذه الجملة موقف ان شاء الله تعالى القادح الثالث
العجب وانما يلزمك اجتنابه لامرين احدهما ان العجب يحجب عن التوفيق والتاييد من
الله تعالى فان المعجب مخذول واذا انقطع عن العبد التاييد والتوفيق فما
اسرع ما يهلك ولذلك قال صلى الله عليه وسلم ثلاث مهلكات شح مطاع وهوى
متبع واعجاب المرء بنفسه والثاني انه يفسد العمل الصالح ولذلك قال المسيح
صلوات الله عليه وسلامه وعلى نبينا يا معشر الحواريين كم من سراج قد اطفاه
الريح وكم من عابد قد افسده العجب ولما كان المقصود والغاية في العبادة هو حفظه
الخدمة بحرمة الصدق الخالي من غير فان حصل قليل من ذلك تفقد حينئذ ابقى

بيلغ شيء تحقق انه يحذر من ذلك ويحفظ والله ولي التوفيق والعصمة فان
قلت فما حقيقة العجب ومعناه وتاثيره وحكمه فبين لنا ذلك فاعلم
ان حقيقة العجب استعظام العمل الصالح بشيء دون غير الله تعالى وتفصيله عند علمائنا
رحمهم الله ذكر العبد حصول شرف العمل الصالح بشيء دون الله تعالى او النفس
قالوا وقد يكون العجب مثلثا بان يذكر ذلك من هذه الثلثة جميعا النفس والخلق
والشيء ومثنى بان يذكره من اثنين وموحدا بان يذكره من واحد وضد هذا العجب
ذكر المنة وهو ان يذكر انه بتوفيق الله وانه الذي شرفه وعظم ثوابه وقدره
فهذا الذكر فرض عنده واحمى العجب تعالى في سائر الاوقات واما تاثير العجب في العمل فقال
بعض العلماء ينتظر الحباط فان تاب قبل موته سلم والا حبط واليه ذهب
محمد بن صابر من شيوخ الكرامية والحباط عنده ان يذهب عن العمل جميع الاثار
الحسنة حتى لا يستحق بذلك ثوابا ولا مدحة البتة وفي قول غيره هو ذهاب لا
لا غير فان قلت كيف يلتبس على العبد العارف العاقل ان الله تعالى هو الذي
يوفق للعمل الصالح وعظم قدره وكثر ثوابه بفضله فاعلم ان ههنا نكتة لطيفة وهو موضع
شريف وهي ان الناس في العجب ثلثة اصناف صنف منهم معجبون بكل حال وهم
المعتزلة والقدرية الذين لا يرون لله عز وجل عليهم منة في اعمالهم في
العبودية والتوفيق الخاص واللطف وذلك لشبهة استولت عليهم وصنف
هم الذاكرون المنة بكل حال هم المستقيمون …

١٠٧

الا صوابها وتابيد خصوابه والصنف الثالث المخلطون وهم اهل
السنة تارة يتنبهون فيذكرون الله وتارة يغفلون فيعجبون وذلك لمكان
الغفلة العارضة والفترة في الاجتهاد والنقص في البصيرة فان قلت كيف حال
القدرية والمعتزلة في اعمالهم فاعلم ان في ذلك اختلافات فقيل انه يحبط لمكان
اعتقادهم وقيل لا يحبط عمل باعتقاد الجملة ومن منّ في الاسلام حتى يخص لك
عمل باعجاب كما لا اعتقاد اهل السنة لا ينفع في كل عمل حتى يخصه بذكر المنة فان قيل
هل سوى العجب والرياء من قادح في العمل قيل له اجل ان فيه لقوادح سواهما لكنا
خصصناهما بالذكر لانهما الاصل الذي يدور عليهما معظم الباب وقد قال بعض
المشايخ ان حق العبد ان يحفظ في العمل عن عشرة اشياء النفاق والرياء
والتخليط والمن والاذى والندامة والعجب والحسرة والتهاون وخوف ملامة الناس
ثم ذكر رحمه الله ضد كل خصلة منها واضدادها بالعمل فضد النفاق اخلاص في
العمل وضد الرياء اخلاص طلب الاجر وضد التخليط التفريد وضد المن تسليم العمل
لله وضد الاذى تحصين العمل وضد الندامة تثبيت النفس وضد العجب ذكر المنة
وضد الحسرة اغتنام الخير وضد التهاون تعظيم التوفيق وضد خوف الملامة
الخشية واعلم ان النفاق يحبط والرياء يوجب رد والمن والاذى يحبطان
الصدقة في الوقت وعند بعض المشايخ يبطلان اضعافها واما الندامة
فانها تحبط العمل [illegible] والعجب يذهب اضعاف العمل والحسرة

والتهاون وخوف الملامة ينقص العمل فيذهب زيادته قلت فالقبول والرد عند
اهل التحصيل يرجعان الى ضرب من التعظيم والاستخفاف والاحباط ابطال منافع
تكون بالفعل وبسببه ثم تارة يكون ابطال الثواب واخرى ابطال التضعيف والثواب
منفعة يقتضيها الفعل بعينه وفضل ربنا واحسانه والتضعيف ذلك
زيادة على مثلا والزيادة زيادة تحصل بسبب قرائن واحوال اخر كالاضافة الى احد
من اهل الخير ثم الى الوالدين ثم الى نبي من الانبياء فهو الذي يكون زيادة ولا يكون تضعيفا
فهذا تهذيب ما تحققت في هذه المعاني فافهم ذلك وبالله التوفيق فصل
فعليك بقطع هذه العقبة المخوفة ذات المقاطع والمتالف في غاية الحذر فان صاحب
بضاعة الطاعات قد قطع كل تلك العقبات وتحمل تلك المشقات حتى حصلت له بضاعة
من العبادات عظيمة شريفة فانه لا يخاف على بضاعته تلك الا في هذه العقبة
فان فيها مقاطع يحذر ان يسلب فيها بضاعته ومتالف يحذر ان يبيد ومنها
آفات يفسد عليه طاعته ثم اعظمها خطرا واعمها وقوعا في هذه المقطعات اللذان
منها الرياء والعجب فلنذكر في كل واحد منهما اصولا مقنعة تحوجها لكم لعلك تكفى
مؤنتهما باذن الله تعالى ان شاء الله اما الرياء فاذكر فيه اولا قول الله سبحانه وتعالى
الله الذي خلق سبع سموات ومن الارض مثلهن يتنزل الامر بينهن لتعلموا ان
الله على كل شيء قدير كان الله سبحانه يقول اني خلقت السموات والارض
لتعلم هذه الصنائع والبدائع والتعجب بنظرك [illegible] وانت تصلي

ركعتين مع ما فيها من المعايب والتقصير فلا تكتفي بنظر الكريم بعمل لك وثنائه
عليك وشكره لك حتى تحب ان يعلم الخلق ليحمدوك بذلك ايكون ذلك وفاء
عقلا برضاه احد لنفسه وهل الا قلة العقل والاصل الثالث ان من كان
له جوهر نفيس يمكنه ان ياخذ في ثمنه الف الف دينار فباعه بفلس اليس
يكون غبنا عظيما وغبنا فظيعا ودليلا بينا على خسة الهمة وقصور العلم
وضعف الرأي وقلة العقل فما يناله العبد بعمله من الخلق من مدح
وحطام بالاضافة الى رضا رب العالمين وشكره وثنائه وثوابه اقل من فلس
في جنب الف الف دينار بل في جنب الدنيا وما فيها واكثر واكبر الا يكون ذلك
من الخسران المبين ان تفوت نفسك تلك الكرامات العظيمة الشريفة
بهذه الامور الحقيرة الدنية ثم ان كان لابد لك من هذه الخسيسة فاقصد
انت الآخرة تتبعك الدنيا بلا طلب الرب وصار يعطيك الدارين او هو مالكهما جميعا
وخلا قوله تعالى من كان يريد ثواب الدنيا فعند الله ثواب الدنيا والآخرة
وقال النبي صلى الله عليه وسلم ان الله يعطي الدنيا بعمل الآخرة ولا يعطي الآخرة
بعمل الدنيا فاذا انت اخلصت النية وجردت الهمة للآخرة حصلت لك الدنيا والآخرة
واما انت ان ... الدنيا ذهبت عنك الآخرة في الوقت وربما لا تنال الدنيا كما
... ان نلتها فلا تبقى لك فتكون قد خسرت الدنيا والآخرة ...
والاصل الثاني ان ... رضاه ... علم انك تعمل لاجله ...

ولسخط عليك واستهانك واستخف بك فكيف يعمل العاقل لاجل من لو علم
انك تعمل لاجله يطلب رضاه لسخط عليه واهانه فما عملها مسكين الا من اذا
عملت لاجله وقصدته بسعيك وطلبت رضاه بذلك احبك واكرمك واعطاك رضى
ارضاك واغناك عن الطلوع فكاك فيها هذه فانظر الا انك كنت تعقل والاصل
الرابع ان من حصل له سعي يمكن ان يكتب به رضى اعظم ملك في الدنيا فطلب به رضا
كناس خسيس بين الناس فيكون ذلك دليلا على السفه ورداءة الرأي منه وسوء
الحظ له وقال ان حاجتك الى رضا هذا الكناس مع اعطائك عن رضا الملك
فكيف وقد سخط الكناس عليك بسبب سخط الملك فما تكن الطال فهذا حال المرائي فاي
حاجة الى رضا مخلوق حقير ضعيف مهين وهو متمكن من تحصيل رضوان رب
العالمين الكافي عن الكل فان ضعفت الهمة وكثرت البصيرة حتى طلبت رضا مخلوق
لا محالة فسبيلك ان تجرد ارادتك وتخلص سعيك لله رب العالمين فان القلوب والنواصي
بيده فهو يميل اليك القلوب ويحرك اليك النفوس وتنبعث من حبك الصدور ودعت اليك الامور
... انه يحمدك ويقصدك وان لم تتعاط خصلت بعملك رضى المخلوق دونه سبحانه
وتعالى فانه يصرف عنك القلوب ويصرف عنك النفوس ويسخط عليك الخلق فيحصل
لك بهذا الامر سخط الله وسخط الناس جميعا فيا لهم من خسران وحرمان ولقد ذكر
الحسن انه قال كان رجل يقول والله لاعبدن الله عبادة اذكر بها فكان اول داخل
وآخر خارج منه لا يراه احد حين الصلاة الا قائما يصلي ... الى خلق الله

فلبث كذا سبعة اشهر وكان لا يبيت بقوم الا قالوا اصلح الله بهذا المراى وضع فاقبل
على نفسه باللوامة وقال ايام اني اذا لم تعيش شيئا لا نخص عمل لله فلم يرض على عمله الذي
كان يعمل قبل ذلك الا انه تغيرت نيته الى الخير وكان بعد ذلك يمر بالناس فيقولون
رحم الله فلانا الآن قد اقبل على الخير ثم قرا الحسن ان الذين امنوا وعملوا الصالحات
سيجعل لهم الرحمن ودا اي محبتهم وتحببهم الى المؤمنين ولقد صدق القائل
يا مبتغي الحمد والثواب بعمل يبتغي محاله قد خيب الله ذا رياء وابطل السعي
والطلا من كان يرجو القاب اخلص من خوفه الفعالا الخلد والنار
في يديه فلم لم يعطك النوالا والناس لا يملكون شيئا فكيف ذا ايهم ضلالا
واما التعجب فليتذكر فيه اصول احدها ان فعل العبد انما صارت له قيمة لما وقع من
الله موقع الرضا والقبول ولا ترى ان الاجير يعمل طول النهار بدرهمين والحارس
يسهر ويحرس طول الليل بدانقين وكذلك اصحاب الصناعات والحرف كل
واحد يعمل في الليل والنهار فيكون قيمة ذلك دراهم معدودة فان صرفت
العمل الى الله فصفت لله تعالى يوما قال انما يوفى الصابرون اجرهم بغير حساب
وفي الخبر اعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رات ولا اذن سمعت ولا
خطر على قلب بشر فهذا يوم كم الذي قيمته درهمان مع احتمال التعب العظيم صارت
قيمة القيمة بتا غير هذا الى غير ما او توقع ليلة لله تعالى قال الله تعالى فلا
تعلم نفس ما اخفي لهم من قرة اعين جزاء بما كانوا يعملون فهذا الذي قيمته دانقان

او درهمان صار له من القيمة والغنى بل لو جعل له ساعة تهليل
فيها كلمتين خفيفتين تقبلها وهي قولك لا اله الا الله قال تعالى ومن يعمل
من ذكر او انثى وهو مؤمن فاولئك يدخلون الجنة يرزقون فيها بغير حساب
فهو غير مقيس بقيمة نفائس الا لا قيمة لا يحصوا اهل الدنيا ولا يعلم كم هو
فينبغي ان لا يبتغي وكم يتر عليك بلا انه ... كل ... العمل ... الله
وقع موقع رضا الله تعالى فعظم قدره ولكثرة قيمته بفضله يحقر العمل الذي
يرى فيه لا يعلم قدر من حيث هو ولا يدري انه الا الله تعالى عليم
بما يستحق به من قدر علمه واعظم من جزائه وان يحذر على عمله من ان يقع
على وجه لا يصلح لله ولا يقع منه موقع الرضا فيذهب عنه القيمة التي حصلت له
ويعود الى مكان ... الاصل من الثمن الحقير من دراهم او دوانق واخس
من ذلك ومثاله ان العنقود من العنب والاضبارة من الريحان يكون قيمته
في السوق دانقا فاذا اهداه واوصله الى الملك فاستحسنه وقع منه موقع الرضا
فوهب له على ذلك الف دينار لما وقع من الملك موقع الرضا فصار قيمته
الف دينار فاذا لم يرضه الملك ورده عليه رجع الى قيمته الخسيسة من حبة
فكذلك ما نحن فيه فتنبه واعرف منة الله تعالى ... فعلك عما تستقيه
والاصل الثاني فاعلم ان الملك في الدنيا ... من طعام او كسوة
او دراهم او دنانير معدودة فانية ... الخدمة

أناء الليل وأطراف النهار بما في ذلك من الذلة والصغار ويقوم
على رأسه حتى تخدر رجلاه ويمشي بين يديه إذا ركب فربما
يحتاج إلى أن يكون على بابه طول الليل حارسا ويجاهد أعداءه
فيحتاج أن يقاتل عدوه ويبذل روحه الذي لا خلف عنها
لأجل كل هذه الخدمة والكلفة والخطر والضرر لأجل تلك
المنفعة القليلة الحقيرة مع أنها بالحقيقة من الله تعالى وأما أنت
فيما لك سبب في ذلك فهو ربك الذي خلقك ولم تك شيئا ثم رباك
وأحسن التربية ثم أنعم عليك من النعم الظاهرة والباطنة
في دينك ونفسك ودنياك ما لا يبلغ كنهه فلم تحصها وهو القائل عز
من قائل وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها ثم إنك تصلي ركعتين مع ما
فيها من المعايب والآفات وتعتمد عليها في المستقبل من
حسن الثواب وضروب الكرامات حتى تستعظم ذلك
وتعجب فليس هذا من شأن عاقل إذا نظرت فهل هذه
... الله إلا شبه أن الملك الذي من شأنه أن يكرمه الملوك
والأمراء وتقوم على رأسه السادات والعظماء ويتولى خدمته
الأولياء والحكماء ويطلب رحمته العقلاء والعلماء ويمشي
بين يديه الأكابر والرؤساء إذ لا سواء ... رأفة

وعناية في بابه حتى زعم أولئك الملوك والسادات والأكابر
والأفاضل في خدمته ومدحته ويجعل له مقاما من حضرته معلوما
وينظر إلى الخدمة بعين الرضا وإن كانت مشوشة معيبة الذي
يقال له لقد كثرت على هذا القول لحقير المنة من الملك وعظمت
عنايته به فإن أخذ هذا الحقير يمن على الملك بتلك الخدمة
المعيبة ويستعظم ذلك ويعجب به أليس يقال إنه لسفيه جدا ومجنون
لا يعقل شيئا ولما تقرر هذا فإن إلهنا سبحانه هو الملك الذي
يسبح له السموات والأرض ومن فيهن وإن من شيء
إلا يسبح بحمده والمعبود الذي يسجد له من في السموات والأرض
طوعا وكرها فمن الخدم على بابه جبرئيل الأمين وميكائيل وإسرافيل
وعزرائيل وحملة العرش والكروبيون والروحانيون وسائر الملائكة
المقربين الذين لا يحصي عددهم إلا الله رب العالمين في منازلهم
الرفيعة وأنفسهم الطاهرة وعباداتهم العظيمة ثم من خدمه
الذين على بابه آدم ونوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد صلى الله تعالى عليه
مع سائر الأنبياء والمرسلين صلوات الله عليهم أجمعين
في مراتبهم المنيفة ومنازلهم العزيزة الشريفة ومقاماتهم الكريمة
العالية

وعباداتهم الجليلة الخطيرة من العلماء والائمة والابرار والزهاد
في مراتبهم العظيمة الفاخرة وابدانهم النقية الطاهرة وعباداتهم
الكثيرة الخالصة المتطاهرة واهل الخدم على بابه ملوك الدنيا وجبابرتها واقفون
على الاذقان ساجدين ويعفرون الوجوه في التراب خاضعين ويرفعون حوائجهم
اليه باكين ويعترفون له بالعبودية والنقص ساجدين صاغرين
حتى ربما ينظر اليهم نظرة ويقضي لهم بفضله حاجة او يتجاوز عنهم زلة
ذلة فمع هذه العظمة والجلال والملك والكمال فلان كم فقارته وعوزه
وانت ايها الانسان لو استأذنت على بعض بلدتك فربما لا ياذن لك وان كان
اميرا حاكما فربما لا يلتفت اليك اذن لك حتى يطلقك حتى تعذل وتبني عليه
وتخاطبه بالذل عليه بالمسئلة وتباسطه فتستقضيه حاجاتك وتستكفيه
مهماتك ثم انه يرضى بكعبتك في معاتبته بل بعد من الثواب عليها اما الحظو
تقلب لسانه وانت مع وجود تحجب بجانبه الركعتين وتتكلم وتستعظمه
فلا تول منة الله عليك في ذكرها سواك من رجل وما اجملك من انسان والله
وانه المتشكي من هذه النفس الجاهلة عليها التكلان فهذه وهذه

فصل وعلى حجر لكم تكرمك عظيم لهذا الذي لا ادخال الهدايا اليه
فتدخل بحضرته العلماء والكبراء والوزراء وسوغنائما بانواع الهدايا من الجواهر

الثمينة والهدايا النفيسة والاموال الجليلة فان جاء بقال بياقة تمر
الحشيم بقل او نرور يسلم عنب يساوي دانقا او حبة فيدخل بحضرة
ويزاحم اولئك الاغنياء والكبراء بهداياهم الكثيرة النفيسة وهذا
الملك يقبل من هذا الفقير هديته وينظر اليه بنظر القبول والرضا
ويأمر له بانفس خلعة وكرامة الا يكون ذلك منه غاية الفضل
والكرم فان لضد هذا الفقير يمن بذلك على الملك ويعجبه ويستعظمه
ويبني ذكر منة الملك الاتعالى ان هذا مجنون مضطرب العقل او سفيه
يستحق الادب عظيم الجهل فالان لو اقمت ليلة وصليت ركعات فلو
فرغت فتفكر ثم قام لله سبحانه هذه الليلة من الخلق في اقطار
الارض برها وبحرها وجبالها وبلادها من اصناف المستقيمين والصديقين
والخائفين والسائرين والمجتهدين والمتضرعين فكم حضرت في هذه الساعة
بباب الله سبحانه من عبادة صافية وضمير خالص على النفس خاشعة
والسن طاهرة وعيون باكية وقلوب عامرة وصدور نقية وصلوا اليك كنت
بذلت المجهود في تحسينها واحكامها واخلاصها فلا تكاد تصلح لحضرة
هذا الملك ولا تليق في جنب تلك العبادات التي تعرض هناك كيف وقد كنت
منك من قلب غافل مخلط بانواع العيوب وبدن نجس باقذار الذنوب ولسان
متلطخ بانواع المعصية والفضول فكيف يصلح هذا لان تجرى الى الملك

للعصمة وكيف تستأهل ان تهديها الى رب العزة ولذلك سمعنا انطابها
العاقل على ... وما كان صلوة من صلواتك الى السماء كان لن يعتقها
الى بيت من بيوت الاغنيا وابو بكر الوراق يقول ما فرغت من صلوة
الا استحييت حين فرغت منها اشد حياء من امراة فرغت من الزنا
ثم ان الرب الكريم سبحانه بمحض كرمه وفضله عظم قدرها بان الوعيز
عليها من جزيل الثواب ما وعد وانت عملك في حرايته وعملت
ما عملت بتوفيقه وتيسيره ومع ذلك تعجب بذلك وتنسى نعمة
الله عليك هذا والله لا عجب العجب لا يكاد يذهب مثله الا
على جاهل لا فكرة له وغافل لا ذهن له وقلب ميت كانه مرضى فيه فهذه
هذه نسأل الله تعالى الكفاية بمنه وفضله فصل ثم اني
بعد هذه الجملة يسقط من قدرك ايها الرجل في هذه العقبة وان كنت
من الخاسرين فان هذه العقبة اشد واشق واهم واصعب عقبة
استقبلتك في هذا الطريق اذ اليها ينتهي ثمرة كل ما مضى من
العقبات فان سلمت غنمت ونجحت وان كانت الاخرى فقد ضاع
السعي كله وخاب الامل وبطل العمر ثم البيان كله انه قد اجتمع في
هذه العقبة هاهنا ثلاثة امور الاول ان الامر دقيق جدا والغرر
شديد والخطر عظيم وتادفة الامر فان تجاذب الرياء والعجب العمل

ومنه خفية بالغاية فلا يكاد يتنبه لذلك الا اهل التجربة في امر الدين
بصير يقظان القلب متحرز واني يطلع عليه الجاهل المغرور والغافل النوم
ولقد سمعت بعض علماء نيسابور يحكي ان عطاء السلمي حاك ثوبا
واحكمه واحسنه جدا ثم حمله الى السوق يعرضه فاستحضه البزاز
وقال ان فيه عيوبا كيت وكيت فاخذ عطاء وجلس يبكي بكاء شديدا
فندم البزاز من ذلك وجعل يعتذر اليه ويبذل له في ثمنه ما يريد فقال له
عطاء ليس ذلك ما تظن انما انا عامل في هذه الصناعة وقد
اجتهدت في احكام هذا الثوب واصلاحه وتحسينه حتى لا يكون
به عيب فلما عرض على البصير بعيوبه اظهر فيه عيوبا كنت عنها غافلا
فكيف اعمالنا هذه اذا عرضت غدا على الله كم يبدو فيها من العيوب
والنقصان الذي نحن اليوم عنها غافلون وعن بعض الصالحين
قال كنت ليلة في وقت السحر في غرفة لي شارعة اقرأ سورة طه فلما ختمتها
غفوت غفوة فرأيت شخصا نزل من السماء بيده صحيفة
فنشرها بين يدي فاذا فيها سورة طه واذا تحت كل كلمة عشر حسنات
مثبتة الا كلمة واحدة فاني رأيت مكانها محوا ولم ار هناك شيئا فقلت
والله لقد قرأت هذه الكلمة ولا ارى لها ثوابا ولا اراها اثبتت

فقال الخضر صدقت قد قرأتها وكتبتها الا انا سمعنا مناديا
ينادي من قبل العرش امحوها واسقطوا ثوابها فمحوناها قال
فبكيت في منامي وقلت لم فعلتم ذلك قالوا مر رجل فرفعت بها
صوتك لاجله فذهب ثوابها فهذه هذه واما شأن العجب
العجب فلان الرياء والعجب آفة يقع في لحظة فربما تفسد عليك عبادة
سبعين سنة وحكي ان رجلا اضاف سفيان الثوري واصحابه
فقال لاهله هات الطبق لا الذي اتيت به في الحجة الاولى
بل الذي اتيت به في الحجة الثانية فنظر اليه سفيان فقال مسكين
هذا افسد عليه حجته وحجه لحضرة الغير ان اقل طاعة سلمت
عن هذا الرياء والعجب يكون لها عند الله عز وجل من القيمة ما لا
نهاية له واكثر طاعة اذا اصابتها هذه الآفة تبقى لا قيمة لها الا
ان يتداركها الله تعالى بعلمه روي عن علي رضي الله عنه انه قال لا يقل عمل
مع التقوى وكيف يقل عمل مقبول وسئل النخعي عن عمل كذا وكذا ما ثوابه
فقال اذا قبل لا يحصى ثوابه وعن وهب قال كان فيمن كان قبلكم
رجل عبد الله سبعين عاما صائما يفطر من سبت الى سبت فطلب
الى الله تعالى حاجة فلم تقض فاقبل على نفسه وقال من قبلك اتيت لو كان

لان العمل اذا صار مقبولا يكون فضله وشرفه وثوابه عند الله تعالى ما لا نهاية له

يا نفس من قبلك حصل لي هذا

١١٣

عندك خير قضيت حاجتك فانزل الله تعالى ملكا فقال يا ابن آدم
ساعتك التي ازدريت نفسك خير من عبادتك التي مضت قلت فلينظر
العاقل الى هذا الكلام اليس من العجب ان واحدا يكدح ويتعب
سبعين سنة وآخر يتفكر ساعة واحدة فيكون فكره ساعة
افضل من سبعين سنة ويترك ذلك من غير حاجة بل والله انه العظيم
العجب وان اغفاله لا يتدارك وان الخصلة التي لها هذه القيمة والخطر
يجب ان يحذر من آفاته ويجتنب ومثل هذا المعنى انما وقع نظر اولي
الابصار من العباد في مثل هذه الدقائق واهتموا بمثل هذه الاسرار
فعرفوها اولا ثم راعوها واحتاطوا عنها بانفسهم ولم يهتموا بكثرة الاعمال
بالظاهر فقالوا انما هي الصفوة لا في الكثرة وقالوا اصح من
قصد خير من الف خرزة واما الذين قل علمهم وكثر في هذا الباب
نظرهم فجهلوا المعنى واغفلوا ما في القلوب من العيوب واشتغلوا
باتعاب النفوس في الركوع والسجود والامساك عن الطعام والشراب
وبحكم فضلهم العلة والكثرة ولم ينظر اكثرهم الى الصفوة وما
يغني عدد الجوز ولا يشبعهم وما ينفع رفع الصوت وما [illegible]
وما يعقل هذه الحقائق الا العالمون بالله تعالى المكاشفون والمؤيدون
بالهداية بفضله واما عظيم الخطر [illegible] وهو احدها كمل لا نهاية لجلاله

وعظمته وله علينا نعم لا تعد ولا تحصى ... معيب بعيوب خفية محفوف
بآفات كثيرة وأمور مخوفة إن وقع ... النفس لم يحتاج
ان يستخرج عمله صافيا سالما من ... معيب وتفسير ما بدا الى النفس
امارة بالسوء على وجه يصلح لرب العالمين في جلاله وعظمته وكبريائه ...
ومنته ويقع منه موقع الرضا والقبول والا فيفوتك الربح العظيم الذي
لا تسمح النفس بفوته بل ربما يحصل له مصيبة لا طاقة له بها هذا
والله شان عظيم وخطب جسيم اما ظهر الملك وعظمته لجبت الملائكة
المقربين ... العاملون له بالخدمة اناء الليل والنهار حتى ان منهم
من هو منذ خلقه الله تعالى في قيام ومنهم ... من هو في ركوع
ومنهم من هو في سجود ومنهم من هو في تسبيح وتهليل فلا يأتم
القائم قيامه ولا الراكع ركوعه ولا الساجد سجوده ولا المسبح تسبيحه
ولا المهلل تهليله ما قاموا به ... الى نفخة الصور ثم لما فرغوا من
هذه الخدمة العظيمة قالوا باجمعهم سبحانك ما عبدناك حق عبادتك
وهذا سيد المرسلين وخير العالمين واعلم الخلق وافضلهم محمد صلى
الله عليه وسلم يقول لا احصي ثناء عليك انت اهل فضله عن ان اعبدك كما
له اهله وهو الذي يقول ليس احد يدخل الجنة بعمله قالوا ولا انت يا رسول الله
قال ولا انا الا ان يتغمدني الله برحمته وانا النعم ... فكما قال تعالى

انت كما اثنيت على نفسك لا تقول انا لا احصي ثناء عليك صح

114

وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها وعلى ما روي انه يحشر الناس يوم القيمة
على ثلاثة دواوين ديوان الحسنات وديوان السيئات وديوان النعم
فلا يؤتى بحسنة الا اتى بنعمة حتى تستغرق الحسنات وتبقى السيئات
والذنوب فلله تعالى فيها المشيئة واما عيوب النفس وآفاتها فقد
تقدمنا بيانها في بابها ولكن الامر المخوف ان العبد يكدح ويتعب ...
عما فلا حين عيوبها وآفاتها ... لا يكون واحد منها مقبولا وربما
يتعب اعواما فيفسد بساعة واحدة واعظم خطرا من ذلك كله
انه ربما ينظر الله تعالى الى العبد وهو يرائي الناس بعبادته ... فيجعل
طاعته لله وتنفله باطن الخلق فيطرده طردا لا مرد له والعياذ بالله
ولقد سمعت بعض العلماء يحكي عن الحسن البصري رحمه الله انه رؤي
في المنام فسئل عن حاله فقال اوقفني الله عز وجل بين يديه فقال يا حسن
اتذكر يوما كنت تصلي في المسجد اذ رمقك الناس بابصارهم فزدت
حسنا الصلوة فلولا ان اول صلوتك كان لي خالصا لطردتك اليوم عن بابي
ولقطعتك عني مرة واحدة وان كان كذا في ...
الى عظيم نظر اولو الابصار فيه ... واعلى ...
من لا يلتفت الى جميع ما يظهر للناس من اعماله حتى ...
قالت ما ظهر من اعمالي لا اعده شيئا ... اكتموا حسناتكم كما تكتمون سيئاتكم

شاء عفى عنها بفضله
فيعاملك بالحسنات بالنعم

سألتك ولعمري إن أملك أن يجعل لك حظا من الخير فافعلوا لقد
حكي أنه قيل لرابعة لم تبكين أكثر ما تبكين قالت بيأس من عملي
علي وكان إذا أصبح محمد بن واسع ومالك بن دينار فقال مالك إما طاعة
الله أو النار فقال محمد بن واسع إما رحمة الله أو النار فقال مالك ما أحوجني
إلى معلم مثلك وعن أبي يزيد البسطامي رحمة الله عليه قال كابدت العبادة
ثلاثين سنة فرأيت قائلا يقول لي يا أبا يزيد خزائنه مملوءة من العبادة
إن أردت الوصول إليه فعليك بالذلة والافتقار وسمعت الأستاذ
أبا الحسن يحكي عن الأستاذ أبي الفضل أنه كان يقول إني أعلم أن ما أعمل
من الطاعات غير مقبول عند الله تعالى فقيل له في ذلك فأجاب إني أعلم
ما يحتاج إليه من الفعل حتى يكون مقبولا وأعلم أني لست أقوم بذلك فإذا
علمت أنها غير مقبولة فلم تفعلها قال عسى أن يصلح الله
تعالى يوما فتكون النفس معتادة لفعل الخير فلا أحتاج أن أعودها
ذلك من الرأس فهذه حال هؤلاء الأعلام وهم في المجاهدات والإقدام
فاطلب لنفسك صحة مع غيرهم ووقع الأمان بين
وضات لا أمال هيهات يدرك بالتواني ساحة كدوا
النفوس وساعد الإقبال ثم لا أدري أنك ما هنا
الحمد لما نوع من الصادق المصدق صلى الله عليه وسلم وقد ذكرناه

في غير كتاب روى ابن المبارك عن رجل وهو خالد بن معدان أنه قال
لمعاذ رضي الله عنه حدثني حديثا سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم
وحفظته وذكرته في كل يوم من شدته ودقته قال نعم ثم بكى بكاء
طويلا ثم قال واشوقاه إلى رسول الله وإلى لقائه بينما أنا عند رسول الله
إذ ركب وأردفني ثم سرنا فرفع بصره إلى السماء وقال الحمد لله الذي
يقضي في خلقه ما يشاء يا معاذ قلت لبيك يا سيد المرسلين قال إني
أحدثك حديثا إن حفظته نفعك وإن ضيعته انقطعت
حجتك عند الله عز وجل يا معاذ إن الله خلق سبعة أملاك قبل
أن يخلق السموات لكل سماء ملك وجعل على كل باب من أبواب
السماء ملكا بوابا على قدر الباب وجلالته فتصعد الحفظة بعمل
العبد وله نور وشعاع كالشمس حتى إذا بلغ السماء الدنيا والحفظة
تستكثره وتزكيه فإذا انتهوا إلى الباب قال الملك للحفظة اضربوا
بهذا العمل وجه صاحبه أنا صاحب الغيبة أمرني ربي
أن لا أدع عمل من يغتاب الناس يجاوزني إلى غيري
من الغد معهم عمل صالح له نور يستكثره الحفظة وتزكيه
حتى إذا انتهوا إلى السماء الثانية قال الملك قفوا واضربوا
بهذا العمل وجه صاحبه هذا أراد به عرض الدنيا إني

مبتهجًا

ربي ان لا ادع عمله يجاوزني الى غيري فيلعنه الملائكة حتى تمسي
وتصعد الحفظة بعمل العبد مبتهجًا فيه صدقة وصيام وكثير من البر
فتستكثر الحفظة وتزكيه فاذا انتهوا الى السماء الثالثة قال
للملك البواب قفوا واضربوا بهذا العمل وجه صاحبه انا الملك
صاحب الكبر امرني ربي ان لا ادع عمله يتجاوزني الى غيري انه كان
يتكبر على الناس في مجالسهم وتصعد الحفظة بعمل العبد يزهر
كما تزهر النجوم والكواكب له دوي بتسبيح بصوم وصلوة وحج
وعمرة فاذا انتهوا الى السماء الرابعة قال الملك الموكل بها قفوا واضربوا
بهذا العمل وجه صاحبه انا الملك صاحب العجب امرني ربي ان لا ادع
عمله يتجاوز الى غيري انه كان اذا عمل عملًا ادخل فيه العجب وتصعد
الملائكة بعمل العبد يزف كما تزف العروس الى اهلها حتى اذا انتهوا
الى السماء الخامسة بالعمل من جهاد وحج له ضوء كضوء الشمس فيقول
الملك انا الملك صاحب الحسد انه كان يحسد الناس على ما آتاهم الله من فضله
فقط يتخط ما رضي الله امرني ربي ان لا ادع عمله يتجاوزني الى غيري وتصعد الحفظة
الملائكة بعمل العبد بوضوء تام وصلوة كثيرة وصيام وحج
وعمرة فيجاوز الى السماء السادسة فيقول الملك الموكل بالباب
انا صاحب الرحمة اضربوا بهذا العمل وجه صاحبه انه لم يرحم قط

انسانًا وان اصيب عبد اشمت به امرني ربي ان لا ادع عمله
يتجاوز الى غيري وتصعد الملائكة بعمل العبد بنفقة كثيرة وصوم
وصلوة واجتهاد وورع له صوت كصوت الرعد وضوء كضوء
البرق فاذا انتهوا الى السماء السابعة يقول الملك الموكل بالسماء
انا صاحب الذكر ان صاحب هذا العمل اراد به
الذكر في المجالس والرفعة عند القراء والجاه عند الكبراء
امرني ربي ان لا ادع عمله يتجاوزني الى غيري وكل عمل لم يكن
لله تعالى خالصًا فهو رياء ولا يقبل الله عمل المرائي وتصعد
الحفظة بعمل العبد من صلوة وصيام وزكوة وحج وعمرة
وخلق حسن وصمت وذكر الله تعالى وتشيعه ملائكة السموات
السبع حتى تقطع الحجب كلها الى الله تعالى فيقفون بين يدي الرب
جل جلاله ويشهدون له بالعمل الصالح المخلص لله تعالى فيقول
الله تعالى انتم الحفظة على عمل عبدي وانا الرقيب على ما في
نفسه انه لم يردني بهذا العمل ولم يخلصه لي وانا اعلم بما اراد
بعمله عليه لعنتي غر الآدميين وغركم ولم يغرني وانا علام
الغيوب المطلع على ما في القلوب لا يخفى علي خافية ولا يعزب
عني عازبة وعلمي بما كان كعلمي بما يكون وعلمي بالاولين كعلمي بالآخرين

أعلم السر وأخفى فكيف يغرني عبدي بعلمه إنما يغر المخلوقين الذين لا يعلمون وأنا علام الغيوب عليه لعنتي ويقول الملائكة السبعة والملائكة المسبحون يا ربنا عليه لعنتك ولعنتنا فيقول أهل السماء عليه لعنة الله ولعنة اللاعنين ثم بكى معاذ وانتحب بكاء شديدا وقال يا رسول الله كيف النجاة مما ذكرت قال يا معاذ اقتد بنبيك في اليقين قلت أنت رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا معاذ بن جبل كيف لي النجاة والخلاص قال نعم يا معاذ إن كان في عملك نقصية فاقطع لسانك عن الوقيعة في الناس وعن إخوانك من حملة القرآن خاصة وليرد عن الوقيعة في الناس ما تعلم من عيب نفسك ولا تزك نفسك بوضع إخوانك ولا ترائي بعملك كي تعرف في الناس ولا تدخل في الدنيا دخولا تنسيك أمر الآخرة ولا تناج رجلا وعندك آخر ولا تتعظم على الناس فينقطع عنك خير الدنيا والآخرة ولا تتحشش في مجلسك حتى يحذروك من سوء خلقك ولا تمزق الناس بلسانك فتمزقك كلاب جهنم قال الله وإن الناشطات نشطا يقول تنزع اللحم من العظام قلت يا رسول الله من يطيق هذه الخصال قال يا معاذ إن الذي وصفت لك يسير على من يسره الله عليه إنما يكفيك من ذلك أن تحب للناس ما تحب لنفسك وتكره لهم ما تكره لنفسك فإذن أنت قد سلمت قال خالد بن معدان رحمة الله عليه وكان معاذ لا يكثر

من تلاوة القرآن كما يكثر من تلاوة هذا الحديث وقرائته في مجلسه فلما سمعت أيها الرجل بهذا الحديث العظيم وما فيه من الخطر الكبير والخطب الجسيم أثر ما يطير له القلوب وتحير له العقول وتضيق عن حمله الصدور وتجزع من هوله النفوس فاستعصم بمولاك إله العالمين والزم الباب بالتضرع والابتهال والبكاء آناء الليل وأطراف النهار مع المتضرعين المبتهلين فإنه لا نجاة من هذا الأمر إلا برحمته ولا سلامة من هذا البحر العميق إلا بتوفيقه وعنايته فتنبه من رقدة الغافلين واعمل لهذا الأمر حقه وجاهد نفسك في هذه العقبة المخوفة لعلك لا تهلك مع الهالكين والله المستعان على كل حال فإنه خير معين وهو تعالى أرحم الراحمين ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم فصل وجملة الأمر أنك إذا أحسنت النظر ثم رأيت قدر طاعة الله تعالى ورأيت عجز الخلق وضعفهم فلا تلتفت إليهم بعملك ولن زاهدا في ثنائهم ومدحهم وتعظيمهم الذي لا فائدة تحته ولا تريد بطاعتك شيئا من ذلك ورأيت خسة الدنيا وحقارتها وسرعة زوالها فلا تريدها بطاعتك من الله عز وجل وتقول يا نفس أنا رب العالمين وشكره وإحسانه خير لنا المخلوقين العاجزين الجاهلين الذين لا يعرفون قدر عملك بالحقيقة وما تحملت فيه وما يبلغون فيما عملت وتحملت

لا ربما يفضلون عليك من هو ادون حالا بالف درجة ويصغرونك
في اوحج الاوقات ويتنزلوا وان لم يفعلوا ذلك فاذا عرض بلوى
بالإتيهم والى ماذا افتدتهم ثم هم في قبضة الله تعالى يصرفهم
كيف يشاء والى من يشاء فاعقلي ايتها النفس ولا تضيعي
طاعتك العزيزة بهم ولا يفوتك بها من ثناء كل فخر وعطاء من عطائي
كل دهر ولقد صدق القائل شعر سهر العيون لغير وجهك باطل
وبكاؤهن لغير وصلك ضائع واصلتني والقلب نحوك نازع
وهجرتني ظلما فما انا صانع ونريا نفس اجنة الخلد ضرام
لطحة من حطام الدنيا وحرامها الشكل الفاني وانت ممكنة
من ان تحصل بطاعتك هذا النعيم المقيم ولا تكوني خسيسة الهمة
دنية الارادة دنية الافعال اما ترى الحمام اذا كان ساوياً
كيف تعلو قيمته ويزداد قدره فارفعي همتك كلها الى السماء وجرد
قلبك لله تعالى الواحد الذي بيده الامر كله لا تضيعي ما طرفت
من طاعتك بلاشيء ولذلك اذا احسنته الى تدبر فرأيته اياديك الله
تعالى ومنته العظام عليك في هذه الطاعة بان امكنك منها
واعطاك الته اولا ثم ازاح العوائق حتى تفرغت لهذه الطاعة
ثانيا ثم فضلك بالتوفيق وانا يده ويسرها عليك وزينها في قلبك

الى الطاعة

حتى عملتها ثالثا ثم مع جلالته وعظمته واستغنائه عنك وعن طاعتك ولتن
نعمة عليك اعدّ لك على هذا العمل اليسير الثناء الجزيل والثواب العظيم
الذي لا تستحقيه رابعا ثم شكرك على ذلك واثنى واحتفل بذلك خامسا
فهذه كلها بفضله العظيم لا غير والا فاي استحقاق لك وباي قدر
لعملك الحقير المعيب فاذكري ايتها النفس منة ربك الكريم الرحيم سبحانه
فيما احسن اليك في هذه الطاعة واستحي من ان تلتفتي الى غير الفضل
والمنة لله تعالى بان يقبلها اما تسمعين من قول خليله ابرهيم عليه السلام
لما فرغ من خدمته في بناء بيته كيف ابتهل الى الله تعالى في ان يتفضل الله
عليه بالقبول فقال ربنا تقبل منا انك انت السميع العليم ولما فرغ
من دعائه قال ربنا وتقبل دعائي فلئن من عليك بقبول هذه الطاعة
فلقد كمل المنة واعظم النعمة وما لك من شقاوة ودولة وعز ونعمة
لم تحتج لذلك من خلعة ونعمة وذخر كرامة وان تكن الاخرى فيالك من حسرات
وغبن وحرمان فاستحيي ونشتغل بهذا الشان ولها واطلب علل هذه
وكرره على قلبك عند الفراغ من طاعتك واستغث بالله تعالى صرف عن النفات
الى الخلق والنفس وشغلك عن عوائقه وعجائب ونفعك على محض الاخلاص
نسعى في الطاعات والتقرب رحمة الله تعالى عليك في جميع الحالات وارجو
ان تحصل لكم طاعات طاهرة لا عيب فيها وخيرات خالصة لا شوب فيها وعبادة

لا عيب

مقبولة لا تنقص بها بل مثل هذه الطاعة وان حصلت في العمر مرة واحدة
مثلا لا غير فانها بالحقيقة كثيرة لعمري انها وان قل عددها لفكثر معناها
وعظم قدرها وكثر نفعها وطاب عقيبها والتوفيق لمثلها عزيز والفضل به
لله تعالى على العبد كثير واي هدية اجل من ان يقبلها رب العالمين فتأمل انها
للسالكين واياك ان تكون من المغترين ولا اجرى لله امر على هذه الجملة كنت
من المخلصين لله تعالى الخالصين الذاكرين لمنته وكنت قد ظفرت هذه العقبة
وسلمت من آفاتها وسبقت بخيراتها وثمراتها فايزا على الابد ببركاتها
وسعاداتها والله سبحانه وتعالى ولي التوفيق بمنه ولا حول ولا قوة الا
بالله العلي العظيم

الباب السابع في العقبة السابعة

فهي عقبة الحمد والشكر ثم عليك وفقك الله واياك
حسن توفيقه بعد قطع هذه العقبات العقبات والظفر بالمقصود
من العبادات السالمة من الآفات بالحمد والشكر على هذه النعمة
العظيمة والمنة الجسيمة وانما يلزمك ذلك لامرين احدهما لدوام النعمة
والثاني لمزيدها فاما دوام النعمة فلان الشكر قيد النعم به تدوم
وتبقى وبتركه تزول وتحول قال الله تعالى ان الله لا يغير ما بقوم حتى
يغيروا ما بانفسهم وقال جل من قائل فكفرت بانعم الله فاذاقها الله
لباس الجوع والخوف وقال تعالى ما يفعل الله بعذابكم ان شكرتم وآمنتم

119

وقال صلى الله عليه وسلم ان للنعم اوابد كاوابد الوحش فقيدوها بالشكر
واما حصول الزيادة فلما كان الشكر قيد النعمة فهو ثمن الزيادة قال سبحانه
وتعالى لئن شكرتم لازيدنكم وقال تعالى والذين اهتدوا زادهم هدى
وقال والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا فالسيد الحليم
اذا رأى العبد قد قام بحق النعمتين عليه بالحري ويراه اهلا لها
وانه لا ينقطع ذلك عنه ثم ان النعم قسمان دنيوية ودينية فالدنيوية
ضربان نعمة نفع ونعمة دفع فنعمة النفع ان اعطاك المصالح والمنافع
وهو ضربان الخلقة السوية في سلامتها وعافيتها والملاذ الشهية من
المطعم والمشرب والملبس والمنكح وغيرها من فوايدها ونعمة الدفع
ان صرف عنك المفاسد والمضار وهي ضربان احدهما في النفس بان سلم
من زمانتها وساير آفاتها وعللها والثاني دفع ما يجفل من ضرر
من انواع العوايق او من يقصدك بها سوا من انس وجن
او سباع او هوام ونحوها واما النعم الدينية فضربان نعمة
نعمة التوفيق ونعمة العصمة فنعمة التوفيق ان وفقك اولا للاسلام
ثم للسنة ثم للطاعة ونعمة العصمة ان عصمك اولا
من الكفر والشرك ثم عن البدعة والضلالة ثم من ساير المعاصي
وتفصيل ذلك لا يحصيه الا السيد العالم الذي انعم عليك كما قال

تعالى وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها وان دوام هذه النعم
كلها بعد ما من عليك بها والزيادة عليها من كل باب منها
ما يبلغ ويتم كلها ويتعلق بشئ واحد وهو الشكر والحمد لله تعالى
وان حصلة تكون لها كل هذه القيمة ويكون فيها كل هذه الفوائد
لحقيق ان يتمسك بها من غير اغفال لها واغفال بالجملة بتيسير وكيما عز لله
ولي التوفيق بفضله فان قيل فما حقيقة الحمد والشكر ومعناهما
وحكمهما فاعلم ان العلماء فرقوا بين الحمد والشكر عند التحصيل بان الحمد
من اشكال التسبيح والتهليل ويكون من المساعي الظاهرة والشكر
من اشكال الصبر والتفويض ويكون من المساعي الباطنة وان الشكر
يقابل الكفران والحمد يقابل اللوم وان الحمد اعم واكثر والشكر
اخص واقل قال الله تعالى وقليل من عبادي الشكور فثبت انهما
معنيان متميزان ثم الحمد هو الثناء على احد بالفعل الحسن هذا
من مقتضى كلام شيخنا واما الشكر فتكلموا في معناه واكثروا فقال
ابن عباس رضي الله عنه انه قال الشكر هو الطاعة بجميع الجوارح
لرب العالمين في السر والعلانية والى نحو ذهب بعض مشايخنا
فقال الشكر هو اداء الطاعات بالظاهر والباطن ثم رجع الى الشكر
هو اجتناب المعاصي ظاهرا وباطنا وقال شيخنا الشكر هو الاحتراز

احتراز

عن اجتناب المعاصي الله عز وجل تحترس على قلبك ولسانك وسائر اركانك
حتى لا تعصي الله بشئ من هذه الثلثة بوجه من الوجوه والفرق بين قوله
وبين قول السالكين الاولى فعل الاحتراز معنى زائدا على الاجتناب
عن المعاصي وانما الاجتناب عن المعصية ما هو ان لا يفعل المعصية
عند دواعيها ولا يكون في نفسه تعصية معنى محمولا حصلا بان العبد به
مستقلا وعن الكفران محفظا وقال شيخنا الشكر تعظيم المنعم على مقابلة
نعمته على وجه يمنعه عن جفاء المنعم وكفرانه ولو قلت تعظيم المحسن
على مقابلة احسانه ليصح ان يطلق من الله الشكر للعبد وفيه تفاصيل
وقد شرحناها في كتاب احياء علوم الدين وغيره ولكن التحصيل ان الشكر من
العبد تعظيم يمنع من جفاء من احسن اليه وذلك بان يذكر احسانه وحد حال
الشاكر في شكره وقبح حال الكافر في كفرانه فلت ان اقل ما يستوجبه
المنعم بنعمه لان لا يتوصل بها الى معصية وما اقبح حال من جعل نعم المنعم
سلاحا على عصيانه فعلى العبد لان من فرض الشكر في حقه ان يعلم
انه من تعظيم الله سبحانه ما يحول بينه وبين معاصيه على حسب نعمه
فاذا اتى بذلك فقد اتى بما هو اصل فيه ثم تعالى في التحقيق الصلة جهد
في القيام بالحمد مما هو من حقوق النعم بالمعنى الاحتراز عن معصيته
وبالله التوفيق فان قلت فما موضع الشكر فاعلم ان موضعه النعم

دينية ودنياوية على الغفلة عنها واما الشدائد والمصائب في الدنيا في نفس او مال
او ولد فقد اختلفوا في ذكر ما يلزم العبد الشكر عليها قال بعضهم لا يلزم الشكر عليها
من حيث انها يجب فيها الصبر واما الشكر فهو على النعمة لا غير قالوا ولا شدة
الا وفي ضمنها نعم لله فيلزم على تلك النعم المقترنة بها دون نفس البلاء وتلك
النعم ما قاله ابن عمر رضي الله عنهما ما ابتليت ببلية الا كان لله عز وجل
علي فيها اربع نعم اذ لم تكن في ديني واذ لم تكن اعظم منها واذ لم احرم الرضا
واذ ارجو الثواب عليها وقد قيل ايضا ان من تلك النعم ان تلك
الشدائد زائلة غير دائمة وانه من الله تعالى دون غيره فان كانت بسبب
مخلوق فان الاثم عليه لا عليك فاذا يلزم العبد الشكر عليها على النعم المقترنة
بالبلاء وقال آخرون وهو الاولى عندنا ان شدائد الدنيا
مما يلزم العبد الشكر عليها لان تلك الشدائد نعم بالحقيقة بدليل انها
تعرض العبد لمنافع عظيمة ومثوبات جزيلة واعواض كريمة في العاقبة تتلاشى
في جنبها مشقة هذه الشدائد واي نعمة تكون اكبر من هذا ومثاله
ممن يسقيك دواء كريها مر المذاق او يفصدك او يحجمك احتماء عن
مخوفة الخطر فهو ذو فضل لانه صحة النفس وسلامة البدن وصنوع
يكون لك نعمة بان يزيل الداء او حراحة المضر والحامد نعمة بالغة
في الحقيقة فامضوا وان كان في [illegible] لم ينفر عنها الطبع وتنبو عنه

النفس

وانت تحمد الذي يعطيك هذا منك بل تحسن اليه ما امكنك فكذلك حكم
هذه الشدائد اما ترى النبي صلى الله عليه وسلم كيف حمد الله وشكر على الشدائد
كشكره على ما احب فقال الحمد لله على كل حال وسر تدبير ما ترى كيف يقول
فلا تقل نفس لن تكرهوا شيئا ويجعل الله فيه خيرا كثيرا وما سماه الله
خيرا كثيرا فهو كذلك بالغ ومما يؤكد هذا نقول ان النعمة لا تنحصر
عن اللذة وما تشتهيه النفس بمقتضى الطبع وانما هي ما يزيد في رفعة
الدرجات ولذلك تسمى نعمة من معنى الزيادة ولهذا كانت الشدائد مما يكثر
ثواب في زيادة الشرف للعبد ورفع درجته فيكون نعما بالحقيقة وان
كانت تعد في الشدائد والمحن بظاهرها فاعلم انه قيل ان ذكر افضل
بدليل فهو نعم وقليل من عبادي الشكور وجعلهم اخص الخواص
وقال في نوح عليه السلام انه كان عبدا شكورا وقال تعالى في ابراهيم
شاكرا لانعمه ولانه في حين لله لنعام والعافية ولذلك فضل [illegible]
فاشكر لي من اذا ابتلي فاصبر وقيل بل الصابر افضل لانه
اعظم مشقة فيكون اعظم ثوابا وان الله مدحه فقال انا وجدناه
صابرا نعم العبد وقال انما يوفى الصابرون اجرهم بغير حساب
وقال تعالى والله يحب الصابرين قلت يا انا الاكرم بالحقيقة لا يكون
الا صابرا والصابر بالحقيقة لا يكون شاكرا الذي [illegible]

إلا لا يخلو من محنة فيصبر عليها لا محالة ولا بجزوع فان الشكر يعظم للمؤمن
الحشم على عظيم من عصيانه والجزع عصيان والصابر لا يخلو من نعمة لما ذكرنا
ان الشدائد من المحنة المعنى المتقدم فانه شكر في الحقيقة لا صبر لانه حبس
نفسه عن الجزع تعظيما لله وهذا هو الشكر بعينه انما هو تعظيم المنعم
لان الشاكر يمتنع عن الكفران فيصبر عن المعصية وحمل نفسه على الشكر
وصبر على الطاعة فصار صابرا على الحقيقة والصابر يعظم الله تعالى حتى
يمنع نفسه عن الجزع فيما اصابه وحملها على الصبر فقد شكر الله تعالى فصار
شاكرا في الحقيقة ولان حبس النفس عن الكفران مع قصد النفس اليها شهوة
يصبر عليها الشاكر وتوفيق الصبر والعصمة نعمة يشكر عليها الصابر
فاحدهما لا ينفك عن الاخر الا بصورة الباطنة عليهما واحدة ومن يصبر للاستقامة
في ذلك بعض ما بينا من هذا الوجه وقلنا ان احدهما لا ينفك عن الاخر فلو
[illegible] هذه الجملة بانه الوهم فصل نعلمك الله الوصل
بذل المجهود في حفظ هذه النعمة اليسيرة المؤنة الكبيرة الجليلة العزيزة
العنصر العظيمة القدر وتأمل اصلين احدهما ان النعمة انما نعطي
من يعرف قدرها وانما يعرف قدرها الشاكر ودليل ما قلنا قوله
تعالى في الحكاية عن الكفار وقالوا عليهم أهؤلاء من الله عليهم من بيننا أليس
الله بأعلم بالشاكرين [illegible] النعمة العظيمة والمنة الكريمة انما نعطي

٣٢٢

من يكون اكثر مالا واشرف نسبا وحسبا فقالوا ما بال هؤلاء الفقراء
بزعمهم من العبيد والاحرار اعطوا هذه النعمة العظيمة بزعمكم دوننا
فقالوا على سبيل الاستكبار ومجرى الاستهزاء أهؤلاء من الله عليهم
من بيننا فاجابهم الله بهذه النكتة الزاهرة فقال سبحانه أليس الله
بأعلم بالشاكرين تقدير الكلام ان السيد الحكيم انما يعطي من يعرف
قدرها وانما يعرف قدرها من اقبل عليها بنفسه وقلبه فاختارها
على غيرها ولا يحجبه انما يحتمل من اعباء المؤنة في تحصيلها [illegible]
فانما الباب يؤدي شكرها وقد علمنا انه ان هؤلاء الضعفاء
يعرفون هذه النعمة ويقومون بشكرها فكانوا اولى بهذه النعمة
منكم فلا اعتبار لغنائكم وجاهكم وكثرتكم في الدنيا وحشمتكم وما تسكم
في الانساب واحسابكم انما تحسبون النعمة كلها الذنب وحطامها
والحسب والنسب وعلو [illegible] الدين والحق ومعرفة وانما تعظمون
ذلك وتتفاخرون به واما تودون انكم لا تكادون تقبلون هذا الدين
والعلم والحق الا بنية على ما انتم به فان هؤلاء الضعفاء يقبلون
انفسهم على ذلك ويبذلون مهجهم فيه لا يبالون بما فاتهم وان عاداهم
مع ذلك ليعلموا انهم هم الذين عرفوا قدر هذه النعمة ورسخ في قلوبهم
تعظيمها وهان عليهم فوت كل شيء دونها وطاب عليهم احتمال كل شدة

يستغرقون جميع العمر في شكر فلذلك استأهلوا هذه المنة الكريمة
والنبوة في سابق علمنا وخصصناهم بها دونكم فهذه هي الاصول
وكذلك كل من وفقه الله تعالى بنعمة من نعم الدين علم او عمل
فانك تجدهم بالخلقة اعرف الناس بقدرها واشدهم تعظيما ولحدهم
في تحصيلها واعظمهم في اكرامها وافرحهم بشكرها والذين حرمتهم فلقلة
احتفالهم وتعظيمهم لحرمانها بعد العذر السابق فلو كان تعظيم العلم والعمل
في قلوب السوقية والعامة مثل ما هو في قلوب العلماء والمتعبدين لما انزوا
سودهم عليه وهان عليهم شانها الا ترى ان الفقيه اذا ظفر بتعلم مسلة
كانت المنبهة عليه كيف يرتاح قلبه ويعظم سروره ويكل صوفي من قلبه
حتى ربما لو وجد الف دينار ما كان يعدل في ذلك وربما يهمه امر مسلة في باب
[illegible] بين والكرلا [illegible] حتى ربما رزقه الله فهم
ذلك فمعها اعظم منة والد نعمة ويرى نفسه بذلك في كل غنى واشرف
مساويه [illegible] السوق او متعلم [illegible] يرى من نفسه انه منتظر في [illegible]
والحبة والحبة [illegible] ولا يستريح اليه حقه وربما ان طال عليه الكلام
[illegible] ذلك فلا يعرف [illegible] وكذا المنيب الى الله تعالى كمجتهد
ويدأب بالرياضة وصيانة النفس من الشهوات [illegible] الحاجة والاركان
الحركات والسكنات حتى ان تم الله تعالى له [illegible] في الصب وطهارة وتم يتضح
الى الله تعالى حتى [illegible] ساعة مناجاة بصفوة وصلاة فلبن ظفر بذلك [illegible]

بل في سنة من بل في شهر كلها من لعله ذكر اكبر منة واعظم نعمة وكم يتركهم نسا لله تعالى
ولا يكنت يتقلب في الشهوات وكان يدس الليالي ويتجر من اللذات فيها لم ترك الى
يرغم انه راغب في العبادة يحب ان يحقق له منها لو احتاج احدهم الى تحصيل مثل
هذه العبادة يحب ان يحصل له شئ منها لو احتاج احدهم الى تحصيل مثل هذه العبادة
الى ما فيهم الصافية في نقصان لغة من نهايتهم وترك كلهم تعبهم اوقع نوم ساعة عن اعينهم
فلا يسمح انفسهم بذلك ولا تطيب قلوبهم فان اتفق لهم في استدراك وصول
اعمال في صفوة فلا يعدونه خطرا ولا يعتدون فيه كثير شكر لما ابه فهم من دونهم
وتكثر بالظاهر جهلهم لفعلهم درهم واستقامت لهم كسوة او تطايبت لهم سوق
سرقة او طاب لهم في سلامة البدن صحة فيقولون عند ذلك الحمد لله هذا
من فضل الله تعالى فانى يتساوى هؤلاء الغافلون العاجزون اولئك
السعداء المجدين المجتهدين ولذلك صار هؤلاء المساكين من هذا
الخير محرومين وان اولئك المؤيدون بها فرحين ولذلك قسم
[illegible] الحكم سبحانه وهو اعلم بالقائمين فهذا تفصيل قوله
اليس الله باعلم بالشاكرين [illegible] حقه واعلم ان الفرحة
قط ضما انت تتمناه [illegible] فابذل مجهودك في معرفة
قدر نعم الله تعالى وتعظيمها حق تعظيمها [illegible] ولم تعطها
[illegible] عليك ما بقا [illegible] تعرض في [illegible]
انعم

انه رءوف رحيم الاصل كما ان النعمة انما تسلب ممن لا يعرف قدرها والذي
لا يعرف قدرها الكفور الذي كفرها ولا يؤدي شكرها وفي ذلك قوله تعالى
واتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها فاتبعه الشيطان فكان
من الغاوين ولو شئنا لرفعناه بها الآية تقدير الكلام انا انعمنا على
هذا العبد بالنعم العظام والايادي الجسام في باب الدين ومكناه للذكر
من تحصيل الرتبة الكبيرة والمنزلة الرفيعة على بابنا فيصير رفيعا
عندنا عظيم القدر كثير الجاه ولكنه جهل قدر نعمتنا فمال الى الدنيا
الخسيسة الحقيرة شهوة نفسه الدنية الوضيعة ولم يعلم ان الدنيا
كلها لا تزن عند الله تعالى لا في نعمة من نعم الدين جناح بعوضة
وكان نحو ذلك بمنزلة الكلب الذي لا يعرف الاكرام من الاهانة والرفعة والشرف
من الحقارة وانما الى الكرامة كلها عنده في كسرة يطعمها او عرق
مائدة يرمى اليه سواء تقعده على سرير مملكة وتقيمه في التراب والعذرة
بين يديك وتعظمه وتحشمه وكرامته كله في ذلك فهذا العبد السوء
لما جهل قدر نعمتنا ولم يعرف حق ما آتيناه من كرامتنا فكلت نعمتنا
وهمته في مقام قربة الينا الا تلتفت الى غيرنا والاشتغال عن ذكرنا
نعمتنا بدنيا حقيرة ولذة خسيسة فنظرنا اليه نظرا آيسا ايضا غضبا
واحضرناه ميدان فيه محل الجبر فسلبناه ما كثير عليه
فلسا

خلعنا وكرامتنا ونزعناه من قلبه معرفتنا فانسلخ عاريا عن جميع ما آتيناه
من فضلنا فصار كلبا طريدا وشيطانا رجيما نعوذ بالله ثم نعوذ بالله من
سخطه واليم عقابه انه بنا رءوف رحيم ثم اقنع مثال لملك يكرم عبده فيخلع
عليه خاصة ثيابه ويقربه منه ويجعله فوق سائر عبيده وحجابه وامر الائمة
بابه ثم امر ان يبنى له في موضع اشرف القصور ويوضع له الاسرة وتنصب له الموائد
وتزين له الجواري وتقام له الغلمان حتى اذا رجع من خدمته جلس هناك ملكا
مخدوما مكرما وما بين جارية خادمة اليه مكرم وولا به لا ساعة من نهار او ان قال الصبر
هذا العبد على باب الملك سائسا للدواب يأكل رغيفا وكلبا ينظر غطا
تشغل عن خدمة الملك ينظر اليه وإقباله عليه ولا يلتفت الى ما له من الخلع
والكرامة فسعى الى ذلك السائس ويتذلل ويسأله شيئا من رغيفه او ينزعه
الكلب عن عظمه ويغبطهم ويغبطهم كانما فيه السر للملك اذا نظر اليه على هذه الحالة
يقول هذا سفيه دني الهمة لم يعرف حق نعمتنا ولم يقدر فلا عزلنا بخلعنا والتقريب
الى حضرتنا مع ما صرفنا اليه من عنايتنا و[illegible] من فضائرنا وضوء الادب الى النعم
ما هذا الا ساقط الهمة عظيم جهل قليل التمييز سفيه و[illegible]
حال العالم لما مال الى الدنيا واقبل عليها فاتبع الهوى بعدما آتيناه عنايتنا و
آياته وشريعته واحكامه لم يعرف حق ذلك فيصير الى اخس شيء عند الله عز وجل وابوة
عمل وبين عينيه ويحرص عليه وكان في فضائله من جميع ما عصي من تلك النعم العزيزة

ولكنه اخلد الى الارض اي الى الدنيا

من الحلم والعيان والحكم والحقايق ولذلك من خصه الله تعالى بانواع توفيقه وعصمته
وزينته بانواع خدمته وعباداته وايدهم الطرائق بالرحمة في اكثر اوقاته وباهى
ملائكته واعطاه الاجابة والوجاهة واحله محل الشفاعة وانزله منزلة لا اعز
حتى انه صار بحيث لو دعاه لاجابه ولباه ولو سأله لاعطاه واغناه ولو شفع
في عالم الشفعه فيهم وارضاه ولو اقسم عليه لابر واوفاه ولو خطر بباله
اعطاه قبل ان يسأله بلسانه فمن كانت هذه حالة ثم لم يعرف قدر هذه النعمة
ولم ينظر الى قدر هذه المنة فيعدل الى شهوة النفس الردية التي لا احيا لها او
من الدنيا الدنية التي لا بقا لها ولم ينظر الى تلك الكرامات والخلع والهدايا
والمنن العظام والعطايا ثم وعد واعدله في الاخرة من الثواب العظيم والنعيم المقيم فاخسر
من نفس وما اسوء من عبد وما اعظم خطه لو علم وما افحش صنعه لو فهم نسأل
الله تعالى البر الرحيم ان يصلحنا بعظيم فضله وسعة رحمته انه ارحم الراحمين
فعليك ايها الرجل ببذل المجهود حتى تعرف قدر نعم الله تعالى عليك واذا انعم عليك
بنعمة الدين فاياك ان تلتفت الى الدنيا وحطامها فان ذلك منك لا يكون الا بغير
... ولا ... اعز نعمة الدين اما سمع قوله لسيد المرسلين
صلوات الله عليه ولقد اتيناك سبعا من المثاني والقرآن العظيم لا تمدن عينيك
الى ما متعنا به ازواجا منهم الآية تدبر ان كل من اوتي القرآن العظيم فحق له ان لا
ينظر الى الدنيا الحقيرة نظرا ... فضلا عن ان يكون له فيه رغبة فليلزم الشكر

على ذلك فانها الكرامة التي حرص خليله ابرهيم عليه السلام ان يبقى
بها على ابيه ولم يفعل وحرص حبيبه المصطفى صلى الله عليه وسلم
ان يمن بها على عمه ابي طالب فلم يفعل واما حطام الدنيا فانه
يصيبه على كل كافر وملحد وزنديق وجاهل وفاسق الذين هم
اهون خلقه عليه حتى غمرهم فيها ويصرفه عن كل نبي وصفي وصديق
وعالم وعابد الذين هم اعز خلق الله عليه حتى انهم لا يكادون
يصيبون كسرة وخرقة ويمن عليهم بان لا يلحقهم بقدرها حتى
قال عز من قائل لموسى عليه السلام ولو اشاء ان ازينكما بزينة ...
حتى يراها ان مقدرته تعجز عنها لفعلت ولكني ازوي عنكما وارغب
بكما عنه وكذلك افعل باوليائي واني لاذودهم عن نعيمها كما يذود
الراعي الشفيق ابله عن مبارك العرة واني لاجنبهم سلوتها وعيشها
وليس ذلك لهوانهم علي ولكنهم ليستكملوا احظهم من كرامتي وقال تعالى
ولولا ان يكون الناس امة واحدة لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم
سقفا من فضة الآية فانظر الفرق بين امرين ان كنت تبصر
وقل الحمد لله الذي ... علمني بسنن اوليائه واصفيائه وصرف
عني فتنة اعدائه ... بالشكر ... والحمد الاكبر والمنة الكبرى
والنعمة العظمى التي هي الاسلام فانه ... باب لا تغتر

لكلّت لهاتك عن شكرها فانك وان كنت عاجزا عن عرفان قدرها
فاعلم بالحقيقة انك لو خُلقت من اول الدنيا وبقيت في شكر الاسلام
من اول الوقت الى الابد لما كنت تقوم بذلك ولما قضيت بعض الحق
لما هنالك من الفضل العظيم قلت واعلم ان الموضع لا يحتمل ذكر ما يبلغ
علمي من قدر هذه النعمة ولو امليت فيه الف ورقة لكان مبلغ علمي
فوق ذلك مع اعترافي بان ما اعلمه في جنب ما لا اعلمه كنقطة في بحار
الدنيا باسرها اما تسمع ويذكّر قوله عز وجل لسيد المرسلين صلى الله عليه وسلم
ما كنت تدري ما الكتاب ولا الايمان الاية وقوله وعلّمك ما لم تكن تعلم
وكان فضل الله عليك عظيما وقال تعالى للقوم بل الله يمن عليكم ان هداكم
للايمان اما تسمع قوله عليه السلام وقد سمع رجلا يقول الحمد لله على الاسلام
فقال انك لتحمد الله تعالى على نعمة عظيمة ولما قدم البشير على يعقوب
عليه السلام قال على اي دين تركته قال على الاسلام قال الان تمت النعمة
وقيل ما من كلمة احب الى الله تعالى ولا ابلغ عنده في الشكر من ان
يقول العبد الحمد لله الذي انعم علينا وهدانا الى الاسلام فاياك
ان تغفل شكر نعمة ما انت عليه في الحال من الاسلام والمعرفة وكذا
التوفيق والعصمة فان مع ذكر الموضع الامن والغفلة فان
الامور بالعواقب وكان سفيان الثوري يقول ما امن احدكم

[...] نسأل الله ان يجعلنا من زمرة المتعظين
المتدبرين ولا يجعلنا من جملة الغافلين المغترين
بفضله وكرمه

على دينه الا سلب وكان شيخنا يقول اذا سمعت بحال الكفار
وخلودهم في النار فلا تامن على نفسك فان الامر على الخطر ولا تدري
ماذا يكون من العاقبة وما سبق لك في حكم الغيب ولا تغتر بصفاء
الاوقات فان تحتها غوامض الافات وقال بعضهم يا معشر
المغترين بالعصمة ان تحتها انواع النقم ان الله تعالى لابليس
عصمة وهو عنده في حقائق لعنته وان بلعم بن باعورا بانواع
ولايته وهو عنده في حقائق عداوته وعن على رضي الله عنه كم من مستدرج
بالاحسان وكم من مفتون بحسن القول فيه وكم من مغرور بالستر
عليه وقيل لا تكونن افضى ما يخدع به العبد الالطاف والكرامات
وقال لذلك قال سبحانه وتعالى سنستدرجهم من حيث لا يعلمون
قيل نسبغ عليهم النعم وننسيهم الشكر واليه اشار القائل شعر
احسنت ظنك بالايام اذ حسنت ولم تخف سوء ما ياتي به القدر
وسالمتك الليالي فاغتررت بها وعند صفو الليالي يحدث الكدر
واعلم انك انما انك كلما صرت اقرب فامرك اخوف واصعب والمعاملة
اشد ولا ترقى والخطر عليك عظيم فان الشيء كلما كان ابلغ علوا فان
انقلب كان اصعب وقوعا كما قيل ما طار طير فارتفع الا كما طار
وقع فاذن لا سبيل الى الامن واغفال الشكر وترك الابتهال في الحفظ

بحال وكان ابرهيم بن ادهم يقول كيف نامن وابرهيم الخليل
صلوات الله عليه يقول واجنبني وبني ان نعبد الاصنام ويوسف
الصديق يقول توفني مسلما والحقني بالصالحين وكان
سفيان الثوري رحمه الله عليه لا يزال يقول اللهم سلم سلم كانه
كان في سفينة يخشى الغرق وبلغنا عن محمد بن يوسف يقول
تاملت سفيان الثوري ليله فبكى الليل كله اجمع فقلت ابكاؤك هذا
على الذنوب على الله اهون من هذا انما اخاف ان تسلبني الاسلام
والعياذ بالله وسمعت ان بعض العارفين يقول ان بعض
الانبياء عليهم السلام سال الله تعالى عن امر بلعام وطرده بعد تلك
الايات والكرامات فقال تعالى لم يشكرني يوما من الايام على ما اعطيته
ولو شكرني على ذلك مرة لما سلبته فتيقظ ايها الرجل واحتفظ
بركن الشكر جدا والحمد لله على منته في الدين اعلاها الاسلام والمعرفة
وادناها مثلا توفيق تسبيح وعصمة من كلمة لا تعنيك
عسى ان يتم نعمته عليك ولا يبتليك بمرارة الزوال فان امر
الامور واصعبها الاهانة بعد الاكرام والطرد بعد التقرب
والفراق بعد الوصال وهو تعالى الماجد الكريم الرؤف الرحيم
فصل وجملة الامر انك اذا احسنت النظر في معنى اسم

تعالى العظام عليك وايادية الجسام الكرامة لا تحصرها فلك
ولا تحيط بها ومعها حتى خلقت هذه الصفات الصعاب فجدت
العلوم والبصاير وتطهرت من الاوزار والكباير وسبقت العوايق
ووقيت العوارض وظفرت بالبواعث وسلمت من القوادح فكم
حصل فيها من خصلة شريفة ورتبة منيفة اذ لها التبصير
والتخويف ولغرها التقريب والتشريف فتامل فيها بعقلك
عقلك وتوفيقك وشكرت الله تعالى على قدر طاقتك بان يشغل لسانك
بحمده وثنائه دائما قلبك بعظمته ويلطفك مبلغا يحول بينك بين
عصيانه ويحثك على الخدمة له بما امكنك او بسعة طاقتك معترفا
بالقصور من حق نعامه واحسانه وكلما اغفلت شكرك او قدرت
او زللت عاودت واجتهدت وتضرعت اليه وتوسلت وقلت
يا الله يا مولاي كما بدات بالاحسان بفضلك من غير استحقاق
وتباديته بهذه الاولياء الذين وجدوا تاج هدايته وذاقوا حلاوة
معرفته فخافوا على انفسهم حرقة الطرد والاهانة ووحشة
البعد والضلالة ومرارة العزل والازالة فتضرعوا بالباب
مستغيثين ومدوا اليه الاكف متبتهلين ونادوه في الخلوات
مستحضرين ربنا لا تزغ قلوبنا بعد اذ هديتنا وهب لنا



من لا نكد رحمة انك انت الوهاب قلت انا والله اعلم تقدير
انا اوصدنا مثل نعمة فقطعنا في العقبة لم تزل انت الجواد الوهاب فكما
وهبت منة للانعام في الابتداء فهب لنا نعمة الاتمام
في الانتهاء اما تسمع وتعلم اول دعاء علمه رب العالمين عباده
المسلمين الذين اصطفاهم من بين خلقه هذا الدعاء قوله
اهدنا الصراط المستقيم اي ثبتنا عليه واهده لنا هكذا
نتضرع اليه فان الخطر عظيم وقد قال الحكماء نظروا فوجدوا اصعب
العالم ومحنه اربعا المرض في الغربة والفقر في الشيب والموت
في الشباب والعمى بعد البصر والنكرة بعد المعرفة واحسن من ذلك
قول من قال شعرا لكل شيء اذا فارقته عوض وليس لله ان
فارقت من عوض ولغيره اذا انبعث الذنب على المرء دينه
فما فاته منها فليس بضائر ولذلك كل نعمة انعم بها عليك ويا بدل
يتكرر في قطع عقبة من العقبات ليثبت عليك ما اعطى ويزيدك
فوق ما نويت وتمنيت واذا فعلت ذلك كنت خلفت هذه
العقبة الخطرة وظفرت بالكنزين الكريمين العزيزين
اللذين هما الاستقامة والاستزادة فيكمل لك النعم الموجودة
التي اعطاكها فلا تخشى زوالها ويزيدك من النعم المفقودة

١٢٨

التي لم تعط بعد مثلها لا تحسن ان تسالها وتتمناها فلا تخشى فواتها
وكنت حينئذ من العارفين بالله التائبين الطاهرين الزاهدين
في الدنيا المتجردين للخدمة القاهرين للشيطان المتقين حق
التقوى بالقلب والاركان القاصرين للامل الناصحين الخاشعين
المتواضعين المتوكلين المفوضين الراضين الصابرين الخائفين
الراجين المخلصين الذاكرين المنة الشاكرين للنعم سيدهم رب
العالمين ثم اصبحت بعد ذلك من المتقين المكرمين الصديقين فتامل
هذا الكلام والله ولي التوفيق فاذا قلت اذا كان الامر كذلك لقد
قل من الناس العابد لهذا المعبود والواصل الى هذا المقصود ومن
الذي يقوى على هذه المؤن وتحصيل هذه الشرائط فاعلم ان الله
عز وجل لذلك يقول وقليل من عبادي الشكور ولكن اكثر الناس
لا يشكرون لا يعقلون لا يعلمون ثم ان ذلك يسير على من يسر الله
تعالى عليه وعلى العبد الاجتهاد وعلى الله سبحانه وتعالى الهداية
قال الله والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا واذا كان
العبد الضعيف يقوم بما عليه فما ظنك بالرب القدير الغني
الكريم الرحيم فان قلت فالعمر قصير وهذه فلعلها
عقبات طويلة والشرائط فيها شديدة ولكن اذا اراد

استفهام

عطاء الهداية
الحفظ عن الزوال

فكيف يبقى العمر حتى تقطع هذه الشرائط
ويقطع هذه العقبات في مدة عمره

الله تعالى ان يحيى عبده وقصر عليه طويلها وهون هذا الامر

وايسر وفي مثل ذلك قلت انا عقبات وفي على هذه الغاية شعر

علم المحبة واضح لمريده وارى القلوب عن المحبة في عمى

ولقد عجبت لهالك ونجاته موجودة ولقد عجبت لمن نجا

حتى ان منهم من يقطع هذه العقبات في سبعين سنة ومنهم

من يقطعها في عشرين سنة وفي عشر سنين ومنهم من يحصل

له في سنة ومنهم يقطعها في شهر بل في جمعة بل في ساعة حتى ان منهم

من يحصل له في لحظة بتوفيق خاص وعناية سابقة اما تذكر

اصحاب الكهف فقالوا ربنا رب السموات والارض

فحصلت لهم المعرفة وابصروا في هذا الطريق من الحقايق

وقطعوا هذا الطريق فصاروا مفوضين متوكلين مستقيمين

اذ قالوا فأووا الى الكهف ينشر لكم ربكم من رحمته وكل ذلك

انما حصل لهم في مقدار ساعة او لحظة اما تذكر سحرة فرعون

ما كان ذلك انما حصل لهم مدتهم الا لحظة حيث رأوا معجزة

موسى عليه السلام فقالوا امنا برب العالمين فابصروا

الطريق وقطعوه حقه وصاروا من ساعة الى ساعة

بل افضل من العارفين بالله الراضين بقضاء الله الصابرين

على بلاية السالكين بالآنة لسنة فمن الى الغاية فما دوا الاضير

انا الى ربنا لمنقلبون ولقد حكينا ان ابرهيم بن ادهم

كان على ما كان عليه من امر الدنيا تعدى عن ذلك وقصد هذا

الطريق فلم يلبث الا مقدار سيره من بلخ الى مرو الروذ حتى صار

بحيث اشار الى رجل سقط من القنطرة في الماء الكبير هنالك ان

قف فوقف الرجل مكانه في الهواء فتخلص وان رابعة البصرية

كانت امة كبيرة يطاف بها في سوق البصرة لا يرغب فيها احد

لكبر سنها فرحمها بعض التجار فاشتراها بنحو مائة درهم واعتقها

فاختارت هذا الطريق واقبلت على العبادة فما اتت لها سنة حتى

زارها زهاد البصرة وقراؤها وعلماؤها لعظم منزلتها

واما الذي لم تسبق له العناية ولم يعامل بالفضل فيوكل الى نفسه

فربما يبقى في شعب من جهة واحدة سبعين سنة لا يقطعها

وهو يصيح ويصرخ ما اظلم هذا الطريق واشكله واعسر

هذا الامر واعضله فان الناس كلهم فاضل وعدل فتفكر بقدر

العزيز العليم العدل الحكيم فان قلت لم اختص هذا بتوفيق

الخاص وحرم هذا وكلاهما مشتركان في ربقة العبودية

فعند هذا السؤال ينادى من سرادق الجلال الزم

من سرادقات

الالباب واعرف سر الربوبية فانه لا يسأل عما يفعل وهم يسألون

قلت انا ومثال هذا الطريق في الدنيا الصراط في الآخرة في عقباتها ومسافاتها ومعاطفها واختلاف احوال الخلائق فيها فمنهم من يمر عليه كالبرق الخاطف ومنهم من يمر عليه كالريح العاصف والآخر كالفرس الجواد والآخر كالطير والآخر يتر ولآخر يزحف حتى يصير فحمة والآخر يسمع حسيسها والآخر يؤخذ بكلاليب فيطرح في جهنم فكذلك حال هذا الطريق مع سالكيها في الدنيا فهما صراطان في الدنيا وصراط في الآخرة فصراط الآخرة للانفس يرى اهوالها اهل الابصار وصراط الدنيا للقلوب يرى اهوالها اولو البصائر والالباب وانما اختلف الاحوال للسالكين في كثافة الاخلاق فيهم في الدنيا فتأمل ذلك حق تأمل هذه

ثم اعلم ثانيًا لتحقيق هذا الباب ومعرفته ليس هذا الطريق في طوله مثل المسافات الكائنة التي تسلكها الانفس فتقطعها بالاقدام فيقع قطعها وضعفها انما هو طريق روحاني تسلكه القلوب فتقطعه بالافكار على حسب العقائد والبصائر اصلها نور سماوي

ونظر الهي يقع في قلب العبد بنظرة فيرى بها امور الدارين بالحقيقة ثم هذا النور ربما يطلبه العبد مائة سنة فلا يجده ولا اثر منه وذلك لخطأيه في الطلب وتقصير في الاجتهاد وجهله بطريق ذلك وآخر يجده في خمسين وآخر في عشر وآخر في يوم وآخر في ساعة ولحظة بعناية رب العزة وهو تعالى ولي الهداية لكن العبد مأمور بالاجتهاد وفعله بما أمر والامر مقسوم مقدر والرب حكم عدل يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد فان قلت ما اعظم هذا الخطر واشد هذا الامر وما اكثر ما يحتاج اليه هذا العبد الضعيف وهذا كثر هذا العمل والجهد وتحصيل هذه الشرائط لماذا فاقول انك صادق من قولك لكن الامر شديد والخطر عظيم ولذلك قال لقد خلقنا الانسان في كبد وقال تعالى انا عرضنا الامانة على السموات والارض والجبال فابين ان يحملنها واشفقن منها وحملها الانسان انه كان ظلوما جهولا ولذلك قال سيد المرسلين صلوات الله عليه لو تعلمون ما اعلم لبكيتم كثيرا ولضحكتم قليلا وما روي ان المنادي ينادي من السماء ليت هذا الخلق لم يخلقوا وليتهم اذ خلقوا

علموا لماذا خلقوا ولذلك يقول السلف ذلك وعن
ابي بكر رضي الله عنه قال وددت اني كنت خضرا تاكلني
الدواب مخافة العذاب وعن عمر رضي الله عنه انه سمع انسانا يقرأ
هل اتى على الانسان حين من الدهر لم يكن شيئا مذكورا قال ليتها
تمت وقال ابو عبيدة وددت اني كنت كبشا لاهلي فيفنون
لحمي ويحسون مرقي ولم اخلق وعن وهب بن منبه خلق ابن
ادم احمق ولولا حمقه لما هنأه عيش وعن الفضيل
اني لا اغبط ملكا مقربا ولا نبيا مرسلا ولا عبدا صالحا
اليس هولاء يعاينون يوم القيمة انما اغبط من لم يخلق
وعن عطاء السلمي لو ان نارا اوقدت فقيل من القى نفسه
فيها صار لا شي لخشيت ان اموت من الفرح قبل ان اصل
الى النار فالامر لان ايها الرجل شديد كما تقول بل اشد
واعظم مما تظن وتتوهم ولكنه امر سبق في العلم القديم
وتدبير العزيز العليم فلا حيلة للعبد الا بذل المجهود
في العبودية والاعتصام بحبل الله والابتهال دايما الى الله
تعالى عسى ان يرحم الله تعالى فيسلم بفضله واما قولك هذا
لماذا فهذا كلام يدل منك على غفلة عظيمة بل الصواب

قولك

ان تقول كل هذا في جنب ما يطلبه العبد الضعيف
ماذا الذي العبد الضعيف فاقل ما يطلبه على الجملة
شيان احدهما السلامة في الدارين والثاني الملك في الدارين
اما السلامة في الدارين فان الدنيا وفتنتها وغوايلها
بحيث لم يسلم منها الملائكة المقربون ولقد سمعت حديث
هاروت وماروت حتى روي انه اذا خرج بروح العبد
الى السماء يقول ملايكة السموات متعجبين كيف نجا هذا
من دار فسد فيها خيارنا وان الاخرة في اهوالها
وشدايدها بحيث يصيح فيها الانبياء والرسل نفسي نفسي
لا اسالك اليوم الا نفسي حتى روي انه لو كان لرجل عمل سبعين
نبيا لظن انه لا ينجو فمن اراد ان يسلم من فتن هذه ونجح
منها بالاسلام سالما لا يصيبه فتنة ومن اهوال هذه
هلك فيدخل الجنة سالما لا يصيبه نكبة فيكون ذلك امرا هينا
اما الملك والكرامة فان الملك نفاذ التصرف والمشية وان
ذكر بالحقيقة في الدنيا لاوليا الله واصفيايه الراضين
بقضايه والبر والبحر والارض لهم قدم والحجر والمدر لهم ذهب
وفضة والجن والانس والبهايم والطيور لهم مسخرون

ولا يانفون من شي ابدا وهم كابن لاغنم لا يانفون الا مما يانف الله
وما شاء الله كان ولا يهابون احدا من الخلق وبها يهابهم كل الخلق
ولا يخدمون احدا الا الله ويخدمهم كل من دون الله وان
الملوك الدنيا بعشر معشار هذه الرتبة بل هم اذل واذل
واما ملك الآخرة فيقول الله تعالى واذا رايت ثم رايت نعيما
وملكا كبيرا واعظم ما تقول رب العزة جل جلاله انه ملك
كبير وانك تعلم ان الدنيا باسرها قليل وان بقاؤها واهلها
العمر قليل ونصيب احد من هذا القليل في بقائه قليل
وان حصل له ذلك فيتعذر بل يغبط ولا يستكثر ما يبذل فيه
من المال والنفس نحو ما ذكر عن امرئ القيس حيث يقول
شعر بكى صاحبي لما راى الدرب دونه فقلت له لا تبك عينك انما
نحاول ملكا او نموت فنعذرا فكيف حال من يطلب
الملك الكبير في دار النعيم الخالد المقيم فتشكل مع
ذلك ان يصلي ركعتين لله عز وجل وينفق درهما او يسهر
ليلة كلا بل لو كان له الف الف روح والف الف عمر مثل
عمر الدنيا واكثر فبذل ذلك كله في هذا المطلوب العزيز لكان
ذلك قليلا ولئن ظفر بجملة ما طلب كان ذلك غنما عظيما جليلا

وفضلا من الذي اعطاه كثيرا فتنبه ايها المسكين من
رقدة الغافلين ثم اني تاملت ما يعطيه الله سبحانه
العبد اذا اطاعه ولزم خدمته وسلك هذا الطريق
عمره فوجدته على الجملة اربعين كرامة وخلعة عشرين
منها في الدنيا وعشرين منها في العقبى اما التي في الدنيا فالاولى
ان يذكره الله تعالى ويثني عليه واكرم بعبد يكون رب العزة
ورب العالمين في ذكره وثنائه والثانية ان يشكره جل
جلاله ويعظمه ولو شكرك مخلوق ضعيف مثلك وعظمك
لتشرفت به فكيف باله الاولين والآخرين والثالثة ان يحبه
ولو احبك رئيس محلة او امير بلدة لافتخرت بذلك وانتفعت
به في مواطن عديدة فكيف بمحبة رب العالمين والرابعة ان
يكون له وكيلا يدبر امره والخامسة ان يكون لرزقه كفيلا
يوجهه اليه من حال الى حال من غير تعب او وبال والسادسة

ان يكون له نصيرًا يكفيه كل عدوٍ ويدفع عنه كل قاصدٍ
بسوء والسابعة ان يكون له انيسًا لا يستوحش بحال ولا يخاف
التغيّر والاستبدال والثامنة عزّ النفس فلا يلحقه ذل
خدمة الدنيا واهلها بل لا يرضى ان يخدمه ملوك الدنيا و
جبابرتها والتاسعة رفع الهمّة فيرتفع من التلطّخ بقاذير
الدنيا واهلها ولا يلتفت الى زخارفها وملاهيها يرفع الى حال
الرجال الالبّاء عن ملاعبة الصبيان والنسوان والعاشرة
غنا القلب فيكون اغنى من كل غنيّ في الدنيا لا يزال طيّب النفس
فسيح الصدر لا يفزعه جدب ولا يهمّه عدم والاحد عشر
نور القلب فيهتدي بنور قلبه الى علوم واسرار وحكم
لا يهتدي الى بعضها غيره الا بجهدٍ جهيد وعمر مديد و
الثانية عشر شرح الصدر فلا يضيق ذرعًا بشيء من محن
الدنيا ومصائبها ومكارهها ومؤنة الناس ومكايدهم

والثالثة عشر

والثالثة عشر المهابة والموقع في النفوس بحيث يهابه الاخيار
والاشرار ويهابه كل فرعون وجبّار والرابعة عشر المحبّة
في القلوب يجعل لهم الرحمن ودًّا فترى القلوب كلها مجبولة
على حبّه والنفوس كلها مطبوعة على تعظيمه واكرامه والخامسة
عشر البركة العامّة في كل شيء من كلام او نفس او فعل
او ثواب او مكان حتى يتبرّك من تراب وطيئه وبمكان جلس
فيه يومًا وبانسان صحبه ورآه حينًا والسادسة عشر
تسخير الارض من البرّ والبحر حتى ان شاء سار في الهوى او مشى
على الماء او قطع وليجة الارض باقلّ من ساعة والسابعة عشر
تسخير الحيوان من الوحوش والسباع والهوامّ وغيرها فتجيبه
الوحوش وتبصبص له الاسود والثامنة عشر المفاتيح
الارض فحيث ما يضرب يده فله كنز ان اراد وحيث ما يضرب
رجله فله عين ان احتاج واينما نزل فله مائدة تحضر ان قصد

والتاسعة عشر القيادة والوجاهة على باب رب العزة فيبتغي
الخلق الوسيلة الى الله تعالى بخدمته وتستنجح الحاجات من الله
تعالى بوجاهته وبركاته والعشرون اجابة الدعوة من الله تعالى
فلو يسأل الله شيئا الا اعطاه اياه ولا يشفع لاحد الا شفع ولو
اقسم على الله لابره بما شاء حتى ان منهم من لو اشار الى الجبل لزال
فلو يحتاج الى السؤال باللسان ولو خطر شيء بباله لحضر فلو يحتاج
الى الاشارة باليد فهذه كرامات في الدنيا واما التي في العقبى فالاحدى
والعشرون ان يهون الله عليه اولا سكرات الموت وهي التي وجلت
قلوب الانبياء صلوات الله عليهم اجمعين منها حتى سئلوا الله تعالى
ان يهونها عليهم حتى ان منهم من يكون الموت عنده مثل شربة الماء
الزلال للظمآن قال الله عز وجل والذين يتوفاهم الملائكة طيبين
والثانية والعشرون التثبيت على المعرفة والايمان وهو الذي منه
كل الخوف والفزع وعليه كل البكاء والجزع قال عز من قائل يثبت الله

الذين آمنوا بالقول الثابت في الحيوة الدنيا والآخرة والثالثة و
العشرون ارسال الروح والريحان بالبشرى والامان قوله سبحانه
تعالى الا تخافوا ولا تحزنوا وابشروا بالجنة كنتم توعدون فلا
يخاف مما يقدم عليه في العقبى ولا يحزن على ما خلفه في الدنيا
والرابعة والعشرون الخلود في الجنة والخامسة والعشرون نشر رحمة
في السر لروحه على ملائكة السموات بالاكرام والالطاف والانعام
ولبدنه في العلانية بتعظيم جنازته والمزاحمة على الصلوة والمبادرة
الى تجهيزه ويرجون بذلك اكثر ثواب الله ويعدونه عظيم غنم
والسادسة والعشرون الامان من فتنة سؤال القبر وتلقين
الصواب فيأمن ذلك الخوف والسابعة والعشرون توسيع
الهول
القبر وتنويره فيكون في روضة من رياض الجنة الى يوم القيمة
والثامنة والعشرون ايناس روحه ونسمته واكرامها فتجعل
في اجواف طير خضر مع الاخوان الصالحين فرحين مستبشرين

بما آتاهم الله من فضله والتاسعة والعشرون الحشر في المعية
والكرامة من حلل وتاج وبراق والثلثون بياض الوجه ونوره
قال الله تعالى وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة وقال الله تعالى
وجوه يومئذ مسفرة ضاحكة مستبشرة والحادي والثلاثون الامن
من اهوال القيامة وقال الله تعالى أمّن يأتي آمنا يوم القيامة
والثانية والثلاثون تيسير الحساب ومنهم من لا يحاسب اصلا
والثالثة والثلثون الكتاب باليمين ومنهم من كفي الكتاب رأسا
والرابعة والثلاثون ثقل الميزان ومنهم من لا يوقف للوزن اصلا
والخامسة والثلثون ورود الحوض على النبي صلى الله عليه وسلم فيشرب
شربة لا يظمأ بعدها ابدا السادسة والثلاثون جواز الصراط
والنجاة من النار حتى ان منهم من لا يسمع حسيسها وتخمد له النار
السابعة والثلاثون الشفاعة في عرصة القيامة نحوا من شفاعة
الانبياء والرسل الثامنة والثلاثون ملك الابد في الجنة

والتاسعة

والتاسعة والثلثون الرضوان الاكبر والاربعون
لقاء رب العالمين اله الاولين والاخرين بلا كيف جل
جلاله ثم اقول وانما عددت ذلك على حسب فهمي ومبلغ
علمي في قصوري ونقصه ومع ذلك وقد اجملت واوجزت
وذكرت من الاصول والجمل ولو فصلت بعض ذلك لما
احتمله الكتاب الا ترى انني جعلت ملك الابد خلعة واحدة
ولم افصلها ولو فصلتها لارتفعت عن اربعين خلعة
من نوع الحور والقصور واللباس وغير ذلك ثم كل نوع
يشتمل على تفاصيل لا يحيط بها الا عالم الغيب والشهادة
الذي هو خالقها ومالكها واي مطمع لنا من معرفة ذلك
وربنا سبحانه وتعالى يقول فلا تعلم نفس ما اخفي لهم من
قرة اعين ثم رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول خلق فيها
ما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر

وانّ المفسّر يقول في قوله تعالى لنفد البحر قبل ان تنفد
كلمات ربّي انّ هذه هي الكلمات التي يقول الله تعالى لاهل الجنة
باللطف والاكرام ومن يكون حالة هذه فانّى يبلغ جزأ من
الف الف جزء منه وهم بشر او يحيط به علم مخلوق كلا بل
تقاعدت الهمم وتقاصرت دونها العقول وحق ان يكون
ذلك كذلك وهو عطاء العزيز العظيم (العليم) على مقتضى الفضل
العظيم وحسب الجود القديم ألا فليعمل العاملون وليبذل
المجتهدون جهدهم لهذا المطلوب العظيم وليعلموا انّ ذلك
كله لاقل قليل في جنب ما هم اليه يحتاجون واياه يطلبون
وله يتعرضون وليعلموا انّ العبد لا بدّ له في الجملة من اربعة
العلم والعمل والاخلاص والخوف فيعلم اولاً الطريق والا فهو اعمى
ثم يعمل بالعلم والا فهو محجوب ثم يخلص العمل والا فهو مغبون
ثم لا يخلو يخاف ويحذر من الآفات الى ان يجد الامان والا فهو مغرور

مطلب

ولقد

١٣٦

ولقد صدق ذو النون رحمه الله حيث قال الخلق كلهم موتى
الا العلماء والعلماء كلهم نيام الا العاملون والعاملون كلهم
مغترون الا المخلصون والمخلصون على خطر عظيم قلت انا
والعجب كل العجب من اربعة احدها من غافل غير عالم اما يهمّه ثمّ
معرفة ما بين يديه واما يتعرف ما هو مطلع بعد الموت عليه
بالنظر في هذه الدلائل والعبر والاستماع الى هذه الآيات
والنذر والانضاج لهذه الخواطر والهواجس في النفس قال الله
تعالى أولم ينظروا في ملكوت السموات والارض وما خلق الله من
شيء وقال الله تعالى ألا يظن اولئك انهم مبعوثون ليوم عظيم
والثاني من عالم غير عامل اما يتذكر ما يعلم يقيناً مما بين يديه
من الاهوال العظام والعقبات وهذا هو النبأ العظيم
الذي انتم عنه معرضون والثالثة من عامل غير مخلص
لا يتأمل قول الله تعالى فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملاً صالحاً

والانزعاج

ولا يشرك بعبادة ربه احداً الرابعة من مخلص غير خائف
انما ينظر الى معاملوته جل جلاله مع اصفيائه واوليائه وخدمه
الدالة بينه وبين خلقه حتى يقول لاكرم الخلق صلوات الله
عليه وسلامه ولقد اوحي اليك والى الذين من قبلك الآيات
ونحوها حتى كان يقول صلى الله عليه وسلم شيبتني سورة هود
واخواتها ثم جملة الامر وتفصيله ما قاله رب العالمين
في اربع آيات من الكتاب العزيز قوله عز وجل أفحسبتم انما
خلقناكم عبثاً وانكم الينا لا ترجعون ثم قال جل اسمه ولتنظر
نفس ما قدمت لغدٍ واتقوا الله ان الله خبير بما تعملون
ثم قال جل اسمه من قائل والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا
ثم اجمل الكل فقال وهو اصدق القائلين ومن جاهد فانما يجاهد
لنفسه ان الله لغني عن العالمين ونحن نستغفر الله رب
العالمين من كل ما زل به القدم او طغى به القلم ونستغفره

من اقاويلنا التي لا توافق اعمالنا ونستغفره مما ادعيناه
واظهرناه من العلم بدين الله مع التقصير فيه ونستغفره
من كل خطرة دعتنا الى تصنع وتزين في كتاب سطرناه او كلام
نظمناه او علم افدناه ونسئله ان يجعلنا واياكم معشر الاخوان
بما علمناه عاملين ولوجهه به مريدين وان لا يجعله وبالاً
علينا وان يضعه في ميزان الصالحات اذا ردت اعمالنا
الينا انه جواد كريم فهذا ما اردنا ان نذكره في شرح كيفية
سلوك طريق الآخرة وقد وفينا بالمقصود وصلى الله على
خير مولود دعا الى افضل معبود محمد النبي وعلى آله واصحابه
وسلم تسليماً كثيراً كثيراً وهو حسبي ونعم الوكيل ولا حول
ولا قوة الا بالله العلي العظيم يا عليم يا عظيم يا الله تمت
كتاب منهاج العابدين بعون الله وحسن توفيقه لا٩٨ سنه

مهمات من المسائل الفقهية

امام اعظم حضرتلری بیورر کیم اماملق ایدن آدمه درت
مسئله سؤال ایلسه‌لر اگر بیلمز ایسه امامتلکی جائز اولماز
اول بو کیم نمازی جماعت ایله‌نی قلارسن کنده و کیچون می دیه الجواب
بن کندی نمازمی قلارم جماعتوک نمازنی نیت ایله قلارم دیه ایکنجی
بن سکا اویارز یاسن کیمه اویارسن دیه الجواب بن رسول اللهک
شریعتنه اویارم دیه سز بکا اویارسز دیه اوچنجی بن نمازده
امامم سزلرن یا سزلرک امامک حالا کمدر الجواب
بنم امامم قرآندر دردنجی بنم نمازمز سزلکله تمام اولورمی یا سزلک
نمازکز بنمکله تمام اولور الجواب بنم نمازم علمله تمام اولور دیه

فصل برکشی یلان سویلیه قصدیله یلان شهادت
ایلسه یا بر مسلمانه افترا ایلسه اول کشی‌نی آخرتده کوزسوز
ایلیوب و دلینی انکسه سندن چقه اول کشی آیده یارب
قابلی کوزم و دلیم قرآن اوقودی و نماز قلوردم دیه حق تعالی
آیده کرچکسن یاقولم قرآن اوقوردک و نماز قلاردک اما
خلقه افترا ایدوب یلان شهادتنه کیدردک ایتدک و کتک طاعت
فاسد اولوردی انکیچون سنی کوزلک ایلدم دیوب ایدن آمر ایلیه
زبانیلر اوتدن مقراض ایله دلینی کسه‌لر اهل حال دلینی
نقل اولنمشدرکم بر کشی کعبه‌یه واروب حاجت دیلر الله تعالیدن
ندا کلدیکیم یا قولم فلان آدمک سنوککه اوزرکده برینی بول
حقی وار دیر سن خاطرینی بنسلی ایدوب حلالاشمینجه حاجتک
قبول اتمزم دیه امیدی سن شاید عبدک حقی نیجه اولدوغنی اکا
کوره قیاس ایلیه فصل نظر اول عفو و ثانی بالعمدا ثانی منع
ایدیسه اثم عاصی معفور ایدر دیه حاجت درسم روا ایدر دولت
بولنور ایلمیش عسکرینه قلیچ دن کیرمیش دیه بلمشی اولور

اول کشی یه

اولکیسنه جمله ملائکه تحسین و آفرین ایلیه‌لر اولیاء اللهدن
بران کمسنه‌لر بوله کورتش استسنن قالور الله دعا ایدرلر
مودد ایسترلر مولا بولت و یر و بر صوفی بل و یر یوللرب
آیریلور بولکورت اول ولی نورک کتدکی یول ایله کیدر ایل حال
کمسنه قالور کنده نوک کرامت صانورکن سؤال ایتمش
بو کرامت سکا نه دندر وار ایتمش وقت نمازمدن غیری طاعت
بلمزم لکن رسولک بر حدیثین اشتدم نامحرم حقنده بر یرده
نامحرم کمسه کورسم کوزلرمی یومارم و قولاغم بر مشغله طوتارم تا اکیم آنکرک
صوراسنه اشتمیم ددی اول ولی صدق رسول الله دیوب
نه تحتلو سکا کیم حدیث شریفه عمل ایدوب سعادته ایریشمش
میتش یشین بیور دولر بر کمسنه نا محرمه زنا ایلسه و لواطه اولسه
هر عضوی قلیچ اولوب اول ولد الته آلوب محشر میدانینه زناده
بابکینه زنا ایتدکینه مخصوص قلیچ اولوب الته آلوب الله تعالی
محشر یرین صونلنده آنلر و یاد ایدوب محلر ایرشدکچه هر بری
اوضولریله حاله عذاب ایلیه فصل اگر بر کمسنه لواطه ایتسه
قیامت کونی اولوطی کمسه باشندن قوپه حق تعالی حشرده
بر خلق قلعه الجنه صالا که هر برینک اکنن قبر و کمان اوق و یای
و قلیچ اوله اللی بیک ییل ادرینه آلوب عذاب ایلیه
ابتوک هر کونی بر قلیچ اوله اول کمسنه‌نک رحمتدن نصیبی اولمایه مگر
توبه ایلیه دنیاده قبول اوله دار قضاده باقی ملائکه اوتلیه توجه اول زبانیلر
بو عذاب دن قورتلور

جواهر الکلام

اللهم یا مقلب القلوب ثبت قلبی علی دینک اللهم یا مقلب القلوب صرف
قلبی علی طاعتک
هنا تجدید ایمان نعمتله و تجارة
استغفر الله من جمیع ما کره الله قولاً و فعلاً و خاطراً و ناظراً
واتوب الیه یا رب اگر بندن کلمات کفر و شرک و خطا
و عصیان و گناه صادر اولدیسه توبه ایلدم و رجوع ایله

مطلب کرامات اولیا

عذاب لواطه

الله تعالى

مبحث صلوة خمسه

اصحابم امتم سؤال ایلمسنه نك قپوسی اوکوندن [illegible] ارمق اولسه
هر بیرینه صباح اکسم غسل ایلسه آنده دخی باشنده [illegible]
بدننده جرکی قالورمی الجواب
قلماز دیدی اشته هر کیم بو بش وقت قلسه معلومی
کبر بدنی پاك اولوردی بش قورقودن ازدر بش قورقودن قورتولماز
وکورحان کبایردن اجتناب ایدرکیسه الله تعالی بش یرده
قورقو خلق ایتمشدر اول ملك الموت قورقسیدر جان ویرکن
ایکنجی قبر عذابی اوجنجی منکر ونکیر سؤالی دوردنجی میزان قورقوسی
بشنجی صراط قورقسی جناب الله کرمندن بش مشکلی
بش عذابی بش وقت نمازی جماعتله ادا ایتمك ایله خلاص ایلدی
ایدی فرصت آلدی ایکن بش وقت نمازه قائم اولوق جمله امت محمد اولادینه
واجب یعنی فرض اولمشدر الله تعالی جملهمزه میسر ایلیه بتسهیل و آسان ایلیه

اگر برکمسه نماز قلسه عورتی قلمسه اخشام [illegible] کیسدر
ایمدی مسلمان اولانه لایقمی در [illegible] کوزی [illegible]
بر مصلی خاتون نکاح ایلیه [illegible] حدیث شریف [illegible] الناس
عذابا یوم القیمة من اجهل اهله [illegible] اول اناسنه و اتاسنه عذاب
[illegible] نماز قلمادی [illegible]
[illegible] بغلیلک [illegible] عصیانت
[illegible] قیامت [illegible]
[illegible] دنیاده [illegible]
[illegible] اول ایدی کیم لعنت سنك
[illegible] دنیاده [illegible] بو عذاب
[illegible] جنت [illegible] دیه اول ایدی [illegible] اما قلماز ایدک

عورت ایدی

١٣٦

عورت ایدی اگر سن بنی نماز قلمادوغمدن اوتری بو شاشه [illegible]
غیرتیله آلسك قلاردی [illegible] عذابی چکمزدك دیه پیغمبر
علیه السلام بیوردیکه ترك ایدن بینماز عورت ایله یاتسه قوینونه
خنزیر آلوب یاتمغه بکزر بیوردی [illegible]

یرده عرش کرسی بیت المعمور بیت المقدس کعبة الله ادر
عرشی نوردن کرسی التوندن بیت المعمور یشیل زمرددن بیت المقدس
قزل یاقوتدندر بیت الکعبة طاشدندر عرشده ملکلر طواف ایدر
کورسیده [illegible] اولور بیت المعمورده فرشتهلر اولور بیت المقدسده
پیغمبرلر اولور بیت الکعبهده مؤمنلر اولور

جواهر الکلام

نتکم پیغمبر علیه الصلوة والسلام بیورر الصلوة عماد الدین من اقامها
فقد اقام الدین ومن هدمها فقد هدم الدین یعنی صلوة دینك
دیرکیدر هر کیم نمازین قلمز دینی یقدی و رسول علیه الصلوة والسلام
بر حدیثنده بیوررکیم سلام ویروك جهودلره و نصارایه بنم
امتم یهودلرینه سلام ویرمك دیدی اصحاب رضوان الله علیهم
صوردیلر که یا رسول الله سنوك امتك جهودلری کیملردر بیوردی
نمازی ترك ایدن بی نمازلردر دیدی [illegible] اذان ایشیدرلر ایدر
[illegible] جماعته حاضر اولمازلر انلر جهودلردن بدتردر دیدی ابو بکر صدیق
[illegible] نمازك [illegible] محله خرابدر دیدی عمر رضی الله عنه
[illegible] خراب [illegible] دیدی حضرت علی [illegible]
[illegible] اولور [illegible]
ایمان [illegible] نماز قلمقدر [illegible]
رسول علیه السلام الایمان بین الخوف والرجاء یعنی ایمان [illegible]
اولور [illegible] عذابندن قورقه ورحمتندن [illegible]

جواهر الکلام

نعمت تمکو طریقة المحمدیة

اللهم اغننی بالعلم وزینی بالحلم وکرمنی بالتقوی
وجملنی بالعافیة

طریقة محمدیة

اخلاق محموده ابواب بهشتی اوج اوکونن کو یا سیوف مسلوله لردیلی
اعلا ملری منصوب رماح لردر یالی سهملر حاضر اهلی حرمی جهاد دن جهاد
اصغردن کلدوک جهاد اکبره سفر وار اصحابم مضمونینه وارد ایش ملائکه رحمانی
اعلام خضر آ منصوبه لر یاشن دوکوشورلر شول اخلاق ذمیمة ابواب
تیت و سقیمین اوکونن اولان رماح لر سیوف مسلوللر سهاملر سنانلر ابلیس
دوکوشورلر اعلام حمر الری منصوب جنود ابلیس اخلاق معقد ودین مشهوریت
مسلط عدوان کفار مرد ابلیس دوکوشورلر قنغی غالب کلورسه
یا فرق ناجیه در یا فرق ضاله در معاذ الله تعالی

طریقه محمدیه ده مواعظ در کم بیلا انظور

کلام قدیمنده بیورر فمن یرد الله ان یهدیه یشرح صدره للاسلام ومن یرد الله
ان یضله یجعل صدره ضیقا یعنی مؤمنوک علامتی اولور کیم دنیا دن الکی
چکه وآخرته رغبت ایلیه وموت کلمزدن اول یراق ایلیه پیغمبر علیه السلام
ایدر اکر سز تکری دن کرچک قورقسا کوز صولر یوزینه یوریدکز آنا اکر
صوغه یتمیدی اکر سز تکری اوزره بلسکز قوشلر کبی هواده ن
اوچار دیکوز روایت اولندیکه برعزیزدن توریه و زبور وانجیل وفرقان
اوقودم جمله سندن کوردم تکری تعالی قوللرندن سکز نسنه استر
ایکیسی کوکلدن ایکیسی دلندن ایکیسی اندامدن ایکیسی خویدن اما
کوکلده اول تکری بر بلمک ایکنجی خلقه مرحمت ایلمک اما اول ایکی کیم دلده در
اول تکری ذکر ایلمک ایکنجی خلقه طتلو سویلمک اما اول ایکی کیم اندامده در
تکری تعالی یه طاعت قلمق ایکنجی خلقه یردم قلمق اما اول ایکی کیم خویدن تکرینک
بلالرینه صبر ایلمک در ایکنجی خلقه تواضع کوسترمک در دیدی

جواهر المجالس در مکنون المواعظ

مرحوم ... مصطفی افندی رحمة الله علیه
اوغلی ملا ذاکرا فی جامع واعظ در
ثلث بعد الظهر اولری نوردنه
جامع سمیت لرنده فنایی افندی
تربه سی قوربنده در شهرت
بوشناق زاده

مطلب فی حقوق

روایت اولندی حضرت رسول علیه السلام
ایدر قنغی کشی کیم الله سوز کرکیم یازنکی
وحق سوز یازلرنمی سوکرلکم مسجدلری وحق
سوز مسجدلری سوکرکیم جماعتی وه سوک
برا مسجد جناب جناب الله اویدر
نتکم کلام قدیمنده بیورر وان المساجد لله
قچان جماعت مسجد ایجنده نماز قلوب دعا ایلر
الله تعالی قتنده مقبول اولور ومستجاب اولور

نقل من رسالة علم ...

لعلق بر بلوت در کم رحمت علوم امثال

قضا

فتوا

دیانة تقوا

جمیع معتقدلرینه ... عالم ... دعا

واقعه

واقعه ده بر سلطان خراسان می اوله و سلطان آل عثمان می اوله یا سنه
کیرمیش ام ایکی زنجیر بن جاغنده ادر ارسلان باب الحدید اوج یوزنده
ارسلانجیلری یاتیب بنی کوردکلر هجوم ایدبلیر اوزریمه و طیشره چقدم
بر ارسلان دخی باغلی ایدی اوندن خوف اوزره اولدم ددکه برابین بر دیلی
کلیسون یوندن بنی سلامته کتورسون دم بر قرمز قفتانلی فرمز [illegible]
تکه لی کله پوشلو کلیب کل کل کوره یوم سلامته دیوب اولومه دوشوب [illegible]
اویاندم
جمیع مضایقه لردن خلاص ایتمش سن بنوک ددی الحمد لله رب العالمین

بتمّ و حرفی الی الله الایه بوره ده تجرید الرازی ... قدر مخلوق قد النجا
الیوم ایسه مرادلری اولمادن تجلی ایدن الحمد ... طوته مدیم هر نه قدر
اولوب باریه یا یوشو ... النجا تمنا رجا نیازلرده اولوب اغلیه
استعدمینه اولوب تخلق قده حاصل اولمادی بیوز مثلی تغیر کبیر ده شعور یوق

حکایت ولی الله ده بر مناش اولدم دیمش جوجق سنه نباش
اولدم قبر نبش ایدم بیک وار قبر ده ایکی کمسنه نک یوزی قبله ده بولدم
ماعدالری بولادم اصلا توکل الی الله اولمادقلری ایچون رزقلری خصوصنده ایچ
رزاقهم الله دیدکلری ایچون ... زید عمرو بکر و بشر مضاف
ایتدکلری ایچون معبودلرینی بو خصوصده اونتدقلری یوزلری قبله تحویل اولنمش
بولمش رحمه الله تعالی ... حقیقی الله مجاز اکنجه ... رزق قیمه و وصولنه سبب
اعتقاد ... ذکر رزق ... الایه ...